

الأديان في العالم

أ. د. سعدون محمود الساموك
مؤلف



<http://kotob.has.it>



المحتويات

15	المقدمة
17	التمهيد
17	تعريف الدين
19	الدين في المصطلح الإسلامي
19	الدين عند علماء اللغة
21	الحقيقة الشرعية لمفهوم الدين

الباب الأول الأديان الشرقية

27	تمهيد
29	الديانة الهندوسية
37	الديانة الجينية أو الجانتيية
41	الديانة البوذية

الباب الثاني الفصل الأول الديانة اليهودية عبر التاريخ

51	تاريخ الديانة اليهودية
55	أولاً: عصر الأباء الجوالين:
56	ثانياً: عصر النبي موسى عليه السلام
58	ثالثاً: العصر الذي ظهرت فيه التسمية (اليهودية) إلى جانب (بني اسرائيل)
58	من هو اليهودي
64	الخروج من مصر

77	 التأسيس وأبرز الشخصيات
----	------------------------------

الفصل الثاني الكتب اليهودية المقدسة

85	 العهد القديم
87	 الكتب والصحف
87	 القسم الأول: التوراة
90	 القسم الثاني: أسفار الأنبياء
90	 القسم الثالث: الكتب والصحف
91	 أنظار العلماء في محتوى ومضمون العهد القديم
93	 الشريعة الشفوية (التلمود).
94	 أقسام التلمود
97	 القبالة والزوهار
101	 الاختلاف الكبير بين نسخ التوراة دليل التحريف
102	 دراسة في الكتب اليهودية المقدسة
149	 غاية الكتب المقدسة اليهودية

الفصل الثالث الصهيونية السامية و موقف اليهود من الآخرين.

153	 الصهيونية
153	 تاريخها ونشأتها
154	 أهداف الصهيونية
156	 مغالطات صهيونية
158	 الأسس الدينية للحركة الصهيونية
164	 آثار الصهيونية في الفكر الحديث

167	الانغلاق اليهودي، موقف اليهود في الأغيار
169	تعريف الدولة اليهودية
173	أنظمة التمييز العنصري
176	عقيدة الأرض المستردة
179	التوسع الإسرائيلي
182	مصطلح السامية
189	أركان الدين اليهودي كما لخصها الفيلسوف موسى بن ميمون

الفصل الرابع

العقائد عند اليهود

193	العقائد عند اليهود
194	علامات نهاية الزمان
194	الألوهية عند اليهود
194	عقيدة يهوه
198	يهوه الإله البديل لإيل
198	إيل الإله الأول والأقدم في التوراة
202	الوهم
202	بعل ومكانته
208	ديانة اليهود، ديانة بدائية قبلية
208	النبوة عند اليهود
208	بداية ظهور الأنبياء
225	حائط البراق (حائط المبكى)

الفصل الخامس الفرق اليهودية

- 247..... الفرق اليهودية القديمة.
- 247..... 1- السامريون
- 249..... 2- الحسيديون
- 251..... 3- الفريسيون
- 252..... 4- الصدوقيون
- 254..... 5- القراؤون
- 257..... الفرق اليهودية الحديثة.
- 257..... 1- الإصلاحيون (المجددون).
- 260..... 2- الطائفة الأرثوذكسية
- 261..... 3- فرقة الحسيديم
- 261..... 4- المتناجدون
- 262..... 4- المحافظون

الفصل السادس الأعياد اليهودية

- 265..... تمهيد
- 266..... أعياد اليهود
- 266..... 1- الحج إلى بيت المقدس
- 267..... 2- عيد صوماريا
- 268..... 3- عيد المظال (العرازيل)
- 269..... 4- عيد رأس السنة
- 270..... 5- عيد الخنكة

- 271.....6- عيد الحصاد
- 271.....7- عيد الفصح
- 272.....8- عيد البوريم أو المساخر
- 273.....9- عيد السبت

الفصل السابع

صفات اليهود في القرآن الكريم

- 277..... صفات اليهود في القرآن
- 277..... 1- الكذب على الله
- 277..... 2- الخيانة
- 277..... 3- عدم الوفاء بالعهد
- 277..... 4- البخل
- 278..... 5- إساءة الأدب مع الله
- 278..... 6- الكبر والتعالي على الناس
- 279..... 7- حبهم لسماع الكذب
- 279..... 8- التمرد على الله
- 279..... 9- التمرد على الرسل
- 279..... 10- الجدل والمراء
- 280..... 11- كتمان الحق والتضليل
- 280..... 12- النفاق
- 280..... 13- إثارة المنفعة الشخصية والأنانية
- 281..... 14- حب الشر للناس والسعي في إفسادهم
- 281..... 15- كراهية الخير لغيرهم
- 281..... 16- الاستغلال والانتهازية

281	17 - عدم الأدب في الخطاب
282	18 - سهولة الفتن عندهم وسفك الدماء حتى مع الأنبياء
282	19 - قسوة القلوب وجمود العاطفة
282	20 - تبليد حسمهم وموت ضميرهم الأدبي
282	21 - التحايل على المخالفة
282	22 - الحسد
283	23 - الذل
283	24 - أسرار الرهبة والخوف
283	25 - الجبن
283	26 - الحرص على البقاء
283	27 - تحريف الكتاب المقدس
284	28 - استباحة الكفر في تحقيق أغراضهم
284	29 - الإفساد في الأرض

الباب الثالث

الديانة النصرانية

الفصل الأول

الكنيسة.

288	تمهيد
290	متى ولدت الكنيسة.
291	أولاً: تاريخ استخدام كلمة الكنيسة
292	ثانياً: كلمة كنيسة في العهد القديم
293	ثالثاً: كلمة كنيسة في العهد الجديد
294	بحث في تاريخ الكنيسة

الفصل الثاني

بولس وأثره في النصرانية

- أولا: حياته 309
- ثانيا: صفاته 309
- ثالثا: ثقافته 310
- رابعا: تحول بولس إلى المسيحية 311
- ما أحدثه بولس في النصرانية 312

الفصل الثالث

جوهر العقيدة النصرانية

- مفهوم الألوهية في العقيدة النصرانية 317
- عقيدة الخلاص ولماذا يؤمنون ويقتنعون بها 318
- لماذا قررت المجامع ألوهية عيسى عليه السلام 319
- نموذج لقرارات أصحاب المجامع 321
- حول حادثة الصلب 322
- موقف القرآن الكريم من هذه العقيدة 323

الفصل الرابع

المجامع الكنسية.

- أ- مجمع نيقية 329
- ب- مجمع القسطنطينية 329
- ج- مجمع أفسس 330
- د- مجمع خلقدونية 330
- هـ - مجمع روما 331

332	الحروب الصليبية.....
332	عوامل قيام الحروب الصليبية.....
336	المعتقدات الكنيسية.....
340	المسيح في اليهودية.....

الفصل الخامس

عقيدة التثليث، والفرق المسيحية

345	معاني التثليث.....
345	من أين جاءت فكرة التثليث؟.....
347	التثليث ليس أصلاً في ديانة المسيح.....
347	نشأة التثليث في النصرانية.....
350	النصوص الإنجيلية وعقيدة التثليث.....
353	نقد عقيدة التثليث.....
355	عقيدة الفداء والصلب.....
355	أولاً: فلسفة عقيدة الفداء والصلب.....
357	ثانياً: حزقيل 18 ينسف عقيدة الفداء.....
358	الفرق القائلة بالتثليث.....
358	أ- الفرق الكنسية القديمة.....
359	ب- الفرق المعاصرة.....
361	الفرق الموحدة.....
363	تطابق عقيدة الثالوث المسيحي مع معظم الوثنيات القديمة.....
371	أبطال عقيدة التثليث بأقوال المسيح ﷺ.....
372	أبطال عقيدة التثليث بالدليل العقلي.....
375	حركات توحيدية مسيحية حديثة.....

الفصل السادس

الكتب المقدسة عند المسيحيين.

- أ- العهد القديم..... 379
- ب- العهد الجديد..... 379
- تاريخ كتابة الأناجيل..... 380
- 1- إنجيل متى..... 380
- 2- إنجيل مرقس..... 384
- 3- إنجيل لوقا..... 385
- 4- إنجيل يوحنا..... 387
- تاريخ تأليف إنجيل يوحنا..... 387

الفصل السابع

موقف القرآن من الإنجيل

- موقف القرآن من الكتب المقدسة..... 397
- موقف المسلمين من الإنجيل..... 398
- البشارة بالنبي محمد في التوراة والإنجيل..... 401

الفصل الثامن

المسيح المنتظر، والمسيح الدجال

- تمهيد..... 407
- أصل كلمة المسيح..... 408
- المسيح الدجال..... 410
- متى يخرج الدجال..... 412
- صفات الدجال..... 413

413	كم يمكن الدجال في الأرض
414	أماكن لا يدخلها الدجال
414	المؤمن والدجال

الفصل التاسع

النصرانية من خلال نقد أبنائها لها

417	مقدمة
	أقوال العلماء والمفكرين والفلاسفة من المسلمين وغيرهم في تحريف
417	الكتاب المقدس
423	المصادر
423	أولاً: المصادر العربية
432	ثانياً: المصادر الأجنبية

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وبعده.

فهذا كتاب منهجي في مادة الأديان حاولنا فيه أن نجتمع فيه كل من المطلوب في الدراسات الأولية والدراسات العليا في جميع كليات الوطن العربي التي تدرس هذه المادة، مستعرضين الديانات كما هي عند أصحابها ثم نكتب الرد القرآني أو الإسلامي على الموضوع، إذ أن جميع الأديان السماوية (غير الإسلام) قد حرفت ولم يبق فيها شيء يمكن أن نعتبر الإسلام امتداداً طبيعياً لها.. إلّا إننا نحس من خلال دراستنا لتلك الأديان أن مصدر الأديان كما يعتبره الجميع "واحد" وهو الله تعالى وأن اختلفت نظرة الأديان إلى هذا المصدر كما سنرى ذلك من خلال دراستنا لهذه الأديان .

أما الأديان الوضعية فبعضها ربما كان بقايا دين سماوي لأن الله تعالى يقول "وما من أمة إلا خلا فيها نذير"، وأما أفكار موضوعه جعلت من تلك الأفكار ديناً يعتقد فيها أتباعها ويجعلون لمعبوداتهم طرقاً معينة للوصول إليها.

كان أكثر التركيز على ديانتَي اليهود والنصارى لأن الكليات الدينية بدراساتها الأولية أو العليا تركز تركيزاً كبيراً على ذلك، وقد تناولنا فيها كل الأمور التي تهم الطالب، وهي غير موجهة للطالب بالضرورة وإنما موجهة إلى كل الشرائح، حيث المعلومات عامة تهم الجميع.

الكتاب فيه دراسة في تاريخ وعقائد ومناسبات دينية وعبادات الديانتين اليهودية والمسيحية، فالدين مؤسسة اجتماعية لا تستغني عنها أية جماعة بشرية مهما كانت.. فهي التي تدل الإنسان على معاني حياته وفي طريقه لمعرفة هذه الحقيقة كان يقف حائرا تارة متحمسا أخرى فيضل الطريق مرة وينجح أخرى ليلبغ بعدها الرقي الفكري حين نزل الإسلام، لذلك حكمنا الإسلام في كثير من النقاط التي ذكرناها عن تلك الديانتين فأعطينا حكمه ورأيه في تلك النقاط.

قسمنا الكتاب إلى فصول كثيرة وكل فصل ضم ما تحتويه الديانتين من تاريخ ومفاهيم وممارسات. وقد التزمنا الحياد التام في عرض كل ديانة منها والقصد في ذلك هو عرض الحقيقة على قراء الكتاب، راجين أن يفيد منها الجميع فإن كنا قد وفقنا في ذلك فمن الله، وأن كانت الأخرى فالمعذرة والأمل في تحسين الأمر في المستقبل، فالله هو القصد، منه العون وهو الرجاء.

المؤلفان

مُهَيِّدٌ

يبحث علم الأديان عن منشأ الأديان وتطورها، وفي الأسس التي تركز إليها الأديان المختلفة وفي أوجه الاتفاق أو الاختلاف فيما بينها. وبعبارة أخرى : أنه يناقش تاريخ الأديان ويوضح فلسفتها ويوازن بينها.

فتاريخ الأديان : يبحث عن نشأة المعتقدات الدينية وتطورها ومرتكزاتها لدى الشعوب البدائية المتخلفة والشعوب المتقدمة فالغرض إذن من دراسة تاريخ الأديان هو معرفتها.

وأما فلسفة الأديان: فإنها تبحث في العلاقات بين الأسس التي تستند إليها الأديان المختلفة وفي الغايات التي تهدف إليها. ويدخل ضمن مباحثها علم ما وراء الطبيعة، وعلم الكلام أو ""اللاهوت" وعلم التصوف⁽¹⁾.

وأما مقارنة الأديان أو "تاريخ الأديان المقارن" فإنه يدرس خصائص ومميزات كل دين ، ويوازن بينها وبين خصائص ومميزات الأديان الأخرى.

تعريف الدين

ليس بين المؤسسات البشرية مؤسسة تضاهي الدين في سيطرته على نفسية الفرد وزجره وكبح جماح شهواته، سواء أكان الفرد بدائياً أو متقدماً.

فالدين بني كيانه منذ نشأته على الحلال والحرام.

(1) انظر: العميد طه الهاشمي / تاريخ الأديان وفلسفتها ص 16-18 والدكتور محمد كمال ابراهيم جعفر / في الدين المقارن ص 165-173.

فالحرام ما لا يجوز مسه أو التقرب منه أو كله . وحمل الفرد على الاعتقاد بأن من يخالف هذا التحريم يأثم ويستحق العقاب.

والحلال ضد الحرام وقد أوضحه الدين، بين موارده ، ونظم أموره.

وبتعبير أدق وأشمل أن للدين - أي دين - أوامر ونواهي يحظر بعضها أفعالاً معينة ويأمر بعضها الآخر بالقيام بأعمال أخرى . ومن ينعم النظر في هذه الأوامر وتلكم - النواهي يجد أنها في جملتها أنها جاءت لخير البشر وتحقيق مصالحهم، ودفع المفاسد عنهم ولا سيما المساوي منها⁽¹⁾.

وتعريف الدين من هذا المنطلق يشمل أي دين دون الذهاب إلى أحدها دون الآخر وبغض النظر عن كون الدين المعروف صحيحاً أم باطلاً : لأننا حين نتكلم عن الدين فإننا نعطي له مفهوماً واحداً هو (تلك المعتقدات والشعائر التي تمارسها الأقوام بدائية كانت أم متحضرة) وسنستعرض هنا مجموعة آراء وتعريفات للدين وضعها علماء في شتى مجالات العلوم.

قواعد تعريف الدين:

- 1 - شعور الناس بوجود قوة أو قوى متعددة أعظم منهم شأنًا وغير مسخرة لهم.
- 2 - اعتقاد الناس بأن لهم صلة بهذه القوى أو القوة.
- 3 - سعي الناس إلى إيجاد واسط لتوثيق هذه الصلة⁽²⁾.

(1) انظر الهاشمي/ تاريخ الأديان وفلسفتها ص 10 والدكتور أحمد الخشاب / الاجتماع الديني ص 11.

(2) انظر: الهاشمي / تاريخ الأديان (ص 29-30) ورامي مور Moore The World,s Religions-charles S.Barden P.22) Charles Baren (P,16-17)

الدين في المصطلح الإسلامي:

وقد عرف في الاصطلاح الإسلامي بأكثر من تعريف إلا أنه يلاحظ أنها تكاد تكون متحدة في معناها وإن اختلفت في ألفاظها منها:-

1 - الدين: وضع الهي سائق لذوي العقول باختبارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المال⁽¹⁾.

2- الدين : وضع الهي يرشد إلى الحق بالاعتقادات وإلى الخير بالسلوك.

3 - الدين : وضع الهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول⁽²⁾.

الدين عند علماء اللغة

العين⁽³⁾: "والدِّينُ: الجزاء...، كقولك دَانَ الله العبادَ يدينهم يوم القيامة أي يجزيهم،.. والدِّينُ: الطاعة".

المقاييس⁽⁴⁾: الدال والياء والنون أصل واحدٌ إليه يرجع فروعه كُلُّها، وهو جنس من الانقياد والذل؛ فالدِّينُ : الطاعة،...[ثم قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ١] ﴿

(1) دائرة المعارف الإسلامية ج9 ص368 والتعريف مأخوذ عن كشف اصطلاحات الفنون ص503.

(2) الجرجاني / التعريفات ص94.

(3) لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي - وهو شيخ سيويه - (ت175هـ)، دار إحياء التراث العربي، وكتاب "العين" هو أقدم المعاجم العربية المنقولة إلينا؛ أنظر كتاب "نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب"، (ص22) للدكتور أمجد الطرابلسي.

(4) لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت395هـ)، دار الجيل.

الفتاحة:٤، أي: يوم الحكم، وقال قومٌ: يوم الحسابِ والجزاء، وأيّ ذلك كان فهو أمر يُنْقَاضُ له".

مفردات ألفاظ القرآن^(١): "والدين يقال للطاعة والجزاء، وأُسْتُعِيرَ للشريعة، والدين كالملة، لكنه يُقَالُ اعتباراً بالطاعة والانقياد للشريعة".

جاء في لسان العرب: والدينُ الجزاءُ والمكافأة، ودُنْتُه بفعله ديناً: جزيته،....، ويوم الدين: يوم الجزاء، وفي المثل: كما تدينُ تُدانُ، أي: كما تُجَازِي تُجَازَى، أي تُجَازَى بفعلك، ويحسب ما عملتَ، وقيل: كما تفعل يُفعل بك،...، والدينُ الجزاء...، والدينُ الحسابُ،...، والدينُ الطاعةُ،...، والدينُ العادةُ،...، والدينُ الحالُ،...، والدينُ: الورعُ، والديُّ: القهرُ والدينُ: المعصيةُ،...".

فلفظُ "الدينِ يُطلقُ في لغة العربِ على جميع ما ذكرَ من معانٍ، وهي مع تعددها يمكن جمعها إجمالاً في معنيين:

الأول: العملُ: وفيه يدخل: (الانقياد، والذل، والطاعة، والورع، والعادة، والحال، والمعصية).

الثاني: الجزاء على العملِ، وفيه يدخل: (الحساب، والمكافأة)، ومن لوازمه: (السلطان، والقهر).

فيتضح بهذا وجه الجمع بين تلکم المعاني التي أوردھا أئمة اللغة في كتبهم، والله المستعان.

فائدة: جاء في المعاجم العربية أن "الملة بمعنى الدين"، وقال الجرجاني في التفريق بينهما: "الدين والملة متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار؛ فإن الشريعة من حيث أنها تطاع تسمى ديناً، ومن حيث أنها تجمع تسمى ملة^(١)".

الحقيقة الشرعية لمفهوم الدين

الحقيقة أن "الدين" يشمل في نصوص الشرع جميع الإسلام: اعتقاداً، وعبادةً ومعاملةً، وأخلاقاً، ودليل ذلك حديث جبريل المشهور حيث فصل النبي ﷺ فيه مراتب الدين: (الإسلام، والإيمان، والإحسان)، وبين حقيقة كل منها، ثم قال: (هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)^(٢).

قال ابن تيمية: "فجعل الدين" هو: الإسلام والإيمان والإحسان، فتبين أن ديننا يجمع الثلاثة، لكن هو درجات ثلاث: مسلم، ثم مؤمن، ثم محسن، كما قال

تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (٣٢) فاطر: ٣٢ .

فـ"كلمة" "الدين" في عرف القرآن الكريم تشمل ما يدخل في باب العقيدة، وما يدخل في باب العمل: العمل الذي يؤديه المرء تقرباً إلى الله، كالصلاة والزكاة، والعمل الذي يقوم به مع غيره تحقيقاً للمصالح الدنيوية المختلفة كالبيع،

(١) التعريفات، للجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار النفائس، ط ٢، (ص ١٧٤).

(٢) انظر الحقيقة الشرعية في تفسير القرآن العظيم والسنة النبوية، للشيخ: محمد بن عمر بازمول، دار الهجرة، ودار ابن عفان/ ط ١، (ص ٩٢).

والرهون، والشركات ، وغيرها من التصرفات، وأعمال السلوك الخلقي مع النفس، ومع الناس

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۚ ﴾ (١٦) آل عمران: ١٩ ، وقال سبحانه: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ (١٣) الشورى: ١٣؛ "فالدين عند الله هو" الإسلام " بكل ما اشتمل عليه من أحكام.

والدين الذي أوحاه الله إلى محمد ﷺ ، ووصى به النبيين من قبل : شرع من عند الله ، وقال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٨) الجاثية: ١٨ ، والشرعية الطريقة الواضحة التي يجب التزامها، والسير عليها بالقلب أو بالجوارح...^(١)

عند علماء النفس والاجتماع

"علماء الاجتماع ينظرون إلى "الدين" على أنه : مجموعة مجردة من القيم والمثل أو الخبرات التي تتطور ضمن المنظومة الثقافية للجماعة البشرية"^(٢).

وجاء في "قاموس الأنثروبولوجيا" أنّ الدين نظام اجتماعي يقوم على علاقة الإنسان بكائن، أو كائنات، أو قوى فوق طبيعية، أو إله، أو آلهة يؤمن بها، ويعبدها..."^(٣).

(1) "أصول التشريع الإسلامي"، لعلي حسب الله ، دار المعارف بمصر، ط5، (ص420-421)، بواسطة : المرجع السابق.

(2) المعجم الفلسفي، "د. مصطفى حسينية، دار أسامة، ط1، (ص222).

وقال دوركايم (Durkheim) في تعريف "الدين أنه": مؤسسة اجتماعية قوامها التفريق بين المقدس والديني، لها جانبان: أحدهما روحاني مؤلف من العقائد والمشاعر الوجدانية، والآخر مادي مؤلف من الطقوس والعادات"⁽²⁾.

عند علماء مقارنة الأديان

أما من حيث الدراسة المقارنة للأديان فإنه "لا يوجد" للدين "تعريف واضح وثابت؛ فهناك العديد من التعاريف للدين، وتتصارع جميعها على محاولة أشمل وأدق تعريف، لكن مثل هذا الموضوع يخضع لإيمان الشخص الذي يضع التعريف؛ وبالتالي يصعب وضع تعريف يرضي جميع الناس"⁽³⁾.

وإليك بعض التعريفات "للدين"⁽⁴⁾:

- 1 - الدين هو اعتقاد البشر بقوة أعظم منه تقوده ولا تنقاد له.
- 2 - الدين هو الإيمان بمخلوقات روحية، أو الاعتقاد في الموجودات الروحية.
- 3 - الدين هو الاعتقاد بوجود كائن لا يدركه العقل موجود في كل مكان.

(1) "قاموس الإنثروبولوجيا"، للدكتور: شاكر مصطفى سليم، جامعة الكويت، ط1، (ص815).

(2) "معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية"..... (ص181).

(3) المرجع السابق.

(4) "موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، الجزء الأول: العقائد"، دار المناهج، ط1، 19-20، "قاموس الإنثروبولوجيا"، (ص815)، "معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية" (ص181)، "المعجم الفلسفي"، (ص222).

4- الدين هو اتخاذ مواقف عاطفية حيال المعبود.

5- الدين هو عبادة القوى العليا للحاجة لها.

6- الدين هو الشعور بالاعتماد المطلق.

7- الدين هو الشعور المطلق بتبعيتنا

ويلاحظ من خلال التعريفات السابقة أن أبرز مميزات "الدين" بالدراسة المقارنة:

1- الاعتقاد والتصديق بالموجودات غير المحسوسة

2- تعظيم هذه الموجودات وتبجيلها.

3- طاعتها، وعبادتها، والتقرب إليها بمختلف الأساليب.

4- الاستعانة بها على الحوائج، والاستغاثة بها عند المصائب.

الباب الأول الأديان الشرقية

تمهيد

إن الأديان الشرقية ديانات كثيرة منها:

1- الديانات الفارسية

2- الديانات الصينية

3- الديانات اليابانية

وغيرها كثير، وقد اخترنا من بعضها

1 - الديانات الهندية (الهندوسية والجانتية)

2 - الديانات البوذية (الهناياتا والهمايانا)

وقد اخترناها لأنها من الأديان التي تدرس في الجامعات العربية وسنقتصر عليها إن شاء الله.

الديانة الهندوسية

Hinduism

يعتقد الهندوس أن براهما روح العالم خلق (مانو) أول البشر- فأخرج منه زوجة له فصار أول زوج وزوجة على وجه الأرض وجاء منهما نسل البشرية، وبإرادة براهما كذلك جاءت جميع الكائنات، فصار براهما هو الخلق نفسه لأنه أخرج من نفسه، وجاء من مانو أبي البشر أربع طبقات، فمن رأسه جاء أفضل الناس وأعظمهم قدسية وهم الكهنة البراهمة (Brahma) ومن ذراعه جاء من يليهم في الأفضلية وهم الملوك والمحاربون (الكاشثريا Kastria) ومن فخذه جاء أرباب المهن ممن يهيئون أسباب المعيشة للطبقتين اللتين سبقتها بالأفضلية وتسمى هذه الطبقة الفيشية (Viaya) ومن قدمي مانو جاءت الطبقة السفلى من الناس وهم الطبقة المنبوذة أو العبيد أو الخدم الذين يسمون بالشودرا⁽¹⁾ (Sudra)).

هذا ما تقوله أساطير الهندوس.. أما ما جاء في الحوادث التاريخية فإن الآريين حين سيطروا على شمالي وشرقي الهند في الألف الثانية قبل الميلاد فإنهم استعبدوا الأهالي وخلقوا هذه الطبقات وذلك بجعل أهالي البلاد عبيداً ومنبوذين يقومون بخدمة الأسياد الذين تتكون من الطبقات الثلاث التي تنتمي إلى الجنس الأري⁽²⁾،

(1) قصة الديانات - سليمان مظهر س 52 هـ 53.

(2) انظر: "الهند" شعبها وأرضها مانوراك موداك، ترجمة العميد محمد عبد الفتاح إبراهيم
كذلك انظر: مقارنة الأديان - الجزء الرابع للدكتور أحمد شبلي.

وأصبحت لكل طائفة من الطوائف التي تألف منها الشعب الهندي القديم واجباتها ، فالبراهمة هم الكهنة الذين يدرسون أسفار "الفيدا" الكتاب المقدس لدى الهندوس ويقومون بكافة التعاليم التي تنص عليها تلك الأسفار . وطبقة الكاشتريا تقوم بحماية الشعب وتلاوة - الكتاب المقدس ، وطبقة الفيشية تقوم بزراعة الأراضي وتربية المواشي وعمليات البيع والشراء ودراسة الكتب المقدسة، أما طبقة الشودرا فما عليها إلا خدمة الطبقات الثلاث - كما أوضحنا - وعليهم الامتثال المطلق لأوامر البراهمة.

ولما كانت طبقة البراهمة هي الطبقة الممتازة بين الطبقات الأخرى فقد كانت لها مدارس خاصة تربي أبناءها تربية دينية حتى يصبحوا كهنة. وكان تعليمهم ينصب على اجتيازهم أدوارا أربعة، هي دور التلمذة، وفي هذا الدور يحتضن الأستاذ طلبته كأبنائه. ثم دور الدعاء حيث يتدرب البرهمي على المناجاة والأدعية وخلال هذا الدور يتزوج البرهمي ببرهمية ، ثم ينتقل إلى دور الخلوة والتفكير ليعود بعدها إلى حياته الطبيعية "عالم الوجود"⁽¹⁾. وهذه الأدوار اختيارية حيث يتمكن البرهمي من الانقطاع في أي دور يشاء.

وقد كثرت الآلهة عند الهندوس بشكل ملحوظ فصبح لكل شيء روح ولكل روح قدسية معينة عندهم. وكانت كل الآلهة قد أخذت وظيفة معينة تختلف باختلاف شخصياتها إلا أن الآلهة العليا أخذت لنفسها ثلاثة أقنانيم فدعي الأول

(1) انظر تاريخ الالهة - الكتاب الثاني - ج2 فاروق الدمولوجي.

(براهما) ووظيفته الخلق والإيجاد ودعي الثاني (فشنو) حيث يتولى المحافظة على الخلق والوجود . و(سيف) المخرب الجبار⁽¹⁾.

فهذه الصفات الثلاث تكون الإله الواحد الأعلى. فهم وان عددوا الآلهة فإن إيمانهم يعترف بنوع من الوحدانية ... وإنه ليس للآلهة الأخرى كيان منفصل إذ أن حياتها تستمد من روح واحدة هي روح (براهما) أو الإله الأعظم وقد اتسع نطاق هذه الفكرة بحيث أخذت الديانة الهندوسية تؤمن بوحدة الوجود أو الحلول عندما قالوا بأن روح الإنسان هي نفس روح (براهما) موجودة في الإنسان كما هي موجودة في المخلوقات الأخرى⁽²⁾. وكذلك تؤمن الهندوسية بتناسخ الأرواح فقد تنتقل الروح من الإنسان إلى الحيوان وبالعكس ولذلك فقد قدسوا الحيوانات.

وللآلهة أساطير أشبه ما تكون بخرافات مقدسة دونت في كتابهم المقدس (الفيداVida) وهذا الكتاب ينقسم إلى أقسام أربعة هي الرجيفدا(Rig-Veda) وهي مجموعة من الشعر الكهنوتي أو أناشيد العوائل المقدسة والسامافيدا(Sama-Veda) وتحتوي أناشيد موجهة إلى الآلهة (أجني) آله النار و(أندرا) آله المطر والقسم الثالث ويسمى الباجورفيدا (Yajur-Veda) وهو مجموعة من التراتيل التي ينشدها الكهنة عند إحراق جثث الموتى .. والقسم الأخير وهو الأثارفيدا (AtharVeda) وهي أناشيد تتلى عند الزواج أو تلمس البركات أو أدعية ضد الشيطان ومكروهات الأمور⁽³⁾.

(1) انظر : مقارنة الأديان - ج4 للدكتور أحمد شلبي.

(2) الهند - شعبها وأرضها - ص 59-60.

(3) انظر The words Religions Hinduism وأحمد شلبي - مقارنة الأديان - ج4 (أديان

الهند) ص 42-43.

ومن معتقدات الهندوسية أيضاً إيمانهم بالكارما (Karma) ومعناها قانون الجزاء والعدالة. وتعني أن جميع أعمال الإنسان الاختيارية التي تؤثر على الآخرين شراً كانت أم خيراً يجازى عليها بالثواب أو العقاب وهذا الجزاء يكون في الحياة . فإن لم يقع هذا في الحياة الاعتيادية فقد تقع في الحياة الأخرى بعد أن تنتقل الروح إلى جسد آخر⁽¹⁾.

وهدف الإنسان الهندوسي أن يصل إلى مرحلة الانطلاق أو الخلاص (Nirvana) والتي تعني انعتاق روحه من الجسد واتحادها بالإله براهما ويكون ذلك بالعمل الجيد الصالح الذي يساعد المرء على الانتقال بعد الموت إلى طبقة أعلى من طبقاته حتى يصل إلى أعلى الطبقات ، ويستمر بعمله الصالح لتنتقل روحه بعد ذاك إلى الاتحاد مع براهما⁽²⁾.

وللنقاد بعض مآخذ على الهندوسية منها أنها ديانة تهتم بالخرافات وتهبط في مستواها نظراً لأنها تتأثر بالسحر ولا تهتم بتحسين اقتصاد معتنقيها لأن العمل عند بعض طبقاتها كالبراهمة والكاشترية لا يليق بهم، وبدلاً من العمل فإن الهندوسي يدرّب نفسه على تحمل المشاق في الصوم الطويل أو القيام بالأعمال المضنية للجسم أو قيامه بالاستعطاء أو أنه يقوم بغرز مسامير في جسده. وقد يتعري ما بقي من عمره أو لا ينام لفترة أو لا يحرك جسده ويقوم الناس بإطعامه الغذاء .. والجدير بالذكر أن القصد من ذلك هو ولوج باب الموت بنظافة ونزاهة ليصل إلى (النيرفانا) بعيداً عن أي عارض يعترضه.

(1) مقارنة الأديان ج 4 ص 102-104.

(2) قصة الديانات ص 56.

ومن المآخذ على تلك الديانة أنها لا تكتفي بحرق جثمان أفرادها الذين يتوفون بل أن زوجات المتوفى لا بد من حرق أنفسهن معه. وقد قضي على هذه العادة منذ أجل قريب وتعتبر الهندوسية من الديانات القليلة التي لن تستطع الأفكار الدينية المتوافدة على الهند من تغيير جوهرها ومعتقداتها⁽¹⁾.

ويمكننا أن نلخص المبادئ التي تركز عليها الديانة الهندوسية بما يلي :

- 1- أنها بنت كيائها على الإيمان بالكارما أو قانون الجزاء.
- 2- وترتكز على عقيدة تناسخ الأرواح.
- 3- وتنظر إلى الحياة نظرة متشائمة بالدعوة إلى تخلص الروح منها.
- 4- وتدعو إلى الزهد.
- 5- وترتكز كثيراً على الفضائل.
- 6- وترتكز على الإيمان بكتب (الفيدا).
- 7- وتؤمن بألهة كثيرة⁽²⁾.

ومن المهم أن نعرف أن للهندوسية حركة عالمية تبشيرية في الوقت الحاضر تسمى (Hare Krishna Movement) أو ضمير كرشنا تقودها جماعات تبشيرية في معظم أقطار العالم وخاصة أمريكا وأوروبا ولها أنصار عديدون في تلك الأقطار يوجههم الكاهن المقدس - كما يدعونه - براهوباتا (Pra dhupaa) ومن تعاليم هذه الحركة أن الفيدا أو البغوات جيتا (Bhagavad-gita) هي الكتاب المقدس الأول في الكون الذي يحمل معاني الحقيقة الإلهية كما حملتها من بعده التوراة والإنجيل

(1) مقارنة الأديان ج 4 ص 102(104).

(2) The worlds Religions p115.

والقرآن . وان الإنسان جزء من الإله الأزلي الأبدي ولأجله فان كل الناس أخوان وعليهم التضحية في سبيل الأب الأعظم "كرشنا"^(١).

ومن الملاحظ أن هذه الحركة تحظى بتأييد المراهقين في أوروبا وأمريكا أكثر من غيرهم وقد يكون ضعف الدفع المسيحي في الوقت الحاضر سبباً في انتشار هذه العقيدة في تلك القارات.

وفي خاتمة بحثنا للديانة الهندوسية نقول: أن الهند من الأمم ذات التاريخ المجيد لها مدنية قديمة وحضارة عريقة، ولكن قد طمست حضارتها تلك حضارة أخرى أتى بها غزاة فاتحون آريون، وكان هؤلاء الفاتحون يحملون معهم ديانة أخرى غير ديانة الهند القديمة وهي الديانة "الهندوسية والبرهمية" والديانة الهندية القديمة كانت ذات أصول "توتمية" حيث ارتكزت على تقديس أرواح تسكن الصخور والحيوان والأشجار ومجاري الماء والجبال والنجوم كما كانت ذات أصول طبيعية حيث ارتكزت أيضاً على تقديس القوى الطبيعية المختلفة من سماء وشمس وأرض ونار ورياح وماء.

فجعلوا السماء أبا وسموه "فارونا" والأرض أما وسموها "برينيفي" والمطر هو الإله "بارجانيا" والنار هي "أجني" ..والرياح "فايو" والعاصفة "أندرا" والفجر "اوشاش" ومجرى الممرات في الحقل "سينا" والشمس "سوربا" أو مترا أوفشنو".

وجاءت الديانة الجديدة "البرهمية" ديانة الفاتحين ولكنها لم تمح الديانة القديمة محو تاماً بل أن الناس قد مازجوا بين قديمهم وما عرض لهم. والديانة

البرهمية ديانة وثنية أيضاً تركز على عبادة قوى الطبيعة المؤثرة في الكون. ومع الزمن تمثل الناس هذه الآلهة في صورة أشخاص راحوا يعبدونهم وأصبحت الشمس التي تهب الحياة إلهاً جديداً اسمه "سافيتار" وضوؤها آله آخر اسمه "فيفاسفات" ثم أصبحت الشمس التي تولد الحي من الحي آلهاً عظيماً جديداً اسمه "براجباتي" وإلى جانب هذه الآلهة توجد آلاف غيرها منها القردة والتماسيح والنمور والطواويس والبيغاوات بل وحتى الفئران والأفاعي.. وكان أكبر مراكز عبادة الأفاعي في شرقي ميسور فهناك في معابد هذا الإقليم تسكن جموع زاخرة من الأفاعي حيث يقوم الكهنة على إطعامها والاهتمام بها لأن الهندوسي لا يرى فارقاً بين الحيوان والإنسان... لأن لكل منهما روحاً.... والأرواح تنتقل دائماً بين الحيوان والإنسان.. ولهذا فهي صنوف آلهية نسجت خيوطها في شبكة واحدة لا نهاية لها.

والبقرة أكثر الحيوان قدسية عند الهندوسي.. فلها تماثيل في كل معبد ومنزل وميدان.. وهي تتمتع بحرية مطلقة في ارتياد الطرقات كيف شاءت... ولا يحوز للهندوسي تحت أي ظرف من الظروف أن يأكل لحمها أو يستغل جلدها في أي صناعة من الصناعات وإذا ماتت وجب دفنها بجلال مع أعظم طقوس الدين.

وبالجملة فقد كثرت الآلهة الهندية كثرة فاحشة وتعددت تعدداً غريباً.. حتى وصلت إلى ثلاثة آلهة. ثم أخذ العدد ينحسر حتى انحصرت الآلهة في ثلاثة أقانيم وهي:

1- براهما: الإله الخالق... الذي صدرت عنه جميع الأشياء والذي يرجو لطفه وكرمه جميع الأحياء وينسبون إليه الشمس التي يكون لها الدفء وتجري الحياة في الحيوان والنباتات.

2- سيفا اوسيو: الإله المخرب المفعي الذي تصفر به الأوراق الخضراء..
وفني مياه الأنهار وينسبون إليه النار لأنها عنصر مدمر مخرب.

3- فشنو: الإله الذي يتولى المحافظة على الخلق والوجود.. فكل معاني الخير
والسمو من فيض فشنو وكل الحكماء والصالحين يقومون بالعدل والصلاح.
والفضيلة وينصرون الأخيار على الأشرار بفيض من فشنو.... وأعظم ما يتجسد
فيه فيشنو هو شخصية "كرشنا" وبعد أن أرجع الهندوس كل شيء إلى هذه الآلهة
الثلاثة.

4- عادوا إلى توحيدها في شخص "براهما" وارجعوا إليه كل شيء.. وهكذا
عرف الهندوس مبدأ التفريد "الإله الأعظم" لا عقيدة التوحيد لأنهم لم يفرّدوا
"براهما" في العبادة والخلق والاعتقاد وإنما كان اعتقادهم شبيهاً باعتقاد عرب
الجاهلية حيث كانوا يعتقدون بآله خالق لكل شيء ولكنهم كانوا في الوقت نفسه
يعبدون يعبدون الأوثان لتقربهم إلى الله زلفى⁽¹⁾.

(الديانة الجينية أو الجانتية)

Jainism

لقد تعرضت الديانة الهندوسية شأنها شأن الديانات الأخرى إلى انقسامات وهزات فخلقت فيها ديانات فرعية أو طوائف . وكانت الديانة الجينية والبوذية من تلك الديانات الفرعية.

وفي ظل النظام الطبقي الهندي القديم والذي كان يؤكد على قدسية طبقة البراهمة فقد استبد هؤلاء وتعسفوا بطغيانهم .. وتمنى الناس ظهور روحانية ينقذونهم من ويلات البراهمة.

وكانت طبقة الكاشتريا (Kastria) من أكثر الطبقات الأخرى تحسداً لظلم البراهمة وطغيانهم باعتبارها الطبقة الثانية التي تأتي بعدها في المرتبة وفيها الملوك والمحاربون الذين يفقدون كلمتهم وسطوتهم أمام البراهمة.

وقد ولد (مهاويرا) سنة 599 ق.م زمن طبقة الكاشتريا وهو ابن أمير البلاد وبعد أن عاش في نعيم ويسر اتجه لدراسة الديانة والرهينة على يد البراهمة وقد تعرف على أفكارهم وأسرارهم فانطلق بعد وفاة والده ليتعلم قسوة الحياة وتحسس آلامها⁽¹⁾ فعاش على الكفاف بعيداً عن الغنى ، صائماً عن الكلام طيلة أثني عشر-

(1) انظر : مقارنة الأديان ج 4 للدكتور أحمد شبلي.

عاماً⁽¹⁾. حتى تمرس خلال تلك الأعوام على كل الولايات والمصائب وتعرف على جميع الأسرار الكونية وكشفت له حجب الحقيقة. فعاد بعد اثني عشر عاماً ليشر - بعقيدته الجديدة التي تبدو لأول وهلة أنها تماثل الهندوسية. إلا أنها اختلفت عنها اختلافاً بيناً ولما صارت هذه الدعوى تمثل ثورة على البرهمية فقد تبعه الملوك والقادة والأهالي، وتوفي مهاويرا بعد أن ترك تراثاً ضخماً من التعاليم والوصايا صارت الأساس الأكبر لمعتقدات الطائفة الجينية في الهند.

والجينية التي دعا لها مهاويرا عبارة عن حركة عقلية حرة من سلطة تعاليم الفيدا عمادها الرياضة الجسدية الشاقة وهروبها من الملذات بالعيش في تقشف شديد، ويتبع أفرادها سياسة رهبانية تختلف عن رهبنة البراهمة حيث يهتم (الجيني) بإفناء العواطف الشخصية.

والتعاليم الأولى للجينية تعكس ثورة على معظم معتقدات الهندوسية بما فيها الآلهة فهي أقرب إلى الديانة الإلحادية حيث لا تعترف بآلهة كبيرة للكون خالقة له. وتنصب اعتقاداتها بأن هذه الأرواح خالدة يجري عليها التناسخ.

وبينت فكرة الجينية على المسالمة وعدم الاعتداء والعنف حتى على أصغر المخلوقات والحشرات الصغيرة. ومن مواعظه الأخيرة: "لا تقتل الحيوان لتتخذ منه طعاماً ولا تصد براً ولا بحراً ولا تقتل أدنى المخلوقات في أي وقت ولا تقتل

(1) قصة الديانات - سليمان مظهر ص 126.

البعوضة التي تعضك أو النملة التي تلسعك.. ولا تذهب إلى الحروب ولا تقاتل من يهاجمك ولا تدس دودة على الطريق .. فحتى الدودة لها روح".

ولم ينف مهاويرا آلهة الهندوس رغم عدم إيمانه بها فولد موقفه هذا بعض الغموض عند أتباعه اضطروا إلى اعتباره إلها لهم. وقد راحوا إلى الاعتقاد بأن في الكون أربعة وعشرين (جنيًا) أو آلهًا. كان آخرهم صاحب التعاليم الواسعة مهاويرا. ولكنهم رغم ذلك لم يتمكنوا من إيجاد صيغة معينة للتعبادات والصلاة أو تقديم القرابين. فكان أتباع تعاليم مهاويرا في التدريب على الصبر والمسالمة وتجويع النفس وترويضها على الآلام هي صورة التعبادات التي مارسها الأتباع إلى اليوم.

وتؤمن الجينية كأمرها الهندوسية بالكارما (Karma) (أي قانون الجزاء) وتعتقد بأن التخلص من هذا القانون يتم بالتقشف بالحرمان من الملذات لأن الروح ضعيفة بالكارما أسيرة في يدها ولا سبيل لتخليصها منها إلا بالتطهر من الرغبات وحين ينتهي الإنسان على مر الأيام وبالتناسخ من الرغبات البشرية تتخلص روحه بالكارما وتبقى في نعيم خالد وهذا ما يسميه الجينيون النجاة (Salvation) الذي يعادل (النرفانا) في الهندوسية والبوذية⁽¹⁾.

وهناك طريق للوصول إلى النجاة بأن يتبع الجني ثلاثة سبل في حياته يسمونها بواقيت ، فالياقوتة الأولى هي الاعتقاد الصحيح فعمل الذنوب والرغبات يضعف

(1) راجع The worlds Religions P,107-109 وكذلك مقارنة الأديان - الجزء الرابع - الديانة

الاعتقاد الصحيح بالديانة أما الثانية فهي العلم الصحيح بما في الكون فلا يكون هنالك علم صحيح بأمور الحياة ما لم يكن للمرء اعتقاد صحيح في دينه. والياقوتة الثالثة هي الخلق الصحيح في التخلي عن السيئات والابتعاد عن الاعتداء على المخلوقات والصدى والعفو والإستقامة والتواضع والنظافة والإيثار واعتزال النساء الخ⁽¹⁾.

وتتلخص الديانة الجينية بالتالي:-

1. عدم الإيمان بالطوائف... ولا بالأصنام وعبادتها.. ولا بالصلاة وتقديم القرابين... ولا باله أسمى أو أعلى.. ومن هنا سمي وأتباعه (ملاحدة) ومن قوله: "لا بالصلاة ولا بالقرابين ولا بعبادة الأصنام يمكن أن تجدوا الغفران والطريق إلى الحياة الصالحة ولكن بالعمل الطيب يمكن أن تبلغوا النيرفانا.. في داخل نفوسكم الخلاص".

2. يؤمن الجيني بالجنة والنار والجنان عنده ست وعشرون.. فالروح الصالحة النقية ترتفع حتى تصل إلى الجنة السادسة والعشرين... وعندئذ تدخل

(1) مقارنة الأديان . الجزء الرابع 122 – 123 ومن أقوال مهاويرا : " الطريق إلى النيرفانا هو طريق جواهر النفس الثلاث وهي الاعتقاد الصحيح والمعرفة الحقيقية والسلوك السليم والسلوك السليم يأتي أولاً باتباع الوصايا الخمس للنفس وهي (1) لا تقتل أي كائن حي أو تؤذ بالكلام والتفكير والعمل (2) لا تسرق (3) لا تكذب (4) لا تحيا حياة الفجور (5) لا ترغب في شيء على الإطلاق " انظر مظهر / قصة الديانات ص 140.

النيرفانا والنيران - عندهم - سبع وتقع تحت سطح الأرض .. فالروح الشريرة تهبط وتهبط حتى تجد نفسها ملقاة في أسفل درك الجحيم.

3. وبمضي الزمن لم يثبت الجينيون على تعاليم سيدهم "مهايرا" وإنما بنوا المعابد وعبدوا الأصنام وعلى رأسها تماثيل مهاويرا، إلا أنهم تمسكوا بالتعاليم الأخرى.

فلم ينشغلوا - مثلاً - بالزراعة خوفاً من إلحاق الضرر بالكائنات الحية ورفضوا الانخراط في الجيش .. ولكنهم شقوا طريقهم في الهند بمزاولة الأعمال التجارية والمصرفية . لانه يقل فيها الاعتداء على الأحياء إلى أقصى حد... وكان سبباً في تراثهم الكبير واحتلالهم منزلة رفيعة في الهند . ويبلغ عدد الجينيين الآن حوالي مليون ونصف نسمة من مجموع سكان الهند .. وهم يعيشون على الأغلب - في أعالي الهند على طول نهر الجنجز وفي كلكتا.

الديانة البوذية

"Buddhism"

كان سبب انتشار البوذية في الهند أولاً يعود إلى نفس أسباب انتشار الجينية إذ أن تحكم وتسلط البراهمة أدى إلى نفور الطبقات الأخرى وخاصة الطبقة الحاكمة الكشترية منها فحاولت الإفلات من سيطرتها. ولعل السبب الثاني يكمن في صلب العقيدة الهندوسية . إذ أن وجود آلهة كثيرة تسيطر على الكون وتفرض أنواعاً من التعبدات والالتزامات الدينية قد أعيت الناس.

لقد ولد سدهارتا (Siddhartha) (560هـ - 470 ق.م) مؤسس البوذية أميراً في مملكة كوسالا شرقي الهند ونشأ في بحبوحة من العيش ولكنه كان طيلة حياته يتطلع إلى الفلسفة فكان أكثر ما يحيره في أمر الكون بعض الغوامض التي يصعب تفسيرها كالمرض والشيخوخة والموت، فدأب على دراسة فلسفة الهندوس والبرهمية وتخرج على أيدي فلاسفتهم ، إلا أنه لم يجد الأجوبة الشافية لتساؤلاته⁽¹⁾ . وكانت غوامض الكون دافعاً أساسياً له للترهب واعتزال الدنيا ولذلك دعاه أصحابه غوتاما (Gautama) أي الراهب.

وذهب غوتاما إلى الغابات والكهوف معتزلاً حياة الآخرين ليعيش على الكفاف والتزهد شأنه شأن الرهبان الهندوس في ذلك الحين وقضى في ذلك سنين طويلة وبعد أن أنهكه لجوع وهدده الموت أيقن بأنه لن يحصل على الحقيقة ولن يجد

(1) قصة الديانات / سليمان مظهر ص 89-98.

في هذه الدنيا التي يعيشها سوى الجوع والنسك، فعدل آنذاك عن قراره بإماتة نفسه وقرر الانصراف إلى حاله وفي حلة طريقه جلس تحت شجرة (البو-Bo) المقدسة وأطال جلسته وتقول الكتب البوذية المقدسة أن الحقيقة قد انجلت لغوتاما في تلك الجلسة فخرج بفلسفته وأطال جلسته وتقول الكتب البوذية المقدسة أن الحقيقة قد تجلت لغوتاما في تلك الجلسة فخرج بفلسفته التي تقول (من الخير يجب أن يأتي الخير ومن الشر يجب أن يأتي الشر)⁽¹⁾ فقام من تحت تلك الشجرة التي أصبحت شجرة البوذيين المقدسة فيما بعد ينشر دعوته بين الأمم . وكانت دعوته تنصب على تطهير النفس والعمل على إزالة الآلام. فالمولد ألم والهزم ألم والمرض ألم والموت ألم والاجتماع بغير المألوف ألم والافتراق عن المألوف ألم وعدم الظفر بما يهوى ألم فالإنسان يجب أن يعمل على إعدام الألم ، ولن يعدم ذلك الألم إلا بالاعتقاد الصحيح والعزم الصحيح والقول الصحيح والعمل الصحيح والعيش الصحيح والجهد الصحيح والفكر الصحيح والتأمل الصحيح⁽²⁾ هذه هي الأمور التي لو تمت على وجه صحيح سار الشخص على الجادة وسلك الممر الوسط الذي يوصل إلى حياة سعيدة خالية من الآلام.

أما الرذائل فمنشؤها -عندهم- هو اللذات والانهماك فيها وما تدعو إليه .. وترجع الرذائل إلى أصول ثلاثة:-

(1) الاستسلام للملاذ فإنه يجعل الحياة كلها في ألم مستمر.

(1) المصدر السابق ص 100 ومحمد الهاشمي / الأديان في كفة الميزان ص 16.

(2) مقارنة الأديان ج 4 ص 163 وكذلك (The Worlds Religions (p.121

(2) سوء النية في طلب الأشياء وذلك من تمكن اللذات في النفس ... وهو أيضاً أصل لكثير من الرذائل كالغش والكذب والنميمة.

(3) عدم إدراك الأمور على الوجه الصحيح وغالباً ما يكون منشئة سيطرة الشهوات على النفس فتمنع عنها الإشراف الذي ينشأ من التجرد من الملاذ، والإلهام الذي يكون من هجر الشهوات وهنالك حقائق في الحياة لا بد من إدراكها في العقيدة البوذية وهي أن الألم موجود وإن لهذا الألم سبباً كالشهووات والرغبات وغيرها وإن ذلك السبب قابل للزوال وتعتقد البوذية بتناسخ الأرواح... وأن الإنسان يستمر في الموت والمولد طالما كان بعيداً عن التعاليم والاعتقاد التي تبعده عن النجاه والنيرفانا ولم تعد النيرفانا (Nirvana) في معتقدات بوذا كما هي الهندسية إذ أن بوذا قد أنكر وجود آلهة فالخلاص لن يتم في الاندماج في الله ولكن بوصول الفرد إلى أعلى مراتب الصفاء الروحي بتطهير نفسه والقضاء على جميع الرغائب وفناء الأعراض الشخصية وإنقاذ نفسه من ربكة الكارما ومن تكرار المولد وذلك بالتوقف عن فعل الشر. وهناك بعض القيود التي تمنع المرء من الوصول إلى النيرفانا وهي:

1. الوهم الخادع في خلود النفس.
2. الشك في بوذا وتعاليمه.
3. الاعتقاد في تأثير الطقوس والتقاليد الدينية
4. الشهوة
5. الكراهية
6. الغرور

7. الرغبة في البقاء المادي

8. الكبرياء

9. الجهل⁽¹⁾

ولقد كانت الدعوة البوذية منصبة على إلغاء الطبقات عند الدخول في ديانتها والتنازل عن المال ورفض الرهينة واحترام الحياة والمحبة الشاملة.

وقد ترك بوذا وصايا عشر تجسم فلسفته في الحياة وهي:-

1- لا تزن ولا تأت أي أمر يتصل بالحياة التناسلية إذا كان محرماً .

2- لا تشرب خمراً ولا تتناول مسكراً ما.

3- لا تكذب ولا تقل قولاً غير صحيح.

4- لا تقتل أحداً ولا تقضي على حياة حي.

5- لا تأخذ إلا ما يعطي إليك فلا تسرق ولا تغتصب

6- لا تأكل في الليل طعاماً غير ناضج

7- لا تقتن أثاثاً فاخراً

6- لا ترقص ولا تحضر مرقصاً ولا حفل غناء.

7- لا تستعمل العطور

8- لا تقتن ذهباً ولا فضة².

(1) مقارنة الأديان ص 164 والهاشمي / الأديان في كفة الميزان ص 18.

(2) تاريخ الألهة الكتاب الثاني، ج2 فاروق الدمولوجي ص 45، وابوزهرة / مقارنات الأديان

ص 67 وشلبي / مقارنة الأديان ج4 ص 166.

وللبوذيين كتب مقدسة يعتمدون عليها في تعاليمهم الدينية إلا أنهم يدعون أنها منزلة من الله بل يقولون بأنها مجموعة تعاليم بوذا التي جمعت في عصور مختلفة وهي عبارة عن ثلاث مجموعات من الكتب وتسمى السلال الثلاث (pitakas) وتعرف المجموعة الأولى باسم (سلة النظام أو الطريقة) وتشمل القواعد والنظم التي يسير عليها الرهبان في حياتهم والثانية باسم (سلة العظات) وتضم تعاليم بوذا الأصلية مسلسلّة وفق نظام خاص أما الثالثة. فتعرف (سلة العقائد) وهي المسائل الفلسفية التي يتداولها البوذيون بوجه عام⁽¹⁾. ومن الجدير بالذكر أن الهندوس اعتبروا بوذا أحد آلهتهم فأنحصرت البوذية التي رفضت الديانة الهندوسية - تحت ضغطهم عن الهند ولم يبق فيها إلا عدد ضئيل جداً من أتباعها وتوزعوا في البلدان المجاورة⁽²⁾.

وكيفية الأديان فقد انقسمت الديانة البوذية إلى طائفتين:-

أولاهما: الهينانا (Hinayana) وهذه الطائفة تمسكت بمذهب بوذا باعتباره المعلم العظيم وليس الاله . وتعتقد هذه الطائفة بأن الوصول الى النرفانا يتم في هذه الحياة ويقطن أصحاب هذه العقيدة في جنوب الهند وفي سيلان.

وثانيهما: الماهايانا (Mahayana) وهي تعتقد بالوهية بوذا ولا يصل المرء الى النرفانا إلا بعد المرور في تجارب كثيرة يتكرر فيها مولده ويتنقل عبر حيوات كثيرة وتسود هذه الطائفة في التبت ومنغوليا والصين واليابان⁽³⁾.

(1) قصة الديانات / سلميان مظهر ص 122.

(2) الحماة الثلاثة / أحمد الشتاوي ص 90-91

(3) The worlds Religions (P.127-129)

وفي نهاية بحثنا الموجز عن البوذية نقول:-

(1) إن البوذية لم تكن في الواقع ديانة خالصة وإنما هي فلسفة اجتماعية غايتها تخفيف الآلام عن الناس وإسعادهم.. وإلغاء الطبقات وتحقيق المساواة بين البشر جميعاً لا فرق بين شخص وآخر بنسبه أو وظيفته وإنما بالموهبة والقدرة والعمل ولا فضل لأحد إلا بالمعرفة وسيطرة الإرادة الإنسانية بحيث لا تقوى اللذائذ عليها ولذلك فإن البوذية لم تعن بالبحث فيما وراء الطبيعة.. فلم تتجه إلى الدراسات التي تتصل بالجانب الآلي وليس في تعاليم بوذا شيء عن الله أو عن تقديم القرابين.

(2) إن البوذية كالبرهمية والجينية تؤمن بتناسخ الأرواح، ومعنى ذلك أن الروح بعد أن يموت الشخص تحل في كائن آخر أعلى إن كان صالحاً باراً وأدنى إن كان شريراً شقيماً وربما وصل به التناسخ إلى الخروج عن درجة الإنسان إلى درجة الحيوان حيث تتقمص روح الشرير جسد حيوان.

(3) لعل فلسفة بوذا تتلخص في كلمتين "السلام والحب" السلام لجميع الكائنات وحب الخير وعمل الخير للجميع، على الإنسان أن ينقلب على غضبه بالشفقة وأن يزيل الشر بالخير.. إن الكراهية يستحيل عليها في هذه الدنيا أن تزول بكراهية مثلها، إنما تزول الكراهية بالحب، لا تقتل كائناً حياً، لا تسرق، أو تأخذ ما لم يعط لك... وهكذا استمر بوذا في نشر تعاليمه الإنسانية بين الناس حتى وافاه الجبل المحتوم في عام 470 ق. م.

(4) كثر أتباع بوذا... ويمضي الزمن أخذوا ينسون أن تعاليمه كانت خلقية خالصة ولم تكن ديانة مستقلة.. وأن كل ما يعنيه هو سلوك الناس.. أما الطقوس والشعائر الدينية وما وراء الطبيعة فلم يكن يهتم بها، نسي الأتباع ذلك وراحوا

يؤلهون بوذا نفسه وأخذت كتبهم المقدسة تتحدث عن الإله بوذا ، وتصف كيف تقدم له القرابين .. وبعد أن كان بوذا ينهي عن عبادة الأصنام أقام له أتباعه التماثيل في كل معبد وجعلوا منه إلها يعبد.. وهكذا صارت البوذية ديناً وأصبح لها كهنة .. وأخذوا يفسرون تعاليمه بطرقهم الخاصة ما أدى إلى وقوع الخلاف بين الأتباع وانقسامهم إلى طائفتين : طائفة تقدسه على انه معلم عظيم ويوجد هؤلاء في جنوب الهند وجزيرة سيلان ، وطائفة اعتقدت بألوهيته ويوجد هؤلاء في التبت ومنغوليا والصين واليابان إلى جانب من بقي منهم في الأرجاء الشمالية للهند .. ويبلغ مجموع أتباع بوذا الآن من أربعمئة مليون نسمة.

(5) هناك تشابه كبير بين مهاويرا وبوذا من حيث نشأتها وفلسفتها فقد كان لكل منهما أميراً هندوسياً .. اتصف بالشجاعة والإقبال على دراسة الهندوسية وتزوج كل منهما وعاش سعيداً ثم هجر بيته ليصبح كاهناً متسولاً ووجد كل منهما عيوباً في الديانة الهندوسية دعتهم إلى تبني فلسفة جديدة... وأما التشابه في فلسفتها فقد تبع كل منهما طريق البرهمية في الاعتقاد بالكارما والتناسخ والنرفانا ورفضاً فكرة قدسية الطوائف والخلاص بالصلاة وتقديم القرابين . ولكنهما اختلفا بعد ذلك في رسم قواعد السلوك الصحيح للإنسان فاختار بوذا الطريق الوسط ... طريق الاعتدال واعتقد ان التطرف شر، بينما فاختار مهاويرا طريق تعذيب النفس واعتقد ان التجويع وتعذيب النفس يساعد ان الإنسان على الوصول إلى الحياة الصالحة⁽¹⁾.

(1) انظر : مظهر / قصة الديانات ص 140 - 143.

الفصل الأول الديانة اليهودية عبر التاريخ

الديانة اليهودية عبر التاريخ

تاريخ الديانة اليهودية

من المصطلح عليه عند الباحثين ربط اليهودية بالعبرانيين أو بين إسرائيل ، فإن معظم المعلومات التاريخية عن أصل اليهود قد أتننا عن التوراة ولعل هذا المصدر هو المصدر الوحيد الذي يخبرنا عن الجذور التاريخية للأقوال التي تجمعت تحت لواء الديانة اليهودية.

ونستنتج من هذه المآثر، أن أقدم هذه الهجرات ، كانت من بوادي ما بين النهرين الشمالية والمرجح أن هذه الهجرة قد حدثت في القرن الثامن عشر-ق.م. وتقرن الهجرة الثانية في:

1 - العبرانيون .. وهم عند المؤرخين ، الجماعة الرابعة من الساميين⁽¹⁾ الذين نزحوا أصلاً من بوادي الجزيرة العربية والمفروض أن مجيئهم إلى الجزء الذي سكنوه في بلاد كنعان قد تم في هجرات عديدة مفترضة مستنتجة من التوراة ، وأقدم هذه الهجرات كانت من بوادي ما بين النهرين الشمالية، والمرجح أن هذه الهجرة قد حدثت في القرن الثامن عشر ق.م. أما الهجرة الثانية فيقرن زمنها بهجرة الآراميين في القرن الرابع عشر ق.م.⁽²⁾

(1) يميل الدكتور سامي سعيد الأحمد إلى تسميتهم بالقبائل الجزرية ، انظر (القبائل الجزرية) من منشورات اتحاد المؤرخين العرب.

(2) مفصل العرب واليهود في التأريخ ص/ 85.

وصارت كلمة "عبري" مرادفة لابن الصحراء أو ابن البادية بوجه عام .
لذلك فأن نعت ابراهيم الخليل (عليه السلام) بالعبراني ، كما ورد في التوراة ، إنما أريد به
معنى العبريين "العبيرو" وهم القبائل البدوية العربية ، ومنها القبائل الآرامية
العربية التي ينتمي إليها ابراهيم الخليل (عليه السلام) نفسه ، لذلك يجب التمييز بين
العبري من جهة وبين الإسرائيلي أو اليهودي من جهة أخرى عند الحديث عن
اليهودية وليس لإبراهيم (عليه السلام) أية علاقة باليهود لأنه سبق وجود اليهودية⁽¹⁾.

وقد قال ﷺ في كتابه الكريم " يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما
أنزلت التوراة والإنجيل إلّا من بعده أفلا تعقلون . ما كان إبراهيم يهودياً ولا
نصرانياً ولكن حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين"⁽²⁾ وقد استعمل حاخامات اليهود
كلمة العبري بمعنى اليهودي عند تدوينهم للتوراة في فلسطين⁽³⁾ بعد سقوط دولة
بابل .

2- "إسرائيل" وهو يعقوب حفيد إبراهيم الخليل (عليهما السلام)
وأطلق لفظ بني إسرائيل على أولاد يعقوب (عليه السلام) وقد عاشوا في القرن السابع
عشر قبل الميلاد واستمرت هذه التسمية لمدة (1400) سنة، ولغتهم هي اللغة
الآرامية وهي نفس اللغة التي يتكلم بها الكنعانيون والعموريون في فلسطين .

(1) دائرة المعارف البريطانية ، طبعة طبعة 1965 ج 11 ص / 379.

(2) آل عمران/ 65-67.

(3) دائرة المعارف البريطانية طبعة 1965/ ج 11 ص 379 وانظر كذلك مفصل العرب واليهود
في التأريخ ص / 87 وانظر الموسوعة الفلسطينية ص/ 15 دائرة المعارف البريطانية طبعة
1965 ج 11 ص 379.

واندمج بنو إسرائيل بالمصريين بعد هجرة يعقوب (عليه السلام) وأولاده إلى مصر- لينضموا إلى يوسف (عليه السلام) ولم يظهر لهم أثر تاريخي قبل ظهور النبي موسى (عليه السلام).

3- وأطلقت تسمية (اليهود)¹: على بقايا جماعة يهوذا الذين رحلهم نبوخذ نصر إلى بابل في القرن السادس قبل الميلاد نسبة إلى مملكة يهوذا المنقرضة وقد اقتبس هؤلاء، قبيل الترحيل البابلي لهجتهم العبرية المقتبسة من الآرامية وبها دونوا التوراة. أي بعد زمن موسى (عليه السلام) بثلاثمائة عام. لذلك صارت تعرف هذه الجهة "بآرامية التوراة" وهي بلا شك غير الشريعة التي أنزلت على موسى (عليه السلام) وكان هدفهم من كتابة التوراة تحقيق غرضين رئيسين. أولهما تمجيدهم لأنفسهم ليكونوا صفوة الأقسام البشرية² والشعب المختار الذي اصطفاه الرب من دون بقية الشعوب. ولتحقيق ذلك كان لا بد من إرجاع أصلهم إلى أقدم شخصية قديمة، أي شخصية ابراهيم الخليل (عليه السلام) وقد حالفهم الحظ في سرد تاريخهم حسب أهوائهم مسبغين عليه صبغة دينية ليضمنوا قبوله من أتباعهم فأرجعوا تاريخهم إلى ابراهيم الخليل (عليه السلام) وإلى حفيده يعقوب (عليه السلام) " (إسرائيل) .

وابتدعوا فكرة الشعب المختار والتي أصبحت عقيدة المسيحيين فيما بعد³.

(1) أطلق القرآن الكريم لفظ بني إسرائيل على إتياع موسى (عليه السلام) تارة ولفظ اليهود تارة أخرى، ولم نجد فيه ذكراً للعبرانيين أو الموسويين

(2) انظر مز مور/ 82 لاساف / 6-7 الذي نصه (أنا قلت : أنكم آلهة وبنوا العلي كلكم). كذلك تنثية 1/ 14، وانظر إنجيل يوحنا 1/ 34-35 غير أن توراتهم تدمهم وتعلن تبرؤ ربهم (لأنكم شعبي ، ولا أنا أكون معكم) "هوشع / 1-8.

(3) انظر رسالة بولص الثانية إلى أهل كورنيوس (3/ 6-7، 6/ 16-19) يقول العهد الجديد (أما أنتم فجنس مختار،.. أمة مقدسة شعب اقتناء، الذين قبلاً لم يكونوا شعباً وأما الآن فأنتم شعب الله...) رسالة بطرس الرسول 2/ 9-11 ويؤكدها (فأنكم أنتم هيكل الله الحي..

وجعل اليهود من تاريخهم الموضوع الرئيس الذي تدور حوله جميع الحوادث الواردة في التوراة فعدتهم التوراة موجودين في كل الأدوار التي سبقت ظهور يعقوب (عليه السلام) إلى عالم الوجود أو الأدوار التي حدثت بعد أربعمائة وخمسين عاماً ونسبت كل الذين دخلوا إلى ديانة موسى (عليه السلام) في عهد الملوك والانقسام وزمن الترحيل البابلي إلى بني إسرائيل⁽¹⁾.

أما الهدف الثاني. فهو جعل فلسطين وطناً لهم لتكون مطالبتهم بها صبغة دينية شرعية فجعلوا من ميثاق منح الرب أرض كنعان إلى إبراهيم (عليه السلام) وذريته⁽²⁾. أذنًا لهم بإبادة الكنعانيين هم وأطفالهم وشيوخهم ونسأؤهم ليحلوا محلهم وكذلك إبادة جميع أعدائهم على مر الزمان⁽³⁾.

وأكون لكم أباً وأنتم تكونون لي بنين وبنات) رسالة بولص الثانية / 6-16-19(أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم ، أنتم هيكل الله المقدس) رسالة بولص الرسول إلى أهل كورينوس / 3-16-17 فالمسيحيون بعقيدتهم هم شعب الله المختار المقدس، بل هم هيكل الله المقدس.

(1) أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ص / 90.

(2) لقد كان اسماعيل (عليه السلام) من ذرية ابراهيم (عليه السلام) أيضاً ، فلماذا تقتصر التوراة على عقيدة منح الأرض إلى إسحاق (عليه السلام) وأولاده دون إسماعيل (عليه السلام) ؟ أليس ذلك دليلاً على أن كتبة التوراة قد اخترعوا هذا الوعد ليجعلوا من أرض فلسطين العربية أصلاً موطناً لهم ولأتباعهم دون العرب ؟ هناك بحث تحت عنوان "مشروعية تملك اليهود لفلسطين وتنفيذها من خلال (التوراة) للأستاذ عابد توفيق الهاشمي.

(3) وتكرر الأمر بابادة أعدائهم عشرات المرات في التوراة أمراً من الله لأنبيائهم ومن أمثال هذه النصوص (وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة بل تحرمها تحريماً كما أمر الرب الهك) تثنية 20/16-17 وكثيراً ما تكرر هذه النصوص (بل يبادون كما أمر الرب موسى (لم يبق منها شارد ولا منفلت).

هذا هو الدين الذي جاء به كتبة التوراة ونسبوه إلى إبراهيم (عليه السلام) وإلى يعقوب (عليه السلام) وإلى موسى (عليه السلام) ويشوع الذي وصفته التوراة بالجزار وداود (عليه السلام) الذي تسميه التوراة رجل الدماء زوراً وهؤلاء هم اليهود الذين سماهم القرآن كفاراً لكذبهم على موسى (عليه السلام) وتحريفهم التوراة فيقول الله تعالى فيهم! "ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا وباءوا بغضب من الله. ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق. ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون"¹ وتقسم التوراة أصل بني إسرائيل واليهود خطأ بثلاثة عصور يتضح من خلالها الخلاف التاريخي حول أصلهم وفيما إذا كانوا يمتنون إلى عصر من العصور أو إلى أكثر منها وهذه العصور.

أولاً: عصر الآباء الجوالين

وهم إبراهيم الخليل² وإسحاق ويعقوب (عليهم السلام) وأولاده والذين سكنوا مصر خمسة قرون. ويرجع تاريخ هذا العصر إلى القرن التاسع عشر - قبل الميلاد. واليهود قد ظهروا بعد ذلك بأحد عشر قرناً وهو عصر - يرتبط بالجزيرة العربية وبلغتها الأم وبقبائلها التي سميت فيما بعد بالعرب البائدة لانقراضها.

ويدعي اليهود أن تاريخهم في فلسطين يرجع إلى خمسة آلاف عام. وأن العرب لم يدخلوها إلا بعد الفتح الإسلامي وهذا يشكل أكبر تزييف للواقع التاريخي، وقد

(1) آل عمران / 11.

(2) إن إبراهيم الخليل (عليه السلام) لا علاقة له باليهودية إذ يقول القرآن الكريم (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين) آل عمران 67.

نجح دعاة الصهيونية في الترويج لهذه الخرافة حتى صدقها الكثير من الأوربيين والأمريكان، بل نجحوا فيها حتى صدقها أناس من العرب أيضاً⁽¹⁾.

وقد عدّ اليهود خروج موسى (عليه السلام) من مصر مع أتباعه في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد هجرة ثالثة للebraانيين لكي تبقى سلالتهم نقية غير مختلطة بأجناس أخرى فترتبط بأقدس السلالات البشرية وذلك لتمرير عقيدتهم التي تطلق عليهم لفظ "الشعب المختار"⁽²⁾.

ثانياً : عصر النبي موسى (عليه السلام)

وهو العصر الذي يتدّى برسالة موسى عليه السلام، عندما دعا موسى فرعون إلى توحيد الله والسماح لبني إسرائيل بالهجرة عن مصر حيث يعيشون تحت ذل عبودية الفراعنة لهم ولكن فرعون لم يعترف بها وظل فرعون يعامل بني إسرائيل كما كان يعاملهم من قسوة وحذر، ولما يئس موسى (عليه السلام) من فرعون قاد بني إسرائيل باتجاه البحر للذهاب إلى فلسطين.

ويعين المؤرخون تاريخ خروج موسى وأتباعه من مصر- إلى أرض كنعان (فلسطين) في حوالي سنة 1290 ق.م. يوم كان رمسيس الثاني على عرش مصر-

(1) اقرأ ما كتبه سولوف "كيف نما الشعب اليهودي" اقتطفه الدكتور أحمد سوسة في كتابه "مفصل العرب واليهود في التاريخ" ص/ 94.

(2) هذا لا يعني أن بقية الأجناس لا تعود إلى آدم (عليه السلام) ولكنهم يعنون اختلاط الأجناس وضياع أصولها بينما يعتبرون أنفسهم جنساً نقياً لم يختلط ببقية الأقوام ونسبهم كما يصور لهم كتابهم المقدس واضح ونقي يعود بهم إلى آدم (عليه السلام).

(1300 – 1233 ق.م.) وقدر بعض الباحثين عدد هذه الجماعة آنذاك بحوالي 6000 إلى 7000 عند خروجهم من مصر.

ولما خرج موسى ببني إسرائيل تبعهم فرعون ومعه فريق من جنده ليمنعهم من مواصلة السفر فلحق بهم وقد بلغوا شاطئ خليج السويس ﴿فَلَمَّا تَرَأَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ (١١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿١٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿١٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿١٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٦﴾ ﴿١﴾ فَأَغْرَقَهُمُ اللَّهُ ﴿١٧﴾ ونجا موسى وبنو إسرائيل.

وفي الطريق إلى فلسطين ترك موسى بني إسرائيل بناء على أمر ربه ليصعد إلى جبل الطور ليتلقى من الله الألواح التي فيها الوصايا² العشر والتعليمات التي يسير عليها هو وشعبه.

ولكن لما عاد موسى إلى قومه بعد تسلمه الألواح وجدهم قد عكفوا على عجل من ذهب صنعه لهم السامري ، فزجرهم موسى وغضب غضباً شديداً ولما أمرهم بدخول فلسطين امتنعوا عليه وقالوا له: إن فيها قوماً جبارين وإننا لن ندخلها ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولم يستجب لموسى أحد سوى أخيه هارون ، فغضب الله عليهم وتركهم يتيهون في الصحراء

(1) سورة الشعراء 61، 66. وانظر مقارنة الأديان ، ص 64.

(2) انظر وصايا العشر، محاضرات في اليهودية والنصرانية ، ص 5.

أربعين سنة، ومات هارون ثم موسى في فترة التيه، ودفن هارون في جبل هور، ودفن موسى في كتيب أحر، حيث كان يرى أرض فلسطين دون أن يدخلها¹.

ثالثاً: العصر الذي ظهرت فيه التسمية (اليهودية) إلى جانب (بني إسرائيل)

ويبدأ في القرن السادس قبل الميلاد في أعقاب الترحيل البابلي . أي منذ كتابة التوراة على يد الكهنة في بابل باللغة التي صارت تعرف بالعبرية أو (بآرامية التوراة) والتوراة التي نعرفها اليوم هي غير التوراة التي نزلت على موسى (ﷺ) إذ تبين منها أن اليهود قد انحرفوا عن ديانة موسى (ﷺ) وعبدوا الأوثان وابتدعوا إلهاً خاصاً بهم هو (يهوه) لا يهمه من العالم والخلق غير اليهود "شعبه المختار" وذلك على غرار مبدأ لتفريد الذي اعتنقه الأقوام القديمة².

وقد أخذ اليهود ذلك من البابليين عندما دونوا توراتهم في بابل.

من هو اليهودي ؟

كل مولود لأم يهودية فهو يهودي، ولا يعتبر يهودياً من يتحول إلى الديانة اليهودية استناداً إلى عقيدة يهودية صحيحة، لأنها ديانة مغلقة، ومؤخراً صار المولود لأب يهودي وأم غير يهودية من بعض الطوائف اليهودية يهودياً إذا ترعرع المولود حسب الضوابط والأعراف اليهودية.

(1) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان، ص 566. وانظر مقارنة الأديان (اليهودية)، ص 68-69.

(2) يقوم مبدأ التفريد على تعظيم آله معينة من مجموعة آلهة يؤمن بها مجتمع غير موحد... وقد عرف المصريون والبابليون وكثير من الشعوب البدائية القديمة بمبدأ التفريد الذي يقابل مبدأ التوحيد لتفصيل ذلك راجع الأديان دراسة تاريخية مقارنة ص / 65.

يُعتبر الشخص يهودياً (بينهم) وإن لم يمارس والشعائر اليهودية، وتنطبق التسمية أيضاً على اليهودي الذي لا يعترف بالعقائد اليهودية ويضرب بها عرض الحائط أما إذا اختار اليهودي ديانة أخرى يعتنقها كالمسيحية أو البوذية فهذا يخرج عن ملة اليهود ويصبح مرتداً.

من أين هم؟

قليل هم الذين هادوا، أي مالوا عن دين موسى أو هم الذين تهودوا. ويقول (عمرو بن العلاء) لأنهم يتهودون، أي يتحركون عند قراءة التوراة [تفسير ابن كثير 1/ 103، 2/ 8، 3/ 21 - مجمع البيان في تفسير القرآن 1/ 125] عقيدة اليهود كما صورها القرآن الكريم.

الدين اليهودي مجموعة من العقائد والشعائر والطقوس وقواعد السلوك والأخلاق تراكت وتبلورت ونضجت على مدى آلاف السنين.

وصفهم الله ﷻ في القرآن بأفضل وصف، يقول ﷻ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَاللِّثْنَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ [النساء 4: 163]. فالعقيدة الأصلية لبني إسرائيل هي الإيمان بالله الواحد الأحد. الفرد الصمد. والإيمان بالملائكة والرسل وبالكتاب واليوم الآخر، وما يتصل بذلك من الحساب، ومن الثواب أو العقاب هذه هي أسس العقيدة لدى بني إسرائيل وقد صورها القرآن واضحة جلية في كثير من آياته المحكمات، ولكن بني إسرائيل ثاروا بوجه أنبيائهم ورفضوا الاستجابة لهم. وهاجموهم بل وقتلوا

بعضهم ، واستبد بهم الضلال والجحود فعبدوا غير الله وأنكروا البعث ونسبوا لأنبيائهم ما لا يمكن أن يصدر عنهم⁽¹⁾.

وعلى هذا فإن القرآن قد صور حالة بني إسرائيل أحسن تصوير !! إذ قال فيهم...

أ- ﴿ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلِيلَ وَالْمَسَكَنَةَ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ [البقرة: 2: 61].

ب- ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً ﴾ [البقرة: 2: 74].

ج- ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكَبَرْتُمْ فَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: 87].

د- ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: 3: 71].

ويضيف د. محمد إبراهيم الفيومي⁽²⁾ ملحوظة ظريفة حيث يقول: "ومن صور المنهج الرفيع في القرآن، استعمال اسمين عند التحدث عن العبرانيين: فهم تارة "اليهود"، وتارة "بنو إسرائيل". وتقوم عبارة (الذين هادوا) في بعض المواضع مقام لفظ "اليهود". والقرآن الكريم حينما يستعمل الاسمين لا يفعل لأنها مترادفان - كما يقول مثلاً: المسيح ، وعيسى بن مريم - بل يطلق عليهم : اليهود،

(1) [اليهودية : أحمد شلبي / ص142].

(2) في الفكر الديني الجاهلي "ص86 و87.

والذين "هادوا" في موضع السخط أو التنديد بشتى أعمالهم ، أو عند حكاية ما أصابهم من الذل والعبودية لفساد طويتهم وسوء نيتهم، أما إذا جاءت مواضع في القرآن الكريم تذكر بفضل الله على هؤلاء القوم ذاتهم أو اصطفاء الله لهم وإسناد الرسالة إلى رجال منهم وإسباغ الحكمة والنبوءة عليهم.. الخ أما الشيء الذي لم يرد في القرآن: فهو مصطلح (عبري وعبراني) لم يرد في القرآن مطلقاً.

أما عهد الهجرة الأولى:

فبحسب مآثر التوراة وقصصها ، فهو زمن الآباء الأول ، وأولهم إبراهيم ، حيث جاء في سفر (التكوين) أنه جاء من أور⁽¹⁾ الكلدانيين مع عائلته وبزعامته أبيه (تارح) إلى (حران) التي قضى (تارح) نحبه فيها، تقول التوراة (سفر يوشع : 24: 5) هكذا قال الرب آله إسرائيل آباؤكم سكنوا عبر النهر منذ الدهر ، تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور - عبدوا آلهة أخرى فأخذت أباكم إبراهيم من عبر النهر وسرت به في كل أرض كنعان، فأكثر نسله وأعطيته اسحق وأعطيته اسحق يعقوب وعيسو وأعطيته عيسو جبل سعيير ليملكه ، وأما يعقوب وبنوه فنزلوا إلى مصر وهكذا فعلى خلاف أبيه الذي آمن بدين قومه المتمثل في عبادة الظواهر الطبيعية وخاصة الشمس والقمر - فإن إبراهيم بهدى من عقله المتأمل في ملكوت السموات والأرض نبذ الوثنية وآمن باله واحد لا شريك له ولا مثيل.

(1) لا يرد ذكر مدينة (أور) العراقية القديمة ، في الترجمة السبعينية الإغريقية للتوراة ومع ذلك فإن المؤتمر الصهيوني الأول دعا إلى جعل جنوب العراق ووسطه، الوطن القومي لليهود، بناء على هذه المآثر التي تجعل الوطن الأول لإبراهيم - مدينة أور الكلدانية.

ومن حران انتقل ابراهيم بقومه إلى أرض كنعان، حيث عقد مع الرب العهد أو الميثاق، تقول التوراة (سفر التكوين، 9:17) ولما كان إبرام ابن تسع وتسعين سنة، ظهر الرب لإبرام وقال له: انا الله القدير. سر أمامي وكن كاملاً، فاجعل عهدي بيني وبينك وأكثر كثيراً جداً فسقط إبرام على وجهه وتكلم الله معه قائلاً: أما أنا فهو ذا عهدي معك وتكوين أباً لجمهور من الأمم، فلا يدعى اسمك بعد إبرام، بل يكون اسمك ابراهيم. وكان العهد – كما تقول التوراة يتضمن:

أولاً: الاعتقاد بإله واحد قدير، اختار بني إسرائيل – من بين الأمم لحمل رسالتها ومن هنا جاءت أسطورة شعب الله المختار.

وثانياً: الأخذ بسنة الختان، كعلامة على الدخول في العهد والميثاق، تقول التوراة (سفر التكوين: 15-8) قال له أنا الرب (أنا يهوه) الذي أتى بك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض وترثها، وتقول التوراة (سفر التكوين 11:17) كل ذكر منكم، تحتنون في لحم غرلتكم. فيكون علامة عهد بيني وبينكم.

استوطن ابراهيم في مبدأ الأمر في (حبرون)، وبعد ذهابه إلى مصر- وعودته منها ولد له اسحق الذي ولد له يعقوب، الذي فضل من بعد إقامته عدة سنين في (فدان آرام) على عيسو وجعل وريث أبيه وبدل اسمه إلى (إسرائيل) ومعناه: الإله أيل يحكم، تقول التوراة التكوين: 35:9) لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل يكون اسمك إسرائيل، كما يدعى عيسو بادوم، أي الأحمر، وسميت من بعده ذريته بالأدوميين، وهكذا أخرجت التوراة عيسو من العبرانيين كما أخرجت – من بعد – إسماعيل، ولد ابراهيم من جاريته المصرية حيث فضل عليه أخوه اسحق، وجاء من يعقوب الأسباط الاثنا عشر، وكان يوسف الحادي عشر لراحيل الأكبر، قد بيع في

مصر، ونال حظوة في بلاط الفرعون ، وبعد أحفاد يوسف وأحفاد أخوته في مصر بعدة أجيال ، رجعوا كما تقول التوراة إلى فلسطين بقيادة النبي - موسى - وذلك حوالي سنة 1280 ق.م. وهذه هي بداية الهجرة الثالثة التي تضم أحداثها أشياء كثيرة تمكننا من اعتبارها ، التاريخ الحقيقي للأسرائيليين (التكوين 36-50).

ومن المرجح ، أن الضغط اشتد على العبرانيين في عهد رمسيس (1299-1272 ق.م) وهو الفرعون الذي لم يعرف يوسف (سفر التكوين 8: 1) ، فاضطرت القبائل إلى الهجرة عن مصر ، وبعد تجوال دام فترة طويلة في طور سينا والجهات القريبة منه - وهذا هو التيه المشهور - قادهم النبي موسى - فلقى الوحي والنبوة والعهد المأثور من الله في مدين ، في الجزء الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة سيناء - صوب رض كنعان، وبينما - موسى يرعى غنمه، قرب جبل حوريب (جبل موسى بصوت السماء يناديه من شجرة مستعلة: أن عد إلى أخوتك في مصر- لتخرجهم منها وتنقذهم من عنت فرعونها، فتقول التوراة (سفر الخروج 3: 2) وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط، عليقة، فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار، والعليقة لم تكن تحترق.... فلما رآه الرب أنه مال لينظر، ناداه الله من وسط العليقة وقال: موسى موسى ، فقال، هاأنذا ، فقال : لا تقترب إلى هاهنا، اخلع حذائك، لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة . ثم قال : أنا آله أبيك إبراهيم، وآله اسحق وآله يعقوب، فقال موسى لله ... فإذا قالوا لي ما اسمه ، فإذا أقول لهم. فقال الله لموسى (أهيه الذي أهيه - أنا من أنا يهوه) (أنني أنا الله)... هكذا تقول لبني إسرائيل : أهيه أرسلني إليكم. وقال الله لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم، إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم ، هذا اسمي إلى

الأبد وأنزل على موسى الألواح - أي الوصايا العشر - وفيها : (سفر الخروج 20: 16)¹ أنا الرب إلهك الذي أخرجك من مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، ولا تصنع تمثالاً منحوتاً ولا صورة، لا تسجد لهن ولا تعبدن ... واصنع إحساناً إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً، لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً (4) اذكر يوم السبت لتقدس، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك، وإنما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك، لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمنتك ونزليك الذي داخل أبوابك، لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع، لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه (5) أكرم أباك وأمك (6) لا تقتل (7) لا تزني (8) لا تسرق (9) لا تشهد على قريبك شهادة زور (10) لا تشته بيت قريبك، لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمتة ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك.

الخروج من مصر

لا يعلم عدد الموسويين حين الخروج من مصر - بالضبط، ولعلها لم تكن تتجاوز السبعة آلاف نفساً، وقد تعرضوا في سيرهم لبعض القبائل والمدن التي دمروها وأحرقوها وقتلوا أطفالاً كل ذلك - كما تقول التوراة بأمر الآلهة يهوه (سفر

(1) تجمع المصادر العبرية أن اسم موسى عبراني، مشتق من الفعل: ماثا، ومعناه: الخارج ولكن بعض المؤرخين، منهم فايلى الفيلسوف اليهودي (50م) يرون بأن اسمه مصري، معناه في المصرية القديمة (الطفل).

يوشع 6: 24) (وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها) وقد أعان موسى في مهمة القيادة والتوجه، هارون ويوشع الذي قام بالناس بعد وفاة موسى وأحسن قيادة بني إسرائيل، ويحتفل اليهود عادة بذكرى الخروج من مصر- في عيد معروف بـ (السدر) يأكلون أثناءه خبزاً فطيراً يسمونه بالعبرية (ماتزة)، ويرمزون به إلى ثلاثة أمور: الفقر الذي كانت تعيش الجماعات الإسرائيلية في مصر، وليذكر اليهود السرعة التي كان أجدادهم عليها ساعة هروبهم من مصر، وإلى الحياة البسيطة التي كانوا يحبونها في التيه.

وبعد تمكن الموسويين من الأجزاء التي احتلوها في فلسطين، اختلطوا بسكان المنطقة بالتزاوج فتكاثروا، كما انظم إليهم أقرباؤهم الذين كانوا في البلاد قبلهم ، ويؤخذ من التوراة أنهم قسموا ما استولوا عليه من الأراضي بين إحدى عشرة قبيلة من قبائلهم الاثنتي عشرة المنسوبة إلى الأسباط ، أما القبيلة الثانية عشرة، وهي قبيلة لاوي، فقد وزعت بين القبائل اليهودية الأخرى لتقوم لها بإدارة الشؤون الدينية بهيئة كهنة وأحبار ومعلمين . وبعد هذه الوحدة القومية والدينية التي يسرت لبني إسرائيل أرض كنعان ، مر اليهود بفترة عصيبة تشتت فيها الوحدة القومية وارتدت إسرائيل عن دين التوحيد فمن الناحية السياسية، انحلت عقدة القبائل ، وقد عبر سفر القضاة عن ذلك ، فتقول التوراة (سفر القضاة: 17م) وفي تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل ، كل واحد كان يعمل ما يحسن في عينه، أما من الناحية الدينية، فقد زحفت إلى اليهودية الكثير من معتقدات الكنعانيين الوثنية مثل: تقديم الأبناء قرايين للآلهة وامتهان الفحش المقدس، حيث كان العذارى ينذر أنفسهن حال بلوغهن للآلهة، وذلك بممارسة البغاء مع زوار ذلك الإله ومريديه، وعادة البكاء

على الإله تموز والاحتفال بالأعياد الوثنية مثل عيد الخصوبة، ونصبوا تماثيل آله الخصب (تيرافيم)، بل من اليهود من ارتد بالكلية عن عبادة الإله الواحد-يهوه، (الإله بعل) ومنهم من جمع في عقيدته بين الوثنية والتوحيد، فبعد الإله يهوه، باعتباره الإله القومي الحارس لإسرائيل، والإله بعل، أنها ألهاً للخصب وجمع الكروم، وهكذا انتهت إسرائيل إلى فوضى عامة شملت الحياة الدينية والسياسية. تقول التوراة (سفر ارمز 7:7-17) أَسْرَقُونَ وَتَقْتُلُونَ وَتَزْنُونَ وَتَحْلِفُونَ كَذِباً، وَتَبْخَرُونَ لِلْعَجَلِ.. أما ترى ماذا يعملون في مدن يهوذا وفي شوارع أورشليم الأبناء حطباء والآباء يوقدون النار، والنساء يعجنن ليصنعن كعكاً لملكة السموات (عشروت).

وبل عصر الاستيطان والفوضى التي تلتها، والذي ينتهي ببويع عهد القضاة، الذي يشغل بوجه التقريب الربع الأخير من القرن الثاني عشر-ق.م. أما هؤلاء القضاة واسمهم في العبرانية (شوفيطم)، جمع شوفيط، فلم يكونوا في الواقع زعماء قوميين وحكما وإنما رؤساء قبليين برزوا أزمان الشدائد لقيادة قومهم في الحرب مع الأقوام المجاورة منهم شمشون الجبار وعلى عهد صموئيل - آخر القضاة - انتهت الردة الدينية والزندقة، فأعيدت عبادة يهوه وفي هذا العهد وقعت بين الإسرائيليين والأقوام الفلسطينية⁽¹⁾، سكان البلاد، حروب انتهت سنة 1050 ق.م. بهزيمة الإسرائيليين وتشتت قواهم.

(1) الفلسطينيون: أقوام بحرية عرفت بالقوة واستعمال الحديد، واستقروا على امتداد الشاطئ في سلسلة من المدن أصبحت أهمها وأعظمها: غزة، واشدود وعسقلان، والفلسطينيون نزحوا ابتداء من البحر والمناطق الشالية، ومن الباحثين من يسوي بينهم وبين الهكسوس.

وهكذا وبسبب هذه الهزائم المتلاحقة، وتقليداً لما كان متوارثاً عند الأقوام المجاورة فقد استحدث الإسرائيليون نظام الملكية، وكان ذلك بتعيين أول ملك عليهم وهو شاؤول (في حدود سنة 1020 ق.م) الذي يحدد بداية تأريخ اليهود كمجموعة لها كيان سياسي فتروى التوراة أن اليهود طلبوا من زعيمهم الديني صموئيل، وأن يعين لهم ملكاً ليحكم ويقضي- بينهم مثل الأقوام والشعوب الأخرى (سفر صموئيل: 8: 5)، (اجعل لنا ملكاً يقضي لنا كسائر الشعوب)، وبعد معارضته لهم، خوف تسلط هؤلاء الملوك واستبدادهم، انصاع لطلبهم، بعد أن قيد سلطان الملك المعين في دستور وضعه أما الرب يهوه، تقول التوراة (سفر صموئيل: 10: 25) فكلّم صموئيل بقضاء المملكة وكتبه في السفر ووضع أمام الرب. وكان شاؤول قد عرف في قومه بالقوة والبطولة (فكان أطول من كل الشعب من كتفه فما فوق. فقال صموئيل أمام جميع الشعب: أرايتم الذي اختاره الرب، أنه ليس مثله في جميع الشعب، فهتف كل الشعب وقالوا: ليحيى الملك).

وتفيد أسفار التوراة، أن شاؤول لم يكن كفؤاً لتحمل أعباء الحكم فأخفق في إنقاذ قومه من نفوذ الفلسطينيين، وفي معركة اشتبك فيها معهم، قتل أبناؤه الثلاثة، وجرح هو جرحاً خطيراً، وانتحر فقطع الأعداء رأسه وعلقوا جسده وأودعوا درعه وسلاحه قرباناً للإله عشتروت (سفر صموئيل: 31: 1: 10) فلما جاء الفلسطينيون ليعدوا القتلى وجدوا شاؤول وبنيه الثلاثة ساقطين، فقطعوا رأسه ونزعوا سلاحه وأرسلوا إلى أرض الفلسطينيين في كل جهة، لأجل التبشير في بيت أصنامهم وفي الشعب، ووضعوا سلاحه في بيت عشتروت، وسمروا جسده على سور بيت شان.

وخلف شاؤول في الحكم داود، الذي وحد البلاد واتخذ أورشليم عاصمة له، وأقام معبد الإله يهوه جاعلاً عبادته الديانة الرسمية للمملكة، وقصة داود كما

تسردها التوراة تحوي من قتل وسفك ودماء واغتيالات يأخذ بعضها برقاب بعض مما يجعله أشبه بتاريخ بعض رؤساء المتوحشين، منها بتاريخ، بني مرسل. ثم خلفه سليمان، الذي بنى الهيكل¹ ليستقر فيه تابوت العهد القديم² الرمز المقدس للعبرانيين الأقدمين، وكان قبل بناء الهيكل يوضع في فسطاط كبير، وينقل من مكان مرتفع إلى آخر³ وكانت القرايين تقدم عادة لرب إسرائيل عدد من الأماكن المرتفعة المختلفة. أما الآن فقد أدخل التابوت بين الروائع الذهبية الموجودة في حجرة

(1) الهيكل، أو المعبد، بناء سليمان، بعد أن أقدم الملك (حيرام) ملك صور مشاهير البنائين، وجمع الأدوات اللازمة للبناء من خشب وخلافه، وكان المعبد السليمانى يتجه شرقاً ويبلغ طوله ثلاثين متراً وعرضه عشرة أمتار وارتفاعه خمسة عشر متراً، وهو ينقسم إلى مكانين: مكان يعرف باسم (دبير) وآخر (هيكل)، وفي الجهة الغربية يقوم قدس الأقداس، وكان مكعباً تبلغ مساحته نحو عشرة أمتار مكعبة وفي قدس الأقداس هذا يوجد التابوت، أنظر: التوراة سفر الملوك الأول، الإصحاح السادس، وما بعده وقد هدم الهيكل مرات عديدة في التاريخ، هدمه نبوخذ نصر سنة 568 وسنة 598 م. وانطيوخوس ابيفانوس سنة 168، وطيّطس سنة 70 م.

(2) تابوت العهد القديم: هو صندوق خشبي طوله ذراعان ونصف ذراع، وعرضه ذراع ونصف ذراع، وكذا ارتفاعه، وتغطيه من الداخل والخارج صفائح من الذهب النقي ويحيط به الكيل من الذهب، وبه أربع حلقات من الذهب في قوائمه الأربع وعصوين من الخشب المغشى بالذهب تدخل في الحلقات الجانبية ليحمل التابوت بهما، وتوضع في التابوت الوصايا العشر المحفورة على لوحين حجريين، يعرفان باسم لوحى الشهادة، اللوح الواحد يشتمل على خمس وصايا (صفر الخروج: الإصحاح: 25/26).

(3) هذا التقليد سرى إلى عرب الجاهلية، حيث كانت القبيلة تضع صنمها أو وثنها في خيمة على ناقه، وكانت تلتف من حول الخيمة، خاصة في شدة الحرب وعنفوانها وكان شيخ القبيلة غالباً يحلف بالألّا يستسلم حتى تسقط الخيمة.

داخلية من معبد كسيت جدرانه الحجرية بخشب الأرز، ووضع بين تمثالين لهما أجنحة، ومصنوعين من خشب الزيتون المذهب، وتحتّم منذ هذا العهد ألا تقدم القرابين على غير مذبح الهيكل. وتذكر التوراة أنه كان لسليمان سبع مائة زوجة وثلاثمائة سريّة، وأن بعض نسوته أمّلت قلبه وأوقعنه في الوثنية، فتقول التوراة (سفر الملوك الأول : 11:7): (وكانت له سبع مائة من النساء السيدات ، وثلاث مئة من السراي، فأملت نساؤه قلبه وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أمّلت قلب وراء آلهة أخرى ، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب آله، كقلب داود أبيه، فذهب سليمان وراء عشروت آلهة الصيدونيين . والواقع أن وصف الكتاب المقدس لسليمان يصوره لنا - كما يقول ويلز - ملكاً متقلباً كغيره من الملوك، لا يفضل البتة أيّا منهم في تمسكه بأهداب دينه ويمثل لنا شعباً معتقداً الخرافات وذا عقلية مبيلة ككل شعوب العالم المحيط بهم.

وفي زمن ابن سليمان وخلفه، لسوء تصرفه - كما تقول التوراة - وطيشه (سفر الملوك الأول : 12:11) (أبي أدبكم بالسياط وأنا أوذبكم بالعقارب) رفضت عشر قبائل الاعتراف به ملكاً، واختارت بدلاً عنه رئيس الجمعية (يربعام) من سبط (افرايم) فتكونت من هذه القبائل العشر- المملكة الشمالية التي عرفت باسم إسرائيل، وكانت عاصمتها السامرة، وتألّف من القبليتين الباقيتين وهما (يهوذا) و(بنيامين) اللتين بقيتا على عهد رحبعام المملكة الجنوبية التي عرفت باسم مملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم.

وقد صحب انقسام المملكة ردة إسرائيل ثانية إلى عبادة الأرباب من دون الله ، فظهرت حركة قوية جديدة يدعو أصحابها الناس إلى التمسك بعبادة الآلهة يهوه ، ونبد الشرك والطقوس الوثنية ، وقد سموا أنفسهم بـ (الأبنيال) وأول هؤلاء

الأنبياء، أليحا، إيليا، الذي اعترض على عبادة البعل وتسوية الإسرائيليين بينه وبين يهوه في العبادة وقد مات اليحا دون أن يحقق ما أراد، ثم جاء من بعده تلميذ (اليشع) الذي حاول إعادة القوم إلى العبادة الصحيحة، عن طريق ثورة أثارها في قصر الملك وانتهت بقتل الملك أحاب وزوجته إيزابيل وإلى مقتل جميع كهنة الآلهة بعل، تقول التوراة (سفر الملوك الأول : 18- وما بعده)، فقال إيليا قد غرت غيرة للرب، آله الجنود لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك ، وقتلوا أنبياءك بالسيف، فبقيت أنا وحدي، وهم يطلبون نفسي- ليأخذوها، وترى المآثر العبرانية أن إيليا صعد في العاصفة إلى السماء ونفسه حية في مركبة من نار وخيل من نار (سفر الملوك الثاني).

وفي هذه الفترة قامت سلسلة حروب عسكرية وفتن دينية، واختلافات في الرأي والعقيدة : أوهنت قوة الإسرائيليين، وقد صادف ذلك ازدهار قوة الآشوريين، فاندفعوا في حملات سريعة إلى فتح بلاد الشام، وفي زمن سرجون ، سنة 722 ق.م. هاجم الآشوريون، مملكة إسرائيل وحاصروا عاصمتها السامرة ودمروها وأجلوا زهرة رجال المملكة إلى خارج البلاد (وبهذه الضربة الآشورية انتهت مملكة الشمال فصارت مملكة يهوذا مركز إسرائيل الديني ومحور تأريخها. وقد تعرضت يهوذا هي الأخرى، بعد قرن وثلث إلى هجمات المصريين أولاً، ومن بعدهم لضربات البابليين حيث حاصروا عاصمتها أورشليم سنة 597 ق.م، وأسروا ملكها (يهويقيم) ونقل بالسلاسل إلى بابل ، ثم لما ثارت أورشليم ثانية ، وجاء نبوخذنصر، على رأس حملة قوية وحاصرها فاستسلمت بعد حصار قصير الأمد، وأخذ نبوخذ نصر ملك يهوذا وزوجته وموظفيه و 7000 من جنده أسرى

إلى بابل، وهذا هو الأسر البابلي الأول - ثم ثارت أورشليم بعد ذلك بسنين قليلة وبتحريض من مصر، غضب نبوخذ نصر غضباً شديداً وأرسل حملة قوية حاصرت أورشليم وبعد حصار دام زهاء السنة ونصف السنة، سقطت أورشليم سنة 586. ولما حاول ملكها التمس الهرب قبض عليه وأخذ إلى مقر قيادة الملك لبابلي، فذبح أبناءه أمام عينيّه، ثم فقئت عيناه هو، وقيّد بالسلاسل حيث أخذ مع الأسرى، وعددهم 50,000 إلى بابل، أما المدن المهمة في مملكة يهوذا، فقد خربت خراباً تاماً، وهذا هو الأسر البابلي الثاني، وقد جرى بين اليهود والبابليين في فترة السبي التي دامت قرابة خمسين سنة، تمازج عنصري وفكري عميق، والحقيقة المجردة التي يمكن استخلاصها من روايات التوراة (هي أن اليهود ذهبوا إلى بابل همجاً وعادوا منها متمدينين، وخرجوا جمهوراً مخلطاً منقسماً على نفسه، لا يربطهم وعي ذاتي وطني، وعادوا بروح وطنية قومية شديدة وجنوح إلى الاعتزال، جعلهم ينادون بجانبهم عمن عداهم، ذهبوا وليس لهم أدب مشترك معروف بينهم كافة) إذ لم يحدث إلا قبل الأسر بأربعين عاماً أن اكتشف الملك يوشع كما يقال (كتاباً للقانون) في المعبد، وفيما عدا ذلك فليست هناك أي إشارة في السجل إلى تلاوتهم أي كتاب) فعادوا إلى وطنهم ومعهم القسم الأكبر من مادة العهد القديم، وواضح أن اليهود وقد تخلصوا من ملوكهم القتلة المتنازعين، وحجبوا عن السياسة، عاشوا في ذلك الجوّ الباعث على النشاط الذهني في العالم البابلي فان العقل اليهودي، ما لبث في أثناء مدة الأسر، أن خطا إلى الأمام خطوة عظيمة.

ولما قضى الفرس الاخمينيون على الكلدانيين بزعامة كورش (539ق.م - 538ق.م) أصدرُوا أوامرههم بالسماح لمن أرتد من اليهود العودة إلى كنعان، وسمع

كورش لهم بإعادة بناء أورشليم والهيكل وقد رحب اليهود بهذا الإجراء الفارسي، ونعتوا كورش من أجله، بالمخلص الإلهي، أو المسيح المنتظر، تقول التوراة (سفر شعيا 1:45/28:44) هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذي أمسكت بيمينه لادوس أمامه فتذكر أسفار عزرا ونحميا، أن عدد الذين عادوا بلغ 42360 فرداً، وهذا العدد، مما لا يميل البحث المعاصر الى صحته¹.

وعندما فتح الإسكندر المقدوني سنة 333 ق.م، المالك الشرقية، خضعت له فلسطين كغيرها من المناطق، ولم يكن الإسكندر مجرد فاتح عسكري وإنما كان يرمي من حملاته نشر الثقافة الهيلينية في الأراضي المفتوحة بكل أوجهها: فنها وفلسفتها وأدبها. وفي الوقت الذي تأثرت فيه معظم شعوب البلاد المفتوحة بالثقافة الإغريقية فان اليهود - عامة - عاشوا في عزلة فكرية عنها، باعتبار أنها ثقافة وثنية تناقض في روحها تعاليم التوراة، وما فيها من دعوة الى التوحيد، وقد تسامح الإسكندر معهم

(1) هاجر أحفاد يهود السبي بقيادة زورو بابل (أي بذرة بابل وهو حفيد جيهوياكيم، ملك اليهودي الذي سباه نبوخذنصر) الى فلسطين، ومعهم كنائز الهيكل التي سلبها نبوخذنصر. وصار هو أول حاكم على فلسطين يحكمها باسم الإمبراطورية الفارسية فشرع بعيد بناء الهيكل، وهناك بقية ثانية عادت بسماح من الملك الفارسي بقيادة نحميا وأخرى بقيادة عزرا، وقد أتم عزرا بناء الهيكل وأخذ القسم والعهد من اليهود للمحافظة على الشريعة والسير بموجبها، وفي هذه الفترة اكتملت كتابة الأسفار الخمسة الأسس الثابتة للأعياد المهمة، وحددت أوقات الصوم، وظهرت طبقة المعلمين والكهنة والحاخامات، والمجامع الدينية والرأي الراجح عند الباحثين أن عقيدة البعث الأخروي سرت إلى اليهودية في هذه الفترة بتأثيرات الديانة الزرادشتية، إذ ليس ثمة إشارة قبل سفر دانيال إلى العقيدة في أسفار التوراة الأخرى، ولهذا أيضا فقد اختلف اليهود بشأنها، فأمنت بها فرقة الفريسيين ورددتها فرقة الصوفيين كما سنرى.

في موافقتهم وترك لهم حرية التعبير عن معتقداتهم الدينية وإنائها وتطويرها كما يشاءون، وتمتع اليهود بتسامح مائل في عهد البطالسة الذين خلفوا الإسكندر في حكم الممالك التي فتحها، إلا أن يهود مصر - الخاضعين للبطالسة، تأثروا تلقائياً بالفلسفة، وأخذت على نفسها التبشير بالثقافة الإغريقية وقام فيللو الاسكندراني (50م) وجماعته بترجمة التوراة الى اليونانية عرفت فيما بعد بـ (الترجمة السبعينية - السيتوجنت)، إلا أن اثر الثقافة اليونانية بلغت أوجها عند بعض اليهود، فترك بعضهم الالتزام بأحكام التوراة وتركوا السبت وعادة الختان، وظهر الشبان اليهود في تقليد لليونان، عراة في ساحات الألعاب، وبدأ العهر المقدس ينتشر بين اليهود، ثم اتخذ الأمر صورة الإكراه والإكراه، حيث عملت فئة من اليهود المرتدين، وعلى رأسها جاسون الذي عينته السلطات الحاكمة حاخاماً أكبر، على فرض ثقافتهم على اليهود المحافظين المتشددين، وفرضه عقوبة الموت على من يلتزم السبت والختان ويحرم الخنزير وأحرقت الكتب المقدسة وصار امتلاكها جريمة كبرى، وحول المعبد والهيكل إلى معبد وثني للإله زوس رأس الآلهة الإغريقية، حيث صار لحم الخنزير يقدم على مذبح، إمعاناً في تحقير اليهود. وعلى كل حال، فإن هذه الفترة شهدت حملات واضطهاد وعنق وقسوة قلما شهد اليهود نظيراً لها في التاريخ، وإزاء هذه الحالة، قامت ثورة فكرية وسياسية عرفت باسم زعيمها (ميتاس) اشتركت فيها الجماعات اليهودية بدوافع دينية ورغبة في الحفاظ على التقاليد الموروثة، وقد انتظمت هذه الجماعات الثورية في صورة (عصابات) صغيرة انتشرت في البلاد وصارت تعمل جاهدة من اجل القضاء على البدع الوثنية. فجهز الجيش حملة تأديبية ضارية ضدهم، واختارت لهم يوم السبت، حيث لا تجوز الحركة أو الدفاع عن النفس - فانتهت الحركة من غير مقاومة، ومن حينها أصدرت الجهات اليهودية فتوى صارت

من التقاليد المعترف بها - أوجبت على اليهودي المضطهد المكره الدفاع عن نفسه، حتى وإن كان اليوم يوم السبت. وبعد موت زعيم الحركة وفشلها، ترأس حركة المقاومة أبناءه الخمسة، خصوصاً يهودا المكابي (الفأس الحديدي) وباسمه عرفت الحركة المكابية، وقد أحدث بعض قادتهم ثورة في أسلوب المقاومة، من حرب الخنادق إلى الهجمات الليلية المباغتة والسريعة، استطاع بها تحرير الأرض وإنقاذ القدس واستعادة المعبد، وذلك في 25/ نوفمبر/ سنة 165 ق.م، وهو اليوم الذي يحتفل به اليهود بإشعال الشموع في عيد معروف عندهم بـ (الخانوكه - الإهداء-) ومدته ثمانية أيام، ثم عقد اليهود بعد ذلك، بينهم وبين السلطات الرومانية الحاكمة، منحوا بموجبه حرية العبادة تبعاً لتقاليدهم الدينية.

وبظهور السيد المسيح - انقسم اليهود على أنفسهم إلى جماعتين، الأولى، يهودية مسيحية، أيدت المسيح وناصرت دعوته، وأخرى عارضته وبقيت على شرعة التوراة. وكانت الجماعة المؤيدة لا تختلف بأداء الأمر عن بقية اليهود، إلا من اعتقادها بأن عيسى، هو المسيح المنتظر، وفيما عدا ذلك التزمت بتقاليد الدين اليهودي وأحكامه، فكان أفرادها يؤدون الصلوات في بيت التوراة، ويزورون الهيكل ويعظمون جملة الشعائر الدينية اليهودية، ثم لما تطورت العقيدة المسيحية ودخلها التثليث صارت ديناً جديداً له ملامحه المميزة الخاصة، يقول أهله بالتثليث، وعرفوا بـ (المسيحيين) أي أتباع المسيح. وفي القرون الأولى للمسيحية تجاذبت اليهود المقيمين في فلسطين حظوظ متباينة من التسامح والاضطهاد حتى سنة 70م، حيث ثار اليهود على السلطات الرومانية، فقام (تيتوس) بتدمير أورشليم وحرق الهيكل وبناء معبد للإله (جوبيتر) محله، وقتل اليهود في مذبحه عامة تفرقوا على

أثرها عن البلاد، وبدأت فترة الضياع الحقيقية لليهود في المهجر (Diaspora) والتجأ من نجا منهم الى شمالي جزيرة العرب، حيث سكنوا الواحات الغربية في فدك وتيماء ويثرب وغيرها. ثم استمر اليهود في ثوراتهم ضد الرومان مرات عديدة على عهد تراجان (سنة 106م) وعلى عهد هادريان (سنة 130م)، وقد قتل الأخير منهم الخلق الكثير وسبب الآخرين إلى روما. ثم لما صارت المسيحية الدين الرسمي للدولة الرومانية في عهد الإمبراطور قسطنطين سنة 313م، صارت القدس، العاصمة الدينية للمسيحية، وجعل يوم الأحد، بدل السبت يوم عطلة وراحة، صار التهود بدعة دينية، وجريمة سياسية يستحق صاحبها العنت والاضطهاد، وأغلقت المدارس الدينية، وبلغت الحياة العامة لليهود حدا لا يطاق، وعلى مدى القرون الوسطى أظهر المسيحيون عداً مفعماً بكل صور العنت والاضطهاد لليهود، حتى اجبروا على الحياة في أوروبا في مناطق مخصوصة لا يجوز لهم تجاوزها عرفت بالكيثو (أي المناطق الفقيرة).

وفي العراق، أيضاً حل باليهود على أيدي الفرس الساسانيين الاضطهاد والقسوة، وذلك خلال عهد الملك الفارسي يزدجرد الثاني (438م) الذي أصدر أوامره - تحت تأثير الكهنة المجوس من عبدة النار - بإنزال العقوبات بيهود بابل، وقد بلغت حملات الاضطهاد الديني أوجها زمن ابنه (فيروز) حيث أغلق معاهدهم الدينية بتحريض من (مزدك) إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً، حيث عادة الحياة إلى طبيعتها بعد موت مزدك.

وبظهور الإسلام، عاد لليهود أمنهم وحريتهم، وأخذ اليهود يقبلون على فلسطين بعد أن حرموا منها قروناً طويلة واستمر حال اليهودية في النمو والتطور

بفضل سماح الإسلام والمسلمين وهكذا ارتفع شأن اليهودية وعلا حيث ساد حكم الإسلام وقد بلغ التسامح أوج صورته في مصر- وفلسطين، حيث كان الحكم البيزنطي قبل الإسلام لا يكتفي بتنظيم الشؤون الدنيوية لليهود فحسب، بل كان الحكام يتدخلون حتى في شؤونهم الدينية الخالصة كما رأينا. أما الأندلس الإسلامية حيث حل العرب المسلمون محل المسيحيين، فقد انتقل الحال باليهود من قتل وتشريد وظلم وحرمان، الى رخاء وطمأنينة لم ير اليهود مثلها قط، بلغت الثقافة اليهودية في ظل العرب هناك درجة من النضج والتألق لم تعرفه من قبل، واستمر الحال على هذا المنوال حتى أخرج العرب من الأندلس فاضطر المسيحيون يهودها على اعتناق المسيحية، وسامتهم محاكم التفتيش شتى أنواع العذاب من حرق وقتل وتعذيب ومطاردة، بل تدنت منزلة اليهودي حتى صار يباع كالعبيد.

وفي العصور الحديثة، قامت في أوروبا حركة فكرية بين اليهود، استطاعت بما لها من قوة ونفوذ، أن تحمل رجال الثورة الفرنسية سنة 1791 على الاعتراف لليهود بحق المواطنة الكاملة، اجتماعياً وسياسياً وعقائدياً، ومنح نابليون نفس الحقوق والامتيازات لليهود ايطاليا وغرب ألمانيا.

وهكذا ظلت اليهودية في مهب الريح تتقاذفها الأمواج العاتية عبر التاريخ وظلت صريعة حركة فكرية قامت فيها شقتها الى فئتين متخاصمتين: محافظة: بزعامة سمسون روفائيل هيرش، ومتحررة: يتزعمها تلامذة مندلسون- وجاءت أخيراً- في أواخر القرن التاسع عشر- الحركة الصهيونية، فاتخذت من الجماعة مطية تحقق بها ومن خلالها وبمعاونة الاستعمار العالمي، حلمها في إنشاء موطن

قومي لليهود في فلسطين على حساب العرب والمسلمين، ونجحت في تحقيق حلمها الخبيث.

التأسيس وأبرز الشخصيات

❖ موسى عليه السلام: رجل من بني إسرائيل، ولد في مصر أيام فرعونها رمسيس الثاني على الأرجح 1301-124 ق.م وقد تربى في قصر هذا الفرعون بعد أن ألقته أمه في النهر داخل تابوت عندما خافت عليه من فرعون، الذي كان يقتل أبناء بني إسرائيل. ولما شب قتل مصرياً مما دفعه للهرب إلى مدين حيث عمل راعياً لدى شيخ صالح هناك قيل أنه شعيب عليه السلام الذي زوجه إحدى ابنتيه.

❖ في طريق عودته إلى مصر- أوحى الله إليه في سيناء بالرسالة، وأمره أن يذهب هو وأخوه هارون إلى فرعون لدعوته ولخلاص بني إسرائيل، فأعرض عنهما فرعون وناصبهم العدا، فخرج موسى ببني إسرائيل وقد كان ذلك سنة 1213 ق.م في عهد فرعونها منفتاح الذي خلف أباه رمسيس الثاني، ولحق بهم هذا الفرعون، لكن الله أغرقه في اليوم، ونجا موسى وقومه.

❖ في صحراء سيناء صعد موسى الجبل ليكلم ربه وليستلم الألواح، لكنه لما عاد وجد غالب قومه قد عكفوا على عجل من ذهب صنعه لهم السامري فزجرهم موسى، ولما أمرهم بدخول فلسطين امتنعوا عليه وقالوا له: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (٢٢) فلما حاورهم رجال من بني جلدتهم في ذلك قالوا لموسى: ﴿إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ﴾ (٢٤)

(المائدة: 24)، هنا دعا موسى على قومه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (المائدة: 25). فغضب الله عليهم وتركهم يتيهون في الصحراء أربعين سنة مات خلالها موسى ودفن في كتيب أحمر دون أن يدخل فلسطين.

❖ مات كذلك أخوه هارون ودفن في جبل هور، ويذكر المؤرخون أن الذين كانوا مع موسى ماتوا كلهم في التيه، باستثناء اثنين كان يوشع أحدهما.

❖ يوشع بن نون: تولى القيادة بعد موسى عليه السلام، ودخل بني إسرائيل عن طريق شرقي الأردن إلى أريحا، وقد مات يوشع سنة 1130 ق.م.

❖ تم تقسيم الأرض المفتوحة بين الإثني عشر سبطاً، الذين كان يحكمهم قضاة من الكهنة، وقد ظهرت فيهم خلال ذلك قاضية اسمها دبورة، واستمر هذا العهد العشائري البدائي حوالي قرن من الزمان حسب تقدير المؤرخين.

❖ في زمن آخر القضاة صموئيل صار شاؤول: صار ملكاً عليهم وهو الذي يسميه القرآن طالوت، وهو الذي قادهم في معارك ضارية ضد من حولهم، وكان داود قائداً لجنوده، وفي إحدى المعارك تغلب داود على جالوت قائد الفلسطينيين ومن هنا برز داود النبي القائد داود عليه السلام أصبح الملك الثاني فيهم، وقد بقي الملك في أولاده وراثياً، واتخذ من أورشليم (القدس) عاصمة ملكه مشيداً الهيكل المقدس، ناقلاً إليه التابوت، وقد دام حكمه أربعين سنة.

❖ سليمان بن داود عليهما السلام: خلف أباه، وقد علا نجمه حتى أنه صهر فرعون مصر شيشنق ودانت له سبأ، لكن مكله انكمش بعد مماته مقتصرأً على غرب الأردن.

❖ رجبام: الذي صار ملكاً سنة 935 ق.م إلا أنه لم يحظ بمبايعة الأسباط،
فمال عنه بنو إسرائيل إلى أخيه يربعام، مما أدى إلى انقسام المملكة الى قسمين:

- شمالية اسمها إسرائيل وعاصمتها شكيم.

- جنوبية اسمها يهوذا وعاصمتها أورشليم.

- حكم في كل من المملكتين 19 ملكاً، واتصل الملك في ذرية سليمان في مملكة
يهوذا فيما تنقل في عدد من الأسر في مملكة إسرائيل.

❖ عاموس: نبي (*) ظهر حوالي سنة 750 ق.م. وهو أقدم أنبياء العهد
القديم الذين وردت أقوالهم إلينا مكتوبة إذ عاش أيام يربعام الثاني 783-
743 ق.م.

❖ وقع اليهود الإسرائيليون في سنة 721 ق.م. تحت قبضة الآشوريين في عهد
الملك سرجون الثاني ملك آشور فزالوا من التاريخ، وسقطت مملكة يهوذا تحت
قبضة البابليين سنة 586 ق.م، وقد دمر نبوخذ نصر (بختنصر-) أورشليم والمعبد
وسبى اليهود إلى بابل وهذا هو التدمير الأول.

❖ أشعيا: عاش في القرن الثامن ق.م وقد كان من مستشاري الملك حزقيال
ملك يهوذا 729-668 ق.م.

❖ أرميا: 650-580 ق.م ندد بأخطاء قومه، وتنبأ بسقوط أورشليم، ونادى
بالخضوع للملك بابل مما جعل اليهود يضطهدونه ويعتدون عليه.

❖ حزقيال: ظهر في القرن السادس قبل الميلاد، قال بالبعث والحساب وبالمسيح (*) الذي سيجيء من نسل داود ليصبح ملكاً على اليهود، وقد عاصر فترة سقوط مملكة يهوذا- أبعد إلى بابل بعد استسلام أورشليم.

❖ دانيال: أعلن مستقبل الشعب الإسرائيلي اذ كان مشتهراً بالمنامات والرؤى الرمزية، وقد وعد شعبه بالخلاص على يد المسيح.

❖ سنة 538 ق.م احتل قورش ملك الفرس بلاد بابل وقد سمح لهم قورش بالعودة الى فلسطين، ولكن لم يرجع منهم إلا القليل.

❖ في سنة 320 ق.م آل الحكم في فلسطين الى الإسكندر الأكبر ومن بعده إلى البطالمة.

❖ في سنة 20 ق.م بنى هيرودس هيكل سليمان من جديد، وقد ظل الهيكل حتى سنة 70 م حيث دمر الإمبراطور تيطس المدينة وأحرق الهيكل، وهذا هو التدمير الثاني. وقد جاء اوريانوس سنة 135 م ليزيل معالم المدينة تماماً ويتخلص من اليهود بقتلهم وتشريدهم، وقد بنى هيكلًا وثنيًا (اسمه جوبيتار) مكان الهيكل المقدس، وقد استمر الهيكل الوثني حتى دمره النصارى في عهد الإمبراطور قسطنطين.

❖ في سنة 636م فتح المسلمون فلسطين وأجلوا عنها الرومان، وقد اشترط عليهم صفرونيوس بطريرك النصارى أن لا يسكن المدينة أحد من اليهود.

❖ في سنة 1897م بدأت الحركة الجديدة لليهود تحت اسم الصهيونية، لبناء دولة إسرائيل على أرض فلسطين (يراجع بحث الصهيونية).

الفصل الثاني

الكتب اليهودية المقدسة

الباب الثاني

83

الكتب اليهودية المقدسة

84

العهد القديم

أطلق اسم العهد القديم في العصور المسيحية على تلك الأسفار التي اعتمدها اليهود كمصدر مقدس لهم وذلك للتفرقة بينها وبين العهد الجديد إنجيل المسيحيين. والمسيحيون يقدسون كلا العهدين فالعهد القديم ليس ملغياً عندهم¹. وزعم اليهود بأن هذه الأسفار أسفار مقدسة أي موحى بها إلى الأنبياء كالطورا² التي تحتوي على الأسفار الخمسة أو أنها كتبت عن طريق الإلهام بعد الأنبياء³.

ويراد بكلمة العهد في هاتين التسميتين ما يرادف الميثاق ومعنى ذلك إن كلا العهدين تمثل ميثاقاً أخذه الله على الناس ليؤمنوا به ويعملوا به، وأخذ هذا المعنى من سفر الخروج في التورا "8 / 24" وفيه (وأخذ موسى الدم ورشه على الشعب وقال: هو ذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال⁴).

(1) مقارنة الأديان للأستاذ الدكتور سعدون الساموك 190.

(2) التورا التي أنزلها الله على سيدنا موسى فقدت بعد تخريب نبوخذ نصر (بختنصر-) أورشليم والمعبود وسبى اليهود إلى بابل سنة 586 ق.م. أما التورا التي بين أيديهم فهي محرفة كتبها مجموعة رجال السنهدين بعد السبي البابلي في ظل الحكم الفارسي. وكان مجلس السنهدين مؤلفاً من مئة وعشرين عضواً بينهم عزرا ونمحميا ودانيال وحجازي وغيرهم وقيل إن عزرا هو الذي كتب الأسفار مقارنة الأديان للدكتور سعدون الساموك 190.

(3) عقائد أهل الكتاب دراسة في نصوص العهدين ، الأستاذ أحمد مختار رمزي 7.

(4) الأسفار المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرافهم، د. محمود بن عبد الرحمن قدح 330.

ومما يجدر التنبيه إليه أن اليهود قد وضعوا مصطلحات خاصة لكتبهم ليسهل الرجوع إليها ومن تلك المصطلحات.

السفر:

يعني الكتاب أو الباب، وجمعه أسفار وله عنوان أو مسمى، فيقال مثلاً: سفر التكوين سفر الخروج ونحوه.

الإصحاح:-

يعني الفصل حيث إن السفر يشتمل على عدة إصحاحات، ولكل إصحاح رقم، فيقال مثلاً: الإصحاح الأول، الإصحاح الثاني وهكذا، وقد يرمز له (صح).

الفقرة:

وتعني العبارة أو النص فالإصحاح الواحد يحتوي على عدة فقرات أو نصوص مرقمة.

كما تختصر تلك المصطلحات في رموز معينة ، مثلاً.

(تك/ 7 / 21 - 35)، ومعناه سفر التكوين الإصحاح السابع من الفقرة الحادية والعشرين إلى الفقرة الخامسة والثلاثين¹.

والعهد القديم كما قلنا عبارة عن مجموعة الأسفار التي جمعها رجال المجمع الأكبر (السنةدين) الذي تأسس عقب العودة من السبي البابلي، وكان مؤلفاً من مائة وعشرين عضواً ينظرون في شؤون الشعب، فوضعوا الصلوات اليومية المتبعة

(1)المصدر السابق 31.

إلى اليوم تقريباً، وكان يتكون من - عزرا - نحemia - زورو بابل - دانيال - حجازي - زكريا - ملاكي - مردخاي وغيرهم.

وقد جمع هذا الكتاب منذ عهد عزرا الكاتب، ويعرف بالأربعة والعشرين سفرًا والحقيقة فإن مجموع أسفاره تسعة وثلاثين غير أنهم يحسبون كل سفر مزدوج مثل صموئيل. الأول والثاني، والسلوك الأول والثاني، والأخبار الأول والثاني، سفرًا واحدًا وعزرا نمحميا وأسفار الملوك الأثني عشر- سفرًا واحدًا، فيكون مجموعها أربعة وعشرين سفرًا، ومجموع إصحاحاتها 929 إصحاحًا.

أما لفظ (تناخ) فمأخوذ من أول حرف من أحرف الأقسام الثلاثة الأولى: التوراة، الأنبياء .

الكتب والصحف

القسم الأول: التوراة

وهو القسم الأول من العهد القديم ويعرف في العبرانية بـ (تورا). وقد اختلف الباحثون العرب في أصل معناها، فمنهم من قال إنه علم اخترع ووسع ليدل على الوحي الذي نزل على موسى (ع) / ، هذا ما قاله الشافعي رحمه الله (ومنهم من قال أنها مشتقة، أصلها من : الوري ، من وري - الزند، يرى وريا: إذا خرجت ناره يريد أن التوراة : ضياء ونور، ومنه قوله تعالى: (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور وينسب هذا الرأي إلى الفراء.

قال القاسمي في تفسيره (4/ 749) التوراة اسم عبراني، معناه (الشرعية) أو لفظة يونانية معناها (البشرى) أي الخبر الحسن هذا هو الصواب، كما نص عليه علماء الكتابين في مصنفاتهم . وقد حاول بعض الأدباء تطبيقها على أوزان لغة العرب واشتقاقها منها وهو خبط بغير علم. قال الزمخشري في الكشاف (7/ 170) التوراة والإنجيل اسمان أعجميان، والاشتغال باشتقاقهما غير مفيد.

ومصطلح التوراة في العبرية يضم الأسفار الخمسة فقط (البتاتوخ) ، أما في العبرية فالمصطلح يوازي العهد القديم كله أي (1) الأسفار الخمسة (2) وأسفار الأنبياء (3) الكتب والصحف .

أما الأسفار الخمسة فهي:

أ- سفر التكوين أو الخليقة:

وفيه ذكر خلق العالم، وقصة العالم، وقصة آدم وحواء وأولادهما ونوح والطوفان ثم قصة ابراهيم عليه السلام وأبناؤه : اسحق وابنه ويعقوب وعيسو ثم قصة يوسف، وأشارت إلى إسماعيل وأمه هاجر، وهجرة العبرانيين إلى مصر (مصر-رايم) بسبب القحط العظيم الذي أصابهم .

ويسمى سفر الخلق أيضاً ويقع في خمسين إصحاحاً يقص تاريخ العالم من تكوين السموات والأرض إلى استقرار أولاد يعقوب في أرض مصر وفيه تفصيل

قصة آدم وحواء ونوح والطوفان ونسل سام بن نوح وخاصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط⁽¹⁾.

ب- سفر الخروج: ويقع في أربعين إصحاحاً ويعرض هذا السفر تاريخ بني إسرائيل في مصر وقصة موسى عليه السلام ودعوته فرعون إلى توحيد الله وخروجه مع بني إسرائيل من مصر إلى سيناء ورحلة التيه التي قضوها أربعين عاماً المشار إليه في القرآن الكريم وفيه الوصايا العشر وطائفة من الأحكام والشريعات⁽²⁾.

ج- سفر اللاويين: ويقع في سبعة وعشرين إصحاحاً وقد شغل معظم هذا السفر بشؤون العبادات وخاصة ما تعلق بالأضحية والقرايين والمحرمات من الحيوانات والطيور، واللايون هم نسل لاوي أو توليفي أحد أبناء يعقوب عليه السلام وكانوا سدنة الهيكل والمشرّفون على شؤون المذابح والقرايين والقوامين على الشريعة اليهودية ومن ثم نسب إليهم هذا الكتاب الذي شغل معظمه بما يشرفون عليه من عبادات ومعاملات⁽³⁾.

د- سفر العدد: ويقع في سبعة وثلاثين إصحاحاً يتعلق معظمه بالعد والإحصاء عن قبائل بني إسرائيل وجيوشهم وكثير مما يمكن إحصاؤه من شؤونهم ويتخلل ذلك بعض الأحكام وبيان واجبات الكهنة واللاويين وامتيازاتهم⁽⁴⁾.

(1) الأسفار المقدسة 333، عقائد أهل الكتاب 8.

(2) الأسفار المقدسة 333.

(3) مقارنة الأديان د. محمد أحمد الخطيب 91.

(4) الأسفار المقدسة 334.

هـ- سفر التثنية:- ويقع في أربع وثلاثين إصحاحاً ويسمى سفر الإشتراع أو تثنية الشريعة لأنه أعيد فيه ذكر الوصايا العشر مرة ثانية وفيه الأحكام والتشريعات المتنوعة وينتهي هذا السفر بوفاة موسى عليه السلام ودفنه وبه تنتهي التوراة⁽¹⁾.

القسم الثاني: أسفار الأنبياء

ويتألف من واحد وعشرين سفرًا وهي تنقسم إلى قسمين:-

أ- الأنبياء الأول (المتقدمين):- وتبحث أسفارهم في تاريخ أتباع موسى عليه السلام بعد وفاته إلى خراب الهيكل وأورشليم ويتخلله بعض الوصايا والأحكام والتشريعات وهذه الأسفار هي يوشع، القضاة، صموئيل الأول والثاني، والملوك الأول والثاني⁽²⁾.

ب:- أسفار الأنبياء الآخرين:- عددها خمسة عشر سفرًا وتتضمن تاريخ بني إسرائيل أثناء فترة السبي البابلي ثم عودة بعضهم إلى فلسطين تحت الحكم الفارسي ثم إعادة بناء هيكل سليمان مرة ثانية وفيها بعض النبوءات والأحكام⁽³⁾.

القسم الثالث : الكتب والصحف

تتألف من اثني عشر سفرًا وهي مجموعة أسفار يغلب عليها الطابع الأدبي شعراً أو نثراً وبعضها يتضمن تراثاً من القصص والحكم والمواعظ والأدعية وفيها تمجيد بطولاتهم في الاستقرار بفلسطين مثل مزامير داود (150) مزمور ، أمثال

(1)المصدر السابق 334.

(2) مقارنة الأديان : د.سعدون الساموك 192.

(3)الأسفار المقدسة 334.

سليمان (31) إصحاح سفر أيوب فيه (42) إصحاح ، نشيد الأناشيد (8) إصحاحات ، سفر أخبار الأيام الأول والثاني، وهكذا¹.

ومما تجدر الإشارة به أن لليهود أسفار مقدسة أخرى تسمى بـ (الأبوكريفا) أي الكتب غير القانونية أو الخفية التي لم تقبل عندما تقرر تسجيل أسفار العهد القديم في وضعها الذي ذكرناه ولا يمكن أن يقف عليه عوام الناس ويسميها بعض الباحثين من اليهود (الكتابات الخارجة) ولكن بأي سلطة وبناء على أي مقياس أخرجت هذه النصوص؟؟² وهذا نوع من التحريف والتزييف الذي أشار إليه القرآن الكريم ، قال تعالى : **﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يَبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَالَهُ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾** (3).

أنظار العلماء في محتوى العهد القديم:

لقد استغرق جمع وتدوين محتويات العهد القديم فترة زمنية طويلة ترنو على الألف سنة، من 1200 ق.م. إلى 100 ق.م، ويرى علماء اليهود أن ما نزل على موسى والأنبياء من بعده، قد نقل شفاهاً بالتواتر حتى تمكن رجل المجمع الأكبر الذي تألف بعد العودة من السبي البابلي من تدوينه وتنظيمه على صورته الحالية، ومن ثم فهم يرون بأن الكتاب يعود إلى موسى والأنبياء من بعده، إلا أن النزعة

(1) الأسفار المقدسة 335.

(2) المصدر السابق 335.

(3) سورة الأنعام / 91

العلمية وطريقة البحث التاريخي القائمة على النقد والتجريح، كادت أن تنتهي في القرن التاسع عشر إلى الإنكار التام لصحة ما ورد في التوراة منسوبة إلى موسى. إلا أن التنقيبات الأثرية التي أجريت في فلسطين، والتي انتهت بالعثور على مجموعة من المخطوطات التي عرفت فيما بعد بـ (مخطوطات البحر الميت) قد دعت العلماء إلى تعديل بعض من الشكوك التي أثارها حول سند بعض رواياته التاريخية.

أما علماءنا - قديما وحديثا - فيمكن أجمال رأيهم فيه فيما يلي:-

1. قال قوم أنها - أي التوراة - كلها أو أكثرها مبدلة مغيرة، ليست في التوراة التي أنزلها الله على موسى -ع- وتعرض هؤلاء لتناقضها وتكذيب بعضها لبعض، ومن ذهب إلى هذا الرأي ابن حزم الأندلسي، في كتابه (الفصل).

2. وذهبت طائفة أخرى من أئمة الحديث والفقه والكلام - مثل الإمام البخاري في صحيحة، والرازي في تفسيره، إلى أن التبديل وقع في التأويل لا في التنزيل.

3. وذهبت طائفة منهم ابن تيمية الحراني، إلى أنه قد زيد فيها وغير اللفظ، ولكنها أكثرها باق على ما أنزل عليه، والتبديل في يسير منها جداً يقول الهاشمي في تفسيرها (6/ 2085): شرائع هذه الكتب وأوامرها ونواهيها هي أقل أقسامها وتحريفاً. وأكثر التحريف في القصص والأخبار والعقائد وما ماثلها.

والذي يصح عندنا ونرجحه، ما ذكره صاحب تفسير المنار إذ يقول (3/

156): والتوراة في عرف القرآن، هي ما أنزله الله تعالى من الوحي على موسى عليه الصلاة والسلام ليلبغه قومه لعلمهم يهتدون به، وقد بين الله تعالى أن قومه لم يحفظوه كله، إذ قال في سورة المائدة (5/ 13): (ونسوا خطأ مما ذكروا به)، كما

أخبر في آيات أخر أنهم (حرفوا الكلم عن مواضعه)، وذلك فيما حفظوه واعتقدوه، فهي كوثيقة تاريخية يتطرق إليها أكثر من شك، ففيه التحريف وفيه الزيادة والحشو، وهي كوثيقة دينية، مليئة بالمخازي التي لا تتصور عقلاً صدوره عن جهة السماء، واتهامات بالمجون والخلاعة والردة للأنبياء مما يسمو عنها مقام النبوة ومرد كل هذا الفترة الطويلة التي استغرقت قرابة ألف عام والتي جمعت ورتبت فيها التوراة.

الشريعة الشفوية (التلمود)

لم يعر المؤرخون العرب القدماء أهمية كبيرة لشريعة اليهود الشفوية والتي يطلق عليها اسم (التلمود) رغم أنها توضح عقيدتهم أكثر من كتابهم المقدس (التوراة) حتى أن قسماً كبيراً من فلاسفتهم وحكمائهم يعتبر الشريعة الشفوية أكثر أهمية من التوراة نفسها، إذ لا أهمية لليهودي بدون معرفة أحكام التلمود. والتلمود كلمة مشتقة من كلمة (لوميد) العبرية التي تعني (دراسة) وهي شبيهة بكلمة تلميذ (العربية).

والتلمود في اللغة :- كلمة عبرية مستخرجة من كلمة لوميد وتعني تعليم أو تعاليم⁽¹⁾.

وفي الاصطلاح :-

يقول المؤرخ اليهودي شاهين ماكريوس التلمود كتاب تعليم ديانة وآداب اليهود أو كتاب العقائد التي تفسر وتبسط كل معارف اليهود وتعاليمهم⁽²⁾.

(1) الاسفار المقدسة 351.

(2) تاريخ الإسرائيليين 111. شاهين ماكريوس نقلاً من كتاب الأسفار المقدسة 351.

فالتلمود ليس وحياً من الله تعالى بل هي أقوال مكتوبة كالعهد القديم من قبل
الأحبار والفقهاء المنتمين إلى فرقة الفريسيين دونت وجمعت في القرن الثاني
الميلادي⁽¹⁾.

أقسام التلمود:

ينقسم التلمود إلى قسمين رئيسيين هما (المشنا) و (الجمارا) وتعريفها
كالآتي:-

أولاً: المشنا (المشنة) :

ومعناه الشريعة المكررة، وهو بمثابة المتن، وهو عبارة عن مجموعة من
الشرائع والتقاليد والروايات اليهودية المختلفة المروية على الألسن لقرون عديدة إلى
أن دونها الحاخام (يهوذا هاناسي) في نهاية القرن الثاني بعد الميلاد زاعمين بأن
موسى تلقاها من الله ثم نقل مشافهة من موسى جيلاً بعد جيل إلى أن جمعها
الحاخام يهوذا. ولذلك يسمى اليهود التلمود بالتوراة الشفوية⁽²⁾.

وتنقسم المشنا إلى ستة أقسام وهي كالآتي:

- 1- كتاب زراعيم : أي البذور أو الإنتاج الزراعي، ويحتوي على إحدى عشرة
رسالة يتضمن القوانين الخاصة بالأرض والزراعة.
- 2- كتاب موعيد: أي العيد، ويحتوي على اثني عشرة رسالة يتضمن الأحكام
الدينية والفرائض الخاصة بالسبت وبقية الأعياد والأيام المقدسة.

(1) مقارنة الأديان : د. سعدون الساموك.

(2) الأسفار المقدسة 352.

- 3- كتاب ناشيم: أي النساء، ويحتوي على سبعة فصول فيه النظم والأحكام الخاصة بالنساء كالزواج والطلاق وعلاقات اليهود بالوثنيين.
- 4- كتاب نزيقين: أي الأضرار والجنايات، ويحتوي على عشرة فصول في القوانين المدنية والجنائية بما في ذلك القصاص والعقوبات والتعويضات.
- 5- كتاب قداشيم: أي المقدسات، ويحتوي على أحد عشر فصلاً فيه الشرائع الخاصة بالقرابين وخدمة الهيكل.
- 6- كتاب طهاروت: أي الطهارة، وهي اثنتا عشرة رسالة يتضمن الأحكام الخاصة بما هو طاهر وما هو نجس وما هو حلال وما هو حرام من المأكولات والمشروبات وغيرها¹.

ثانياً: الجمارا:

ومعناه التكملة أو الإكمال.

وهو عبارة عن مجموعة شروحات وتعليقات واستنباطات الأخبار عن المشنا وأساطير وخرافات وأقوال مروية عن حاخامات اليهود من طائفة الربانيين وقد كتبت باللغة الآرامية.

○ والجيارا نوعان:

1- جمارا بابل

2- جمارا أورشليم

وهذا التقسيم يرجع إلى اختلاف مركز البحث العلمي والديني لليهود
ومكان تمرکز أحبارهم.

▪ فجمارا بابل:

هي تلك الشروحات والحواشي على المشنا كتبه الأحبار في بابل (العراق) أيام
السبي البابلي.

▪ وأما جمارا أورشليم:

فهو عبارة عن شروحات وحواشي أحبار اليهود في أورشليم (فلسطين) ممن
بقي هناك من فلول اليهود أو ممن جاؤوا إليها متسللين أو ممن بقي هناك متخفين
أثناء السبي.

وبناء على ما ذكرنا فقد ظهر هناك تلمودان

الأول : تلمود بابل: المكون من المشنا وجمارا بابل، ويسمى أيضاً بالتلمود
الشرقي، وهو المتداول بين اليهود والمراد عند الإطلاق .

الثاني : تلمود أورشليم : وهو المكون من المشنا وجمارا أورشليم ، ويسمى
أيضاً بالتلمود الغربي.

ويتميز التلمود البابلي عن الأورشليمي أنه يغطي بشرحه كل نصوص المشنا أي
لكتب الستة أما الأورشليمي فإنه ظل ناقصاً لا يشرح إلا بعض المشنا كالكتب
الثلاثة الأولى⁽¹⁾.

(1) الأسفار المقدسة 355.

لقد كان ينظر للتلمود في بداية الأمر على أنه في المرتبة الثانية بعد التوراة ، ولكنه بعد أن أصبح يلقب بالتوراة الشفوية، وصار مساوياً لتوراة موسى في المرتبة، ولم يعد في وسع أي يهودي مخالفته، ثم أخذت درجة قداسته في الازدياد والاتساع حتى ساد الاعتقاد بأنه هو أيضاً كلمات الله الأزلية وهو صياغة القوانين التي أوحى الله بها لموسى شفويًا، وبمرور الوقت، أصبح التلمود أكثر قداسة من التوراة نفسها. وبقدر ما كان التلمود كتاباً يتضمن حكماً وتوجيهات أخلاقية إلا أنه يعكس حقد اليهود على بقية الأقوام وإحكاماً لا أخلاقية تجاههم.

القبالة والزوار

كان لسيطرة التلمود على اليهود بعد ميلاد السيد المسيح سيطرة كاملة أثره في ظهور التراث القبالي والحلول محله أن القبالة تعني علم التأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود وكذلك تعني كلمة القبالة في اللغة العبرية التراث. وكان يقصد بهذه الكلمة الشريعة الشفوية⁽¹⁾ ثم أخذت تعني في أواخر القرن الثاني عشر- الميلاي المعاني المتطورة للتصوف . وكذلك أصبحت تعني (العلم الحاخامي) في اليهودية والذي يعني بدوره المذاهب الباطنية وقد أطلق المقلبي أي القباليون اليهودية على أنفسهم لقب (العارفين بالفيض الرباني وتمثل القبالة) تفكيراً أسطوريا وتمكن الحاخامون من جعلها أعمق وأكثر نفعا من التلمود حتى حلت القبالة أو التفسير القبالي محل كل الكتب اليهودية المقدسة في القرن السادس عشر.

وتنقسم القبالة إلى قسمين ، نظري يخصص طريق المعرفة الباطنية والفيض الإلهي، وعملي أقرب إلى السحر الذي يستخدم التسبيح باسم الله ورموز الحروف والأرقام السحرية والتنجيم والسيماء وعلم الفراسة وقراءة الكف وتحضير الأرواح وغير ذلك. ويصور العلم القبالي بأن لكل حرف ولكل نقطة قيمة عددية يمكن للإنسان حين يفصلها أو يجمعها أن يستخلص منها معنى حقيقياً غير المعنى الظاهر⁽¹⁾.

(والزواهر) كلمة عبرية تعني الضياء أو الإشراف ويعتبر كتاب الزواهر من أهم كتب التراث القبالي، وكان مكتوباً بالآرامية ثم ترجم إلى العبرية وينسب الكتاب إلى الحاخام سيمون بن يوحاوي⁽²⁾ ولكن آخرين يذكرون أن الحاخام بن اليون قد كتبه في أواخر القرن الثالث عشر⁽³⁾.

وينقسم (الزهار) إلى ثلاثة أقسام الأول قسم الزواهر الأساسي ، ثم كتاب الزواهر ذاته وأخيراً الزواهر الجديد يعالج كتاب الزواهر طبيعة الخالق وأسرار الأسماء الإلهية وروح الإنسان وطبيعتها ومسيرها والخير والشر- وأهمية التوراة والماشيح⁽⁴⁾ والخلاص.

ويتحدث الكتاب أيضاً عن التاريخ والطبيعة والإنسان⁽⁵⁾.

(1) اليهودية والصهيونية وإسرائيل ، ص 32-33.

(2) عاش في القرن الثاني الميلادي ، أنظر المصدر السابق ، ص 33.

(3) نفس المصدر السابق ، ص 33.

(4) المسيح.

(5) اليهودية والصهيونية وإسرائيل ، ص 33.

ويبني القباليون آراءهم في الخلق على أن الله قد خلق العالم عن طريق الفيض الإلهي (وفكرة الفيض تفترض وجود وحدة تنظيم كل المخلوقات بل وتنظيم الإنسان والخالق حتى يصبح الإله ومخلوقاته نفس الشيء) وقد خلق الله العالم عن طريق السحابة فترك فراغاً ثم فاض بالمرحل العشرة (السفروت) وكان الكون كلاً متكامله ولكن الضوء الإلهي كان قوياً لدرجة قوية حتى أن كل الأوعية أو السفروت أو (المراحل) تحطمت مما أدى إلى تبعثر النور الإلهي والشر كل مكان وفي كل شيء (بما في ذلك الأشياء الشريرة) ولن يعود التكامل ولن تجمع النوار الإلهية المتناثرة والمتبعثرة إلا بعودة الماشيح.

أما مسار التاريخ فيتجه كله نحو إعادة الشرارات إلى مكانها الأصلي¹ أما التأريخ في مفهوم (الزوهار) فيدور كله حول اليهودي فهو الذي يضيف الكمال إلى الكون بفعل طبيعته فهو إذن يساهم في استعادة الشرارات ويزداد هذا الكمال بازدياد أفعال اليهودي الطبيعية حتى تصل إلى الكمال المطلق أو نهاية التاريخ وذلك حين تتطهر الشرارات ويختفي الشر عن الناس.

وقسم الزوهار المراحل العشرة إلى ما يلي:-

1- التاج الأعلى

2- الحكمة

3- الذكاء

4- الحب

5- القوة أو العدالة الصارمة

6- الرحمة

7- الانتصار

8- الجلالة

9- الأساس

10 - الملوك أو الوعاء الذي يفيض فيه الله من خلاله للعالم ويدعى أيضاً (الوجود الإلهي).

فالحدة بين الخالق ومخلوقاته هي وحدة متكاملة فالمراحل العشرة هي في الواقع شيء واحد متصل ويعتبر القباليون أن الزوهار كتاباً مقدساً بل أنهم يدعون أنه مرسل وكل من يشكك فيه كمن يشكك في وجود الله.

ومن الأدلة في وقوع التحريف في العهد القديم هي تلك المغالطات والمثالب التي وردت فيها منها

1 - اتهام النبي نوح بالسكر مذكور في سفر التكوين أن نوحاً بعد خروجه من سفينته شرب الخمر وسكر وتعرى.

2- اتهام النبي لوط بالزنا مع ابنتيه ذكره محرر التكوين فذكر أن ابنتي سيدنا لوط بعد خروجهما من سدوم وفي مغارة صوغر أسكرتا أبيهما وعملا الفاحشة مع أبيهما.

3- اتهام سيدنا موسى وهارون بالخيانة والمروق عن الدين وعصيانهما أوامر ربهما.¹

(1) مقارنة الأديان : د. سعدون الساموك (195) 197.

الاختلاف الكبير بين نسخ التوراة دليل على تحريفه

فالقُرآن - كلام الله سبحانه - واحد لا زيادة فيه ولا نقصان، ولو تعددت نسخه وطبعاته، فلو ذهب الإنسان إلى أقصى المشرق أو إلى أقصى المغرب لوجد المصحف نفسه، لا اختلاف بين نسخه ولو في حرف من حروفها، أما التوراة المحرفة فمن أعظم الأدلة على تحريفها وتدخل البشر في وضعها اختلاف نسخها، فعدد أسفار النسخة العبرية المترجمة إلى العربية تسعة وثلاثون سفرًا، وما عدا ذلك لا يعتبره اليهود مقدسًا، وأما النسخة السامرية (لم يعد اليهود يعتبرون السامريون يهود) المترجمة إلى العربية فتحتوي على خمسة أسفار يسمونها "أسفار موسى" وقد يضمنون إليها سفر يوشع. فانظر إلى هذا التباين الكبير، الذي ليس له من تفسير سوى تدخل أيدي التحريف والعبث بكتاب الله (التوراة) عن طريق الزيادة والنقص.

فكتاب اليهود المقدس يسمى (تناخ) كما قلنا سابقاً ويحتوي على ثلاثة أجزاء : التوراة وهي كلام الله إلى نبيه موسى وتشتمل على خمسة أسفار؛ أسفار الأنبياء وعددها ثمانية ؛ أسفار كتوفيم أي الأسفار المكتوبة وعددها أحد عشر- سفرًا . وهكذا يكون المجموع الكلي أربعة وعشرين سفرًا وهو عدد أسفار التناخ أو ما يسمى اختصاراً التوراة بنسختها العبرية ، بينما أسفار النسخة العبرية المترجمة إلى العربية وعددها تسعة وثلاثون سفرًا ، فالمقصود بها الترجمة المسيحية للتناخ وهذه الترجمة لا تراعي الترتيب الموجود في النسخة العبرية لأسباب تخص الديانة المسيحية فعلى سبيل المثال، ثمة سفر من أسفار التناخ يسمى "الإثنا عشر" يشتمل على اثني عشر من الأسفار القصيرة التي ضُمت إلى سفر واحد، لتصبح هذه الأسفار إثني عشر سفرًا منفرداً في النسخة المسيحية العربية.

وأما النسخة السامرية ،و السامريون وهم مجموعة صغيرة لا يتعدى عددها في وقتنا الحاضر الألف، ويعتقد إنهم استجلبوا إلى البلاد على يد الآشوريين الذين قاموا بعمليات "تبادل سكاني" في المناطق التي تقع تحت سيطرتهم تجنباً للثورات، ويدعى السامريون أن أسفار التوراة التي بين أيديهم هي أسفار موسى الأصلية ، فيما يعتقد اليهود غير ذلك ، وعلى أي حال لا تقر الديانة اليهودية بانتماء السامريين إليها كما ذكرنا.

دراسة في الكتب اليهودية المقدسة

لقد بعث الله الرسل ليشرروا الأمم وينذروهم لما فيه خير لهم، إلا أنه تجلت حكمة الله بأن تكون الرسالة المحمدية هي خاتمة الرسالات الشاملة المبعوثة للناس أجمعين ، على النقيض من الرسالات التي تسبقها التي كانت مخصصة بأمم معينين، والتي حرفت ولم تبق كما هي .

وإحدى هذه الرسالات هي رسالة موسى - ﷺ - ، حيث كانت رسالته هي التوراة التي بعث بها لقوم إسرائيل؛ الذين خصهم الله تعالى بكثير من الأنبياء، ومن الجدير بالذكر أن التوراة حرفت كما حرفت رسالات أخرى الرسالات.

وكما قلنا فإن التوراة التي بين يدينا الآن تقسم إلى أسفار، وهذه الأسفار تشمل عدد من الإصحاحات التي بدورها تشمل عدد من الآيات، وعدد أسفار التوراة هو تسع وثلاثون سفرًا، تضم ما يصل إلى تسعمائة وتسعة وعشرين إصحاحاً.

1- الكتب التاريخية في العهد القديم (الكتابات المقدسة)¹:

ويضم كل من سفر يشوع والقضاة وراعوث وصموئيل الأول وصموئيل الثاني والملوك الأول والملوك الثاني وأخبار الأيام وأخبار الأيام الثاني وعزرا ونحميا واستير؛ وسميت بذلك لأن أكثر ما ورد فيها يتحدث عن تاريخ العبريين من أول فتحهم لأرض فلسطين إلى حوالي القرن الخامس قبل الميلاد، وكما أنه يسجل تاريخ الأفراد والشعوب، وتحكي أسفار يشوع والقضاة وراعوث وسفر صموئيل الحوادث التي حصلت منذ الفتح إلى أول عهد الملكية، بينما يحكي لنا سفر الملوك الأول وأخبار الأيام الأول التاريخ إلى عصر السبي، أما عن سفر عزرا ونحميا فيتحدثان عن العودة من السبي، وسفر استير فيتحدث عن فترة الحكم الفارسي.

2- الأسفار الأدبية (أسفار الشعر والحكمة):

وتضم كل من سفر أيوب والمزامير والأمثال والجامعة ونشيد الإنشاد وأشعيا وأرميا ومراثي وأرميا وحزقيال ودانيال؛ وسميت بذلك نظراً لكتابتها بالأسلوب الشعري والثري.

3- أسفار الأنبياء الإثنا عشر:

وتضم كل من سفر هوشع ويوئيل وعاموس وعوييدا ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجي وزكريا وملاخي؛ وهي تحكي عن هؤلاء الأنبياء.

القسم الأول: الكتب التاريخية في العهد القديم (الكتابات المقدسة)

سفر يشوع¹

ينسب هذا السفر إلى يشوع بن نون، وكان اسمه أولاً هوشع، وهو الذي خلف موسى - ﷺ - قائداً للعبريين، "وهو سفر المجازر وسياسة إسرائيل، كما ويبدأ هذا السفر بوعد من الرب بإعطاء إسرائيل أرض الشعوب القاطنة في فلسطين والأردن ولبنان وسوريا، والفترة التي تقع فيها حوادث² المذابح المتتالية"³، ويضم هذا السفر 24 إصحاحاً هذا السفر فهي على الأغلب 32 سنة، منها 7 سنوات استغرق فيها فتح البلاد و25 سنة تولى فيها يشوع القيادة.

موضوع السفر:

يشمل السفر موضوعين وخاتمة:

- الموضوع الأول: يتحدث الموضوع الأول عن غزو أرض كنعان والاستعداد للغزو وعبور الأردن وسقوط أريحا، وأعمال الغزو والمهادنة مع جبعون.

(1) د. كامل، مراد/ الكتب التاريخية في العهد القديم .

(2) د. البار، محمد / المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم / ط 1 / 1990م / دار القلم بدمشق والدار الشامية بيروت / ص 328.

(3) ملاحظة: عدد الإصحاحات لكل سفر تم أخذها من الكتاب المقدس نفسه كتاب الحياة الترجمة السبعينية / ط 1 / 1988م / من الفهرس

▪ الموضوع الثاني : يتحدث هذا الموضوع عن توزيع الأسباط والعشائر في الأرض .

الخاتمة: تتحدث الخاتمة عن تضرعات يشوع، والاجتماع مع الأسباط في شكيم ثم موت يشوع .

هدف السفر :

يهدف السفر إلى إثبات أن الله أوفى بوعوده ، وأنه طرد الشعوب أمام الشعب الإسرائيلي ، وهذا السفر عبارة عن تعليمات للإجراءات السياسية والأحداث الحربية، وهو مليء بالتعاليم الروحية والأسس التي يجب ان تتوفر للظفر برضا الله.

كاتب السفر:

لم يذكر السفر شيئاً عن كاتبه، إلا أن علماء اليهود وبعض الكتاب المسيحيين ذهبوا إلى أن كاتب السفر هو يشوع ما عدا الآيات الخمس الأخيرة منه وبعض آيات أخرى.

سفر القضاة:

اسم هذا السفر مترجم من اللفظة العبرية "شوفطيم" ، وهي لقب للذين قاموا بعد موت يشوع لينقذوا شعب إسرائيل من أعدائهم المحيطين بهم، أما عن معنى هذه اللفظة هو الحكم والسلطة الإدارية و المنقذ، وهذا النوع من الحكم هو حكم عسكري مطلق، وسموا مخلصين ؛ لأن إقامة أحدهم كان لتخليص الشعب من أيدي الأعداء، وانتخابهم إنما كان لقدرتهم العسكرية ، وكانت سلطتهم تمتد

إلى عدد من القبائل فبالتالي كان بعضهم متعاصرين ، وكانت هناك فترات لا يقوم
قضاة ، وذكر السفر 6 قضاة كبار و 6 قضاة صغار، ويضم هذا السفر 21 أصحاح.

موضوع السفر:

تقسم موضوعات هذا السفر إلى أقسام عديدة وهي:

مقدمة يذكر فيها الحالة السياسية والدينية لإسرائيل قبل عصر القضاة مباشرة
ثم موضوع الكتاب الذي يبين الأسباب العميقة التي تسببت في مصير
الإسرائيليين.

القسم الثاني:

يذكر فيه قصة ستة أبطال هم القضاة الكبار، وفيه إشارة إلى ستة قضاة صغار
هم:

- 1- شمعون بن عناة
- 2- تولع بن فوأة بن دودو.
- 3- يائير الجلعاوي.
- 4- ابصان من بيت لحم.
- 5- أيلون الزبولوني
- 6- عبدون بن هليل الفرعوني

أما القضاة الكبار فهم:

- 1- عثنييل بن قناز ، هزم ملك سوريا.
- 2- إهود بن جيرا، هزم المؤابيين.

3- باراق بن أينوعم، وقد شجعتة دبوره القاضية فانتصر- على سيسرا-

الكنعاني

4- جدعون بن يواش الأبيعزري، هزم المديانيين والعمالة.

5- يفتاح الجلعادي، حارب بني عمون وانتصر عليهم.

6- شمشون بن منوح من الدانيين، هزم الفلسطينيين في اثنتي عشرة حملة.

القسم الثالث:

يتضمن نبأ حادثتين وهما:

1- حادثة ميخا والدانيين

2- حادثة الفضيحة التي اقترفت في جبعة والحرب التي نجمت عنها وكادت

تؤدي إلى انقراض سبط بنيامين، وهذا القسم يبين حوادث سابقة

للحوادث التي وردت في هذا السفر، ويبين حالة الانحطاط الأخلاقي

التي وصل إليه الإسرائيليون.

كاتب السفر:

لا يعرف على وجه التأكيد هذا السفر، إلا أن التقليديين اليهود والمسيحيين

ينسبون كتابته إلى صموئيل، والمرجح أن صموئيل شرع في كتابته ثم أكمله بعده

غيره من المؤرخين.

تاريخ تدوينه:

ألف السفر في أول عصر الملوك بالاعتماد على التاريخ والتقليد الشفوي، ويرجع

الباحثون أن آخر كاتب جمع هذا السفر كان بين سنتي 400 و600 قبل الميلاد.

▪ سفر راعوث

يحمل السفر هذا الاسم من اسم امرأة مؤابية تسمى راعوث، وخلاصة القصة:

أنه حدثت مجاعة في بيت لحمن فرحل رجل اسمه اليالئ ومعه زوجته نعمى وأبناهما محلون وكليون إلى أرض مؤاب، وتزوج الولدان من مؤابيتان وهما راعوث وعرفة، ثم مات الولدان، وبعدها تقرر نعمى العودة إلى بيت لحم ورافقتها بالعودة كنتها راعوث، وبعدها تزوجت راعوث من بوعز وهو أحد أقارب نعم الأثرياء فأنجبت منه عوبيد الذي صار أباً ليس أبي داود النبي، ومن نسل داود ولد المسيح في بيت لحم، ويضم هذا السفر 4 إصحاحات تتضمن هذه القصة.

هدف السفر :

يهدف السفر إلى عرض أنساب بيت داود وأن يكون له هدف سياسي تثبيتاً لحق أسرة داود في أرض أفرايم بعد عام 722 قبل الميلاد.

تاريخ وكاتب السفر:

إن كاتب السفر غير معروف ولكن التلمود ينسب كتابته إلى صموئيل، وأغلب الظن أنه كتب في زمن عزرا ونحمياي في النصف الثاني القرن الخامس قبل الميلاد، وذهب بعض العلماء إلى إن هذا السفر كتب في زمن اشتدت فيه رغبة اليهود في التخلي عن زوجاتهم الأجنبية، ولم يكن هذا السفر معترف به بين الأسفار القانونية حتى القرن الثالث قبل الميلاد، وعده اليهود من كتب القراءات الطقسية التي تسمى "مجلوت".

▪ سفر صموئيل الأول والثاني⁽¹⁾:

كان سفر صموئيل في الأصل العبري يضمها سفر واحد تم تقسيمها إلى سفرين في الترجمة السبعينية؛ لأنهم اعتبروا الجزء الأول منه منتهياً بموت شاؤول، وبدأ الثاني بجلوس داود على عرش المملكة؛ وسمي السفر باسم صموئيل لأنه يبدأ بتاريخ ولادة صموئيل ثم أعماله، وهي طريقة متبعة عند العبريين بأن يسموا السفر من أول كلمة أو عبارة أو موضوع في مستهله، أما الترجمة السبعينية فسمتها سفر الملوك الأول والثاني؛ وذلك من مضمون الكتاين، وهي الطريقة التي كانت سائدة في مصر، وهم أول من أعطى للكتاب عنوان، ومن الجدير بالذكر أن سفر صموئيل الأول يضم 31 أصحاحاً، وصموئيل الثاني يضم 24 أصحاحاً، والحوادث في السفر كانت على مدى قرن من الزمان تقريباً.

موضوع السفرين :

يتضمن السفرين تاريخ تحول الحكم إلى حكم ملكي وتنصيب الملكين الأولين على مملكة إسرائيل وهما شاؤول وداود بتعين من الله ، وقد عزل الله شاؤول لعدم طاعته لأوامره ونصب داود بن يسى بدلاً منه، يبدأ السفر الأول بمولد صموئيل وينتهي بموت شاؤول، ويتناول السفر الأول ما يلي:

- 1- خبر عالي الذي كان قاضياً، ونبأ ابنه الفاسدين، ومولد صموئيل وتربيته.
- 2- تاريخ صموئيل والدعوة ليكون نبياً وقاضياً.
- 3- تاريخ شاؤول الذي عينه الله أن يكون أول ملوك إسرائيل.

(1) د. كامل ، مراد / الكتب التاريخية في العهد القديم.

كما ويتناول السفر موضوع استيلاء الفلسطينيين على تابوت (يهوه) واسترداد الإسرائيليين له وهزيمتهم للفلسطينيين.

أما سفر صموئيل الثاني فيتحدث عن ارتقاء داود على عرش يهوذا حيث كانت عاصمة حبرون (الخليل)، ومن ثم ملك على سائر الإسرائيليين وأصبحت عاصمته أورشليم، ويمكن تقسيم موضوع هذا السفر إلى عدة أقسام هي:

- 1 - انتصار داود وتفوقه على بيت شاؤول.
- 2 - الاضطرابات التي حدثت لداود على خطيئته أمام الله، وثورة ابشالوم ثم موته وعودة داود بعد هربه (هرب داود).
- 3 - تثبيت داود على الملك بعد توبته الصادقة، وإحصاء الشعب والطاعون الذي أصابهم، أخبار السنين الأخيرة للملك داود.

تاريخ السفر:

يرجع أنه تم وضع هذين السفرين في الفترة الواقعة بين القرنين السادس والثامن قبل الميلاد.

كاتب السفر:

لا يعرف كاتب السفر على وجه التحقيق إلا أن الروايات اليهودية تنسب هذين السفرين إلى صموئيل بأنه هو كاتبهما وحده أو ومعه ناثن وجاد هما نبيين وكانت هذه الفكرة سائدة حتى القرن التاسع عشر.

▪ سفر الملوك الأول والثاني:

كان السفران في الأصل سفرًا واحدًا، ولكن الترجمة السبعينية جعلت منه سفرين ذكرتهما مع سفري صموئيل تحت عنوان واحد (الملوك) وسميا بالثالث

والرابع لأن سفري صموئيل أطلق عليهما بالترجمة السبعينية الملوك الأول إلا أن الأشخاص الظاهرين فيهما هم الأنبياء ، وكان لمهمتهم وضع خاص؛ فهم رجال سياسة وهم معلمون للدين والآداب ، وكانت مهمتهم الدفاع عن الشريعة وتفسيرها والتدليل على مصير الظلم، الطمع والخلاعة وسوء المعاملة ومن الجدير بالذكر أن عدد إصحاحات السفر الأول هي 22 أصحاحاً ، أما السفر الثاني فهي 25 أصحاحاً.

موضوع السفريين :

يمكن تقسيم السفر إلى عدة موضوعات أو أقسام وهي :

■ **القسم الأول:** يتحدث السفر الأول عن وصف لآخر حياة داود، ومجيء سليمان بخلافته لأبيه داود وعرضاً لحياته حتى وفاته كما ويبين السفر حكمه ، ومحاولة يربعام أن يحدث انقلاباً لعزل سليمان ويجلس هو على عرشه ولكنه فشل؛ وكان هذا كله بسبب حلول العقاب على سليمان بسبب عبادة الأوثان وتعدد الزوجات.

■ **القسم الثاني:** هذا القسم يشمل السفريين معاً حيث يضم آخر السفر الأول وحتى الإصحاح 17 من السفر الثاني، الذي يبين التاريخ المتزامن لمملكتي إسرائيل ويهوذا، ويتحدث هذا القسم عن أسباب انقسام المملكة إلى مملكتين حيث ينفرد يربعام بمملكة الشمال ورحبعام بمملكة يهوذا في الجنوب، ثم يبين خطية يربعام الذي صنع عجولين من الذهب لعبادتهما في دان وبيت إيل، وبعد العداء الطويل بين المملكتين تقاربتا بزواج يهورام بن يهوشافاط ملك يهوذا من عثليا بنت خاب ملك

إسرائيل، ويتحدث عن نشاط النبيين إيليا واليشع ، ولم يدم الاتفاق بين المملكتين فذب الخلاف من جديد بينهما في أيام ياهو وقطعت علاقة مملكة إسرائيل بمملكة يهوذا، وأخذت مملكة إسرائيل في دفع الجزية لتغلات فلاسر الرابع ملك آشور ، ثم سقطت المملكة الشمالية أمام الملك هوشع على يد الملك الآشوري سرجون مع الإشارة إلى الشعب السامري الذي أخذ يرث أرض إسرائيل .

■ القسم الثالث : يتحدث عن تاريخ مملكة يهوذا إلى عصر السبي البابلي، كما ويتحدث عن أسرة داود، وعن دخول عبادة الأوثان في يهوذا، ونشاط النبيين أشعيا وأرميا . وفي السنة الثامنة عشر من حكم يوشيا وجد سفر الشريعة في بيت الرب وقيامه بتغيير وإصلاح في الطقوس ، وبعدها سقطت يوشيا في معركة مجدو التي انتصر فيها نخا وفرعون مصر، ثم تم سبي يهوياكين وأسرته إلى بابل على يد نبوخذ نصر وبعدها تم تدمير أورشليم ونهاية مملكة الجنوب ، ثم تعيين جدليا حاكماً على من بقي من اليهود في أرض يهوذا، ثم أطلق ملك بابل سراح يهوياكين من السجن .

تاريخ السفيرين:

من المرجح أن يكون سفر الملوك قد ألف بعد سنة 587 قبل الميلاد مباشرة، وهي سنة تدمير أورشليم على يد نبوخذنصر .

كاتب السفيرين:

تعزو التقاليد اليهودية كتابة سفر الملوك إلى أرميا النبي وأخذ كثير من العلماء المسيحيين بهذا الرأي .

▪ سفر أخبار الأيام الأول والثاني:

هما في الأصل سفرًا واحدًا ثم قسمته الترجمة السبعينية إلى جزئين ، ويشمل السفران ذكر التاريخ ابتداء من الخليقة إلى العودة مكن السبي البابلي ، وأمر كورش سنة 538 قبل الميلاد بإعادة بناء الهيكل ، كما ويعالج السفر العصر- القديم بقوائم وانساب ، ويذكر عصر داود وسليمان بشيء من التفصيل من الناحية الدينية ، كما أنه يهتم بعصر الملوك لمملكة يهوذا ، أما عن عدد إصحاحات سفر أخبار الأيام الأول 29 إصحاحاً ، وأخبار الأيام الثاني فعدد إصحاحاته هي 36 إصحاحاً.

موضوع السفرين:

1- إن أخبار الأيام الأول يتحدث عن جداول الأنساب من آدم إلى شاؤول ، وأيضاً تاريخ داود وموت شاؤول ، ونقل تابوت العهد إلى أورشليم وانتصار داود على الفلسطينيين والمؤابيين والسوريين والعمونيين ، والاستعداد لبناء الهيكل ، وتقسيم الكهنة واللاويين والمسيحيين والبوابيين ، وعمل جدول بالموظفين المدنيين والعسكريين ، ثم عن موت داود.

2- أما أخبار الأيام الثاني فيتحدث عن عصر- سليمان ، وبناء الهيكل ، وحكم سليمان حتى نهايته ، كما ويتحدث عن تاريخ مملكة يهوذا إلى سبي بابل ، وعن أمر كورش بالسماح ليهود السبي بالعودة.

ومن الجدير بالذكر أن مؤلف هذين السفرين قصد إظهار التاريخ الكهنوتي وبهذا يختلف هذا السفر عن نص سفر صموئيل والملوك بالرغم من انهما يسيران جنباً إلى جنب .

تاريخ السفري :

إن وضع هذين السفرين يرجح أنه حديث بدليل ورودهما في القسم الثالث من العهد القديم ، ويرجح أن زمنه كان بعد العصر الفارسي، ويذهب بعض العلماء إلى أن السفر صنف في أول العصر اليوناني من 250 – 300 قبل الميلاد.

كاتب السفرين :

إن كاتبه غير معروف إلا أن اليهود ينسبون كتابته إلى عزرا.

■ سفر عزرا ونحميا

كان سفر عزرا ونحميا في الأصل يكونان سفر واحدًا يسمى سفر عزرا، وقد فصلا إلى سفرين في الترجمة السبعينية، ويبين السفريين عودة الشعب من السبي ويبينان الكيفية التي أقام بها عزرا ونحميا النظام السياسي والترتيب الديني، ويهدف السفران إلى إظهار تحقيق النبوات من ثنايا الأحداث التاريخية . أما عن عدد إصحاحات كل من السفريين فهي 10 إصحاحات لعزرا و13 إصحاحاً لنحميا.

موضوع السفريين

يتكون سفر عزرا من قسمين:

القسم الأول – أخبار عودة اليهودي وإعادة بناء هيكل أورشليم في عصر- كورش ودارا الأول، وذكر عزرا استيلاء كورش ملك فارس على بابل، والأمر الذي أصدره بعودة يهود السبي إلى فلسطين، وإعادة بناء الهيكل الذي كان قد خرب بعد سقوط أورشليم، ثم يتحدث عن رجوع عدد كبير من اليهود إلى

فلسطين تحت زعامة شيشبصر- رئيس يهوذا وحمله للآنية المقدسة التي نهبها نبوخذنصر من الهيكل ، ويسرد عزرا قوائم بأسماء الذين عادوا تحت زعامة زربابل ومعه يشوع كبير الكهنة، وفي الشهر السابع بنو المذبح فغضب جيرائهم فتوقف أعمال البناء، أما في السنة الثانية لحكم دارا الأول وطوعاً لتعليقات النبيين حجي وزكريا استأنف زربابل ويشوع أعمال البناء.

القسم الثاني- خبر عودة فوج آخر من السبي تحت زعامة عزرا إلى أورشليم وإصلاحاته الدينية على حسب شريعة موسى.

أما سفر نحميا فينقسم إلى ثلاثة أجزاء:

1 - تلقي نحميا أنباء عن الحالة السيئة في أورشليم وبؤس سكانها فتوسل إلى الملك بأن يأذن له بالعودة إلى أورشليم فأذن له الملك فشرع نحميا ببناء سور المدينة في 52 يوماً.

2- إصلاحات عزرا ونحميا الدينية وتلاوة الشريعة على مسامع الشعب واعتراف الشعب بخطاياهم، وتجديد العهد مع الله، ومنع الزواج بالأجنبيات، وعمل قوائم بأسماء سكان أورشليم وبعض المدن اليهودية.

3 - ولي ارتخشستا نحميا والياً أو مرزباناً على أورشليم مد 12 سنة ، ثم عاد إلى بلاط الملك في السنة 32 لحكم ارتخشستا وفي أثناء غيابه بدأت عوامل الفساد القديمة تدب من جديد ، ثم أُلقيت إليه مقاليد السلطة من جديد، ويظن أن نحميا عاد بعد هذا إلى بلاد فارس.

تاريخ السفريين

إن السفريين ألفا حوالي نهاية العصر الفارسي أو في عصر- الإسكندر الأكبر وكان هذا حوالي سنة 300 قبل الميلاد.

كاتب السفريين

يحتمل أن يكون كاتبهما هو الذي صنف سفر الأخبار ، ويذهب اليهود إلى أن عزرا هو كاتب السفريين.

■ سفر إستير:

يشمل هذا السفر حادثة وقعت لليهود الذين لم يعودوا من السبي ، وينسب هذا السفر إلى امرأة ذكرت قصتها في السفر في عهد ملك فارس أمشويروش التي أنقذت اليهود من مصيرهم المحتوم، وأبطلت مكيدة هامان الذي كان يريد إبادة اليهود في مملكة فارس، وهدف السفر هو تفسير الأصل التاريخي لعيد البوريم الذي يحتفل به تذكراً لنجاة اليهود، ومن الحري ذكره أن عدد إصحاحات هذا السفر هي 10 إصحاحات.

موضوع السفر :

يقسم موضوع السفر إلى ثلاثة أقسام هي:

1- انتقال استير من ذل العبودية إلى أن أصبحت ملكة فارس.

2- محاولة هامان لاستئصال اليهود.

3- إبطال إستير لمحاولة هامان.

تاريخ السفر :

يمكن تحديد السفر بالعصر- الفارسي، أو في العصر- اليوناني بعد سقوط الإمبراطورية بقليل سنة 330 قبل الميلاد.

كاتب السفر :

أن مؤلف السفر لا بد أن يكون من اليهود الذين عاشوا في فارس، واستخدم السجلات الرسمية الفارسية في ذلك.

القسم الثاني: الأسفار الأدبية (أسفار الشعر والحكمة)

▪ سفر أيوب :

لقد ورد اسم أيوب في السفر وهو الشخصية الرئيسية والهامة في السفر وتعني في العبرية "التعيس" أو "المبتلى"¹، وموضوع السفر من المواضيع الفلسفية العميقة التي تتصل بالجزء، فكان أيوب متدنياً شديداً التمسك بدينه، أما عن عدد إصحاحات السفر فهي 42 إصحاحاً.

موضوع السفر :

يمكن تقسيم موضوعات السفر إلى ما يلي:

- 1 - مقدمة؛ وكانت بأسلوب النثر حيث تتحدث عن تقوى أيوب، وشكوى الشيطان عليه وسماح الله بتجربة أيوب، ويثبت الرب بها إلى حقيقة تصديق أيوب للشيطان². حسبما جاء في السفر

(1) التوراة عرض وتحليل، ص 58.

(2) اندرسن، فرانيس / سفر أيوب / ط 1 / دار الثقافة / ص 12.

2- حوار بين أيوب وأصحابه وهذا الحوار كان في ثلاث دوائر بصياغة شعرية، ولا بد من الإشارة إلى أن الحوار الثالث لم يكتمل، وكما يتحدث السفر عن (أليهو) وحديثه الذي كان حديثاً بالغ النجاح ودون أن يقاطع ثم يختمني أليهو، كما ويتحدث عن حديث الرب إلى أيوب المتألم، وعن خضوع أيوب لمشيئة الله.

كاتب السفر :

لا يعرف كاتب السفر تحديداً إلا أن بعض العلماء قالوا بأن كاتب السفر هو إسرائيلي، والبعض قالوا أنه أدومي وكتبه باللغة العربية إلا أن المرجح أنه إسرائيلي.

تاريخ السفر :

تباينت الآراء حول تاريخ كتابة السفر إلا أن بعض العلماء اليهود يرجحون كتابته في زمن ما بين عصر الآباء والعصر الفارسي بين 1550 - 2000 قبل الميلاد.

■ سفر المزامير:

المزامير هي ضرب من الشعر سمي بهذا الاسم نسبة إلى الآلة الموسيقية التي تصحب إنشاده، وتعرف المزامير بالعبرية باسم "تهليم" وهي ترانيم دينية، وحكم فلسفية، وشعر تعليمي، وأغاني غزلية فاضحة لا يعقل أن تنسب إلى النبي داود أو النبي سليمان عليهما السلام، وقصص وأساطير وتاريخ، ويشمل هذا السفر على 150 مزماراً أو إصحاحاً.

موضوع السفر

قد كان لهذا السفر مكانة في العهد القديم كسفر ديني، وقسم الأولون هذا السفر إلى خمسة أقسام وكل قسم يختتم بأنشودة تمجيد¹، وكان التقسيم كالآتي:

(1) أ.د. علي فؤاد / التوراة الهيروغليفية / دار الكتب العربي للطباعة والنشر / ص 130 (132)

القسم الأول : من المزمар 1 – المزمار 41.

القسم الثاني : من المزمار 42 – المزمار 72.

القسم الثالث : من المزمار 73 – المزمار 89.

القسم الرابع : من المزمار 90 – المزمار 106.

القسم الخامس : من المزمار 107 – المزمار 150.

ولا بد من الإشارة إلى أن القسم الأول يحمل عنوان داود ما عدا مزمار 1، 2، 33، أما من مزمار 42-83 فاستخدم فيها اسم ألوهيم بدلاً من اسم يهوه ، أما من مزمار 90-150 فتضم مجموعة مزامير يهوه الرب الملك".

ولهذه المزامير دور في العبادة لله عدا الأشعار فهي تسايح تعلن عظمة مراحم الله وإحساناته ، وتسايح الشكر يعلن فيها المرئم اختياره، ومراثي وقت الحزن الذي يعم في كل الجماعة ومراثي فردية تصف معاناة العابد.

كاتب المزامير⁽¹⁾

تنسب المزامير إلى داود إلا أن معظمها تنسب له زوراً.

تاريخ المزامير⁽²⁾

يرجع أن جمع هذا السفر تم حوالي أوائل القرن الأول قبل الميلاد ، ولو أن من مزاميره ما قد يرجع إلى عام 600.

(1) المدخل إلى العهد القديم / ص 312.

(2) د. علي ، فؤاد / التوراة عرض وتحليل / 1964م / ص 67.

▪ سفر الأمثال:

هو عبارة عن مجموعة متفرقة من الحكم والأمثال التي لا تربط بينها رابطة، ويكمن جوهر هذا السفر في تعاليمه لمبادئ السلوك والأخلاق، كما وترددت فيه كلمات الحكمة ورأس الحكمة، كما وتظهر الحكمة في صورة امرأة فاضلة تدعو الأغنياء ليشاركوها محافلها، وعلى النقيض تظهر المرأة الأجنبية الزانية تدعو إلى الأشياء المسروقة، أما عن عدد إصحاحات السفر فهي 31 إصحاحاً.

موضوع السفر:

يمكن تقسيم موضوعه كما يلي:

1- إظهار التقابل بين الخطيئة والبر؛ لإظهار الفروق البعيدة والعميقة بين الإثنتين.

2- أمثال سليمان حيث يضع سليمان الحكمة مقابل الحماقة.

كاتب السفر

يرى بعض العلماء اليهود أن حزقيا ورفاقه كتبوا هذا السفر.

تاريخ السفر

من الأرجح أن جمع هذا السفر تم حوالي القرن الثالث قبل الميلاد.

▪ سفر الجامعة

والاسم العبري لهذا السفر هو "كوهيليث" ويعني قائد الجماعة أو محفل، ويعالج هذا السفر ضرب من ضروب الفلسفة العبرية حيث تكشف عن نوع من

التشاؤم، وحرص الجامعة على أن يستهل فلسفته ويختمها بقوله: "باطل الأباطيل الكل باطل"، ويتحدث هذا السفر عن ان لكل شيء زمنه، أما عن عدد إصحاحات السفر فهي 12 إصحاحاً.

تاريخ وكاتب السفر

يرجح أنه ألف في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد، أما عن كاتبه فلا يعلم عنه شيء.

■ سفر نشيد الإنشاد

يعد هذا السفر قطعة أدبية تعبر عن جمال الطبيعة والحب الإنساني الذي ينبع من الحب الإلهي، واعتقد أحبار اليهود أنه غزل بين يهوه وبين اسرائيل؛ لذا فهم يرتلونه حتى اليوم في عيد الفصح، وأغاني هذا السفر كانت تردد في مناسبات الزواج، وهذا السفر عبارة عن أغاني شعبية، ويضم السفر 8 إصحاحات.

كاتب السفر

اعتقد البعض أن كاتب السفر هو سليمان إلا أن بعض العلماء ينسبونه إلى رجال حكماء عاشوا في زمن ما بعد السبي وربما خلال القرن الثالث قبل الميلاد.

تاريخ السفر

من المرجح أن جمع هذا السفر تم في القرن الثالث قبل الميلاد.

■ سفر أشعيا

أشعيا بن أموص هو أول نبي من مملكة يهوذا، وقد عاش في النصف الثاني من القرن الثامن، كان عصره عصر اضطراب سياسي عظيم فزمن السلم الذي خيم

على المملكة الجنوبية مدة قرنين من لزمان (أي منذ انقسام مملكة سليمان إلى شمالية وجنوبية) انتهى وبدأ عصر نزاع خارجي مع الآشوريين، أما عن حياة أشعيا فقضى حياته في أورشليم وتزوج نبية وولد له ابنان ، وعام 740 أختاره يهو نبياً ليهدي الإسرائيليين الضالين أما عن عدد إصحاحات السفر فيضم 66 إصحاحاً.

موضوع السفر

ينقسم السفر إلى ثلاث أقسام هي:

1 - من الإصحاح 1-35 يتحدث عن أشعيا الأول الذي هو نبي من مملكة يهوذا ويدعا أشعيا بن أموص الذي كان عصره عصر اضطراب سياسي كما ذكرت، أنه تزوج بنبية، ويمكن حصر عصر نبوءة أشعيا بين عامي 701-740 وعاش أعشيا في القرن الثامن أما عن كاتب هذا الجزء فلم يكن أشعيا كما كان معتقد وإنما شخص آخر عاش في القرن السادس أو بعده.

2- من الإصحاح 36-55: يتحدث عن أشعيا الثاني، وهو النبي دوير أشعيا، وظهر هذا النبي من بين المسيبين، والزمن الفاصل بين أشعيا الأول والثاني لا يقل عن قرنين، وتميز هذا النبي من بين أنبياء إسرائيل بأنه لا يهدد ولا يتوعد ولا ينذر بموت ولا يتنبأ بخراب ، بل يقول بأن زمن التحرير قد قرب وأن الانتقام من بابل واقع لا محالة، وأن كل شعوب العالم ستخدم شعب الله المختار ، وتحققت نبوءات أشعيا الثاني عام 539 عندما غزا كورش بابل وأمر بإعادة بناء المعبد في أورشليم، وبهذا ينتهي السبي.

3 - من الإصحاح 56-66: يتحدث عن أشعيا الثالث وهو ترتيب أشعيا ، وقد ضم السفر الثاني والثالث إلى الأول لترتيب تاريخي بل ظاهري فقط، فأقدم المخطوطات المحفوظة في ألمانيا وفرنسا تقول أن ترتيب الأنبياء هو آرميا، حزقييل، أشعيا ثم بعده مجموعة من 27 إصحاحاً دون ذكر أسماء، والذي حدث أن جاء أشعيا في الصور وتلاه بعده، ويعود الفضل في معرفة أشعيا الثالث وتمييزه فيرجع إلى جهود بذلها كنوين شين وشتادة وبدوم في القرن التاسع عشر الميلادي.

▪ سفر أرميا

يعد سفر أرميا من الأسفار الطويلة في العهد القديم التي تمدنا بالكثير عن النبي أرميا وحياته الشخصية، كما كان لتلميذه باروخ اليد الطولي في الحفاظ على السفر، ويضم 53 إصحاحاً .

موضوع السفر:

يتحدث السفر عن حياة أرميا النبي وهي كالآتي :

ولد أرميا بن حلقيا بعد عام 650 قبل الميلاد في قرية عناثوت التي تعرف اليوم برأس الخروبة، وكانت أسرته كهنوتية إلا أنه لم يكن كاهناً بل ودخل صراع مع الكهنة ومع أعضاء أسرته، وكان هذا النبي ناثراً شاعراً ظهرت عبقرية في خطبه، وجاءت عودة أرميا عام 626 قبل الميلاد تقريباً في سنة وفاة آشوربانيال آخر ملوك آشور العظام في السنة الثالثة عشر لحكم الملك يوشيا، وكان عمر أرميا ما يقرب من عشرين عاماً ، واتسمت حياته بالصراع الداخلي بين رغباته الطبيعية

من ناحية وبين تفهمه للدعوة الإلهية من ناحية أخرى، وقد واجهه كراهية واضطهاد؛ لأنه أدان الظلم والخراب.

كاتب وتاريخ السفر

أن النبي أرميا هو كاتب السفر بجملته وكلم الرب أرميا في السنة الرابعة ليهوباقيم بن يوشيا ملك يهوذا عام 604 قبل الميلاد كما ويرجع علماء الكتاب الحافظين أن أرميا هو كاتب النبوات الأخرى اللاحقة للسنة الخامسة ليهوباقيم الملك وجاء أن أرميا هو نبي القرن السابع قبل الميلاد.

▪ سفر مراثي أرمياء

سمي هذا السفر حسب الكلمة الأولى من الإصحاحات الأول والثاني والرابع وفي الروايات اليهودية يسمى "قينوت"، ولهذه المراثي قيمة عظيمة من ناحية دراسة عروض الشعر العبري وترتيب أبجدية تلك اللغة، أما عن عدد إصحاحاته فهي 5 إصحاحات.

موضوع السفر

تقسم موضوعات السفر إلى ما يلي :

1- مراثي على المدينة؛ وهي خزي وشكوى أورشليم.

2- عقاب الله للمدينة المنجسة "صهيون".

3- مرثاة شخصية وصلاة.

4- حال أورشليم في الماضي والحاضر.

كاتب وتاريخ السفر

يعد النبي أرميا هو كاتب السفر، ويرجع تاريخ السفر إلى ما بعد خراب
أورشليم على يد الكلدانيين أي عام 586 وقبل عودة المسيين أي عام 538.

▪ سفر حزقيال

ويعني الاسم بالعبرية "الرب يقوي" وهو حزقيال بن بوزي، وأصبح
حزقيال نبياً وجاءته النبوءات في صورة أحلام ، فتنبأ عام 586 بخراب أورشليم
وكان ذلك عقب وفاة زوجته مباشرة وعدد إصحاحات السفر هي 48 إصحاحاً.

موضوع السفر

يتحدث السفر عن دعوة حزقيال وإرسالته عن نهاية أورشليم السبي، وعن
نبوات عن الشعوب الأجنبية كعمون وموآب وآدوم وفلسطين، وعن الزيارة
للهيكل، وخطية أورشليم، وعن دعوة إسرائيل، ومن الجدير بالذكر أن للنبي
حزقيال أشعار ترجع إلى عام 593.

كاتب وتاريخ السفر:

كتب السفر في السنة السابعة والعشرين للملك يهوياكين أي عام 571 قبل
الميلاد لذا يمكن تحديد زمان نشاط النبي ما بين عامي 571 – 593، أما عن كاتب
السفر فهو النبي حزقيال.

▪ سفر دانيال

دانيال هو رجل إسرائيلي من عائلة عملت في البلاط الملكي، ويعني في
العبرية "الله قاضي" ، وكان دانيال متمسكاً بقيمه الدينية وشريعته اليهودية، أما عنه
عدد إصحاحات السفر فهي 12 إصحاحاً.

موضوع السفر

يتحدث السفر عن ست قصص لدانيال ورفاقه، كما يتحدث السفر عن حلم وثلاث رؤى وهي رؤى الأربع حيوانات ورؤيا الكبش والتيس ونبوة السبعين أسبوعاً ورؤيا آخر الأيام، ومن الجدير بالذكر أن السفر يحوي أخبار لا تتفق مع الحقائق التاريخية.

كاتب وتاريخ السفر:

كتب السفر في السبي بعد سقوط أورشليم وهدم الهيكل وإجلاء اليهود من بلادهم أرض يهوذا، أما عن كاتب السفر فهو دانيال نفسه في زمن السبي البابلي خلال القرن السادس قبل الميلاد.

القسم الثالث: أسفار الأنبياء الإثنا عشر

▪ سفر هوشع

وهو النبي الوحيد من الدولة الشمالية الذي ترك سفيراً، ويضم السفر 14 إصحاحاً.

موضوع السفر

يتحدث السفر عن حياة هوشع الذي اقترن بامرأة زانية ولدت له ثلاثة أطفال أطلق عليهم أسماء رمزية؛ فالبكر (يزرعثل)، ؟ لأن يهو سبيد مملكة بيت إسرائيل، أما (لا رحمة) ابنته الثانية؛ لأن يهو لا يرحم بيت إسرائيل ثم (لا عمى) ابنه الثالث، كما واستغل النبي تجاربه العائلية فطبقها برسالته، أما عن علاقة يهو

بشعبه فكان يهوه يتصف بالعظمة لحبه لشعبه بالرغم من جحوده وخيانتة، أما الشعب الإسرائيلي فأخذ يقدس يهوه كما يقدس الكنعانيون آلهة الخصوبة لذا حل الدمار والخراب نتيجة للانحلال العقائدي.

كاتب وتاريخ السفر

فحص رسالته النبوية يمتد من 725-750 قبل الميلاد

■ سفر يوشع

ويوشع هو فتوشع، اهتم ويوشع بالعبادة الهيكلية على الرغم من أنه لم يكن كاهناً، وقد اهتم هذا النبي بتقديم التعاليم الهامة التي كان لها أعظم الأثر في أسفار العهد القديم، ويضم هذا السفر 3 إصحاحات.

موضوع السفر

إن محتويات السفر عبارة عن شعر فيحوي على حديث النبي وحديث الشعب، ثم الوعيد والإنذار، كما ونجد الشروط التي يتطلبها يهوه للرحمة، ونجد في بعض آيات السفر طلب الصيام كما ويذكر السفر أن يوم القضاء سيقع يهوه على الوثنيين وليس على شعبه، كما ويشير السفر إلى ضربة الجراد القاتلة التي عمت البلاد.

كاتب وتاريخ السفر:

من المرجح أن هذا السفر قد أُلّف في نهاية القرن الخامس بين عامي 350 – 500 قبل الميلاد.

▪ سفر عاموس

إن الاسم عاموس عبري يعنى حامل أو محمول، وكان لنبوّة عاموس في رأي كثير من العلماء التأثير الكبير على الفكر العبراني بجملته وعلى تطور الديانة العبرانية، فقد أيقظ عاموس روح النبوة حيث دامت من بعده ما يقرب من خمسمائة عام ولم تكن في زمانه أية كتابات نبوية تأثر بها، أما عن عدد إصحاحات السفر فهي 9 إصحاحات.

موضوع السفر

يمكن تقسيم موضوعاته كالآتي:

- 1 - أقوال عاموس التي قرأها ضد الشعوب حيث تشمل عقاب الشعوب المجاورة وعقاب يهوذا وعقاب إسرائيل
- 2- ثلاثة أقوال ضد إسرائيل وهي إعلان الدنيوية وفساد إسرائيل وفجورها ورثاء على خطيئتها و ظلامها.
- 3 - الرؤى الخمس عن حالة إسرائيل وهي الجراد والنار ورؤيا المذبح وصراع عاموس.
- 4 - الوعد بعودة إسرائيل.

كاتب وتاريخ السفر

أن ما يفهم من السفر أن يهوه سيتنقم من بيت ياوريعام الذي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد ومن المرجح أن هذا السفر لم يصلنا في لغة المؤلف وأسلوبه بل في لغة أخرى وأسلوب آخر.

▪ سفر عوبيدا

يعد هذا السفر أقصر سفر الكتب المقدسة ، ويضم 21 آية، وهذا الاسم يعني في العبرية عبد أو خادم الرب، ويضم إصحاحاً واحداً.

موضوع السفر

يتحدث السفر عن:

1 - عقاب آدوم وسبب ذلك

2- يوم الرب من حيث قضاء عقاب شامل وعودة إسرائيل.

كاتب وتاريخ السفر

يرجح علماء أن كاتب السفر هو عوبيدا وقد كتبه في زمن ما قبل السبي.

▪ سفر يونان

يشتمل هذا السفر على قصة نبي وليس نبوءات نبي، ويختلف هذا السفر عن باقي الأسفار التي تتضمن الكثير من رسائل النبوة التي قيلت لشعوبها أما سفر يونان (يونس) فيسرد قصة شخصية للنبي يونان وأعماله ، ويتحدث السفر في أوله عن مجازفة يونس البحر، ويضم السفر 4 إصحاحات.

موضوع السفر

يضم السفر

1 - هروب يونان من وجه الله.

2- مزمو (تسبيحه شكر)

3 - المرسل المعاند ونجاح إرسالته.

4 - تهذيب يونان.

كاتب وتاريخ السفر

أن أغلب الظن أن أحد قصاص اليهود في القرن الرابع تقريباً وجد هذه القصة منتشرة على ألسنة الشعب فصاغها في أسلوبه الحالي.

▪ سفر ميخا

وهو اختصار للاسم العبري ميخائيل ويعني بالعبرية "من أمثال الله" ، وجاء ميخا من أسرة بسيطة ومن قرية بسيطة لقب بها بالمورشتي، كما ولقب ميخا بالنبي الريفى؛ إذ تحدث عن الفلاحين والفقراء الذي عانوا الكثير، أما عن عدد إصحاحات السفر فهي 7 إصحاحات.

موضوع السفر

تقسم موضوعات السفر كالآتي:

- 1 - إعلان الدينوية على بيت إسرائيل، والعقاب وعودة إسرائيل ، وأمراء وأنبياء يحاكمون .
- 2 - إعلانات عن الخلاص.
- 3 - التباين بين ديانة يهوه وديانة الشعب.
- 4 - الكشف عن الظلم الاجتماعي والوعد بالبركة الإلهية.

كاتب وتاريخ السفر

يعد ميخا المورشتي كاتباً للسفر بجملته، وبعض نبوءات السفر ترجع إلى ما قبل عصر السبي أو بعده ولا يمكن تأريخها تماماً.

▪ سفر ناحوم

من المرجح أن الاسم ناحوم يعني التعزية أو إعطاء الثقة، ولا يوجد هذا الاسم إلا في الآية الأولى من سفره ، كما أن مضمون السفر يعد رسالة دينوية إلى مدينة نينوى العاصمة الآشورية الإمبراطورية القديمة، كما وجاء إعلان من الله مباشرة لناحوم الألقوشي، أما الألقوشي فهي نسبة إلى ألقوش مسقط رأسه ، ويشتمل السفر على 3 إصحاحات.

موضوع السفر

تقسم موضوعات السفر إلى ما يلي:

1 - بر الله وعدله.

2 - حصار نينوى وسقوطها.

3 - خطايا نينوى هي سبب سقوطها

كاتب وتاريخ السفر

ليس لسفر ناحوم تاريخ محدد ولكن الأدلة تشير إلى أنه في منتصف القرن السابع قبل الميلاد؛ السابق لسنة سقوط نينوى عام 612 قبل الميلاد.

▪ سفر حبقوق

جاء الاسم من أصل عبري يعني: "يعانق" أو "يحتضن"، وهذا يشير إلى حبه لله أو أنه تصارع مع الله، وأن حبقوق ابن المرأة الشونمية، كما أنه يوصف بأنه نبي ليس فقط لموهبته بل لأنه ضمن جماعة الأنبياء الذين تنبؤوا بالهيكل، كما وعاش حبقوق في يهوذا، أما عن عدد إصحاحات السفر فهي 3 إصحاحات.

موضوع السفر

يمكن تقسيم موضوعاته إلى:

- 1- شكوى النبي لتعدي الشرير وعدم افتقاده، والجواب أن الكلدانيين هم أداة عقاب لهم، ويتحدث عن شكوى النبي من أن الكلدانيين أكثر جوراً من يهوذا.
- 2- وجواب الرب المعلن للنبي الواقف والمراقب من البرج الحصين: البار بإيمانه يحيا وأن البار سيكافأ وغير البار (الشرير) ستقع عليه الويلات.
- 3- مزمو صلاة حبقوق.

كاتب تاريخ السفر

كتب السفر خلال نهاية حكم الملك يوشيا 609-640 قبل الميلاد قبل سقوط نينوى، أما عن نبوة حبقوق فالأرجح أنها كتبت بواسطة النبي حبقوق.

■ سفر صفنيا

إن الاسم صفنيا يعني به في العبرية "الرب يخفي أو يحمي"، ويتضمن الاسم الثقة في قوة الله بأن الرب يحمي من يعبدته وقت الخطر، والنبي صفنيا كان معاصراً لناحوم وحبقوق وإرميا، وولد النبي أيام حكم منسي- ملك يهوذا؛ الذي حكم بقسوة شديدة لا ترحم وسفك دماء كثيرة وهو منسي الذي ملأ أورشليم بالداء من أقصاها إلى أقصاها، ويعتقد أن صفنيا النبي من مواطني أورشليم؛ وذلك من وصفه الدقيق لضواحي المدينة، أما عن عدد إصحاحات السفر فهي إصحاحات.

موضوع السفر

يمكن تقسيم مواضيع السفر إلى:

- 1- يوم الرب " والوجوه المختلفة لطبيعة يوم الرب فهو يوم دينونة ويوم رجاء"¹، من حيث إعلان بعقاب عبدة البعل ومعنى يوم الرب والقضاء وسبل تجنب الدينونة.
- 2- أحكام (دينونة) ضد الشعوب الأجنبية.
- 3- ويلات وبركات وإعلان بعقاب أورشليم وتأكيد بركة البقية الآمنة للرب.

كاتب وتاريخ السفر

تنبأ صفينا خلال حكم يوشيا 609-640 قبل الميلاد وقد يكون هذا السفر قد وضع حوالي ام 630، ولم يخلص هذا السفر من تلاعب المؤلفين به، وإضافة ما ليس منه إليه.

▪ سفر حجي

وهو النبي العاشر وسفره عبارة عن 40 بيتاً، ويعتبر هذا السفر أحد الأسفار الثلاثة (زكريا، ملاخي) التي تصور لنا عودة اليهود من السبي بعد انتصار كورشي على بابل، ويظن أن حجي عاش حتى صار كهلاً ورأى معبد سليمان، والاسم

(1) دافيد وباكر / التفسير الحديث للكتاب المقدس العهد القديم ناحوم - حبقوق (صفنيا) /

ط1 / دار الثقافة / ص 108.

حجي يعني به في العبرية "عيد أو معيّد"؛ لأنه ولد في يوم من أيام الأعياد اليهودية، أو أن والديه كان لهما الإيمان أن ابنهما سيكون له فرح العودة من السبي، أما عن عدد إصحاحات هذا السفر فهي إصحاحان.

موضوع السفر

يمكن تقسيم موضوعاته إلى ما يلي:

- 1- دعوة لإعادة بناء الهيكل.
- 2- استجابة الشعب، ومجد الهيكل الجديد.
- 3- الوعد بزمن أفضل.

كاتب وتاريخ السفر

من المرجح أن هذا السفر وضع مباشرة بعد عام 520 قبل الميلاد¹، أما عن كاتب السفر فمن المرجح أن حجي لم يدون سفره بيده وقد وجد من كتبه له كما فعل باروخ بسفر أرميا².

■ سفر زكريا

ومعناه "تذكر يهوه"، وكان زكريا معاصراً لحجي وكان أجحد الكهنة وهو ابن عدو، ففي الشهر الثامن من السنة الثانية لداريوس كانت كلمة الرب لزكريا بن عدو، ويتكون السفر من ثماني رؤى متفقة في الصياغة والأسلوب، أما عن عدد إصحاحاته فهي 14 إصحاحاً.

(1) التوراة الهيروغليفية / ص 124.

(2) التوراة عرض وتحليل / ص 113.

موضوع السفر

يشتمل السفر على الأقسام التالية:

1 - دعوة بالعودة إلى الله.

2- الرؤى الثمانية وهي:

أ- رؤيا الإنسان : الله يدين الشعوب

ب- رؤيا القرون الربعة والربع صناع : أعداء الرب سوف يهزمون.

ج- رجل وحبل قياس : مساحة وأمن أورشليم

د- تطهير رئيس الكهنة يهوشع : رمز المسيا الغصن.

هـ- المنارة الذهبية والزيتونتان: يقود الشعب والكاهن وهذان يقودهما

ويقويهما الروح.

و- الدرج الطائر: اللعنة على الكاذب والسارق.

ز- الأربع مركبات : سوف يهزم الرب كل القوات المضادة.

3- تتويج يهوشع بن يهوذا الكاهن العظيم الذي له مشورة السلام.

4- أسئلة عن الصوم من حيث الطاعة لله والعدل وللإنسان هو الصوم الحقيقي

والمقبول لدى الله والوعد بالسلام والنجاح لشعب الله.

5- نبوات عن المسيا وغيرها.

كاتب وتاريخ السفر

كانت نبوة زكريا النبي بخريف عام 520 قبل الميلاد ويرى العلماء المحافظون

أن زكريا النبي هو كاتب السفر بجملته، لكن هذا لم يسلم به من العلماء النقيديون

الذين يرون إن الإصحاحات من 9-14 كتبت بواسطة شخص آخر ربما كان تلميذاً للنبي زكريا.

▪ سفر ملاخي

وهو آخر أسفار الكتب المقدسة حسب ترتيب الترجمة السبعينية، وذهب بعض العلماء إلى أن ملاخي لا يعد أسماً بل وظيفة بمعنى "ملاكي أو رسولي"، وملاخي هو آخر نبي من الأنبياء الإثني عشر، أما عن عدد إصحاحات السفر فهي 4 إصحاحات.

موضوع السفر:

يمكن تقسيم موضوعاته إلى ما يلي:

- 1- الإصحاح الأول والثاني: يصف النبي ملاخي خطايا وعناد إسرائيل.
- 2- الإصحاح الثالث والرابع: يشير إلى الدينونة التي ستحل بالخطيئ الشرير والبركة لمن يرجع عن شروره.

كاتب وتاريخ السفر

يرجع تاريخ كتابة السفر إلى ما بين عام 450-480 قبل الميلاد قبل تولي نحميا الحكم على اليهود في اورشليم بجيل كامل، ويمثل السفر وحدة كاملة ويبد كاتب واحد، ولا يعرف شيء عن ملاخي كاتب السفر.

موقف القرآن من التوراة

مما لا شك فيه أن الإسلام يعترف بالتوراة، ويأمر المسلمين بالإيمان بها، وكتاب الله الكريم مصدقاً لما فيها وفي الإنجيل، وأما كتب العهد القديم الأخرى

فهي في الحقيقة سرد لتاريخ بني إسرائيل، وذكر لبعض الأنبياء الذين أرسلوا اليهود كما يزعمون، فلا يعترف بها القرآن ولم يتعرض لذكرها بل أغفل عنها كلياً لما تحتوي عليه من أخبار شنيعة، وترمي الأنبياء بما لا يليق بشأنهم¹.

فلن تدفعنا الحماسة إلى الخط من قيمة الكتاب المقدس بل نقول: التوراة كالتالي سماوي تعرض للتبديل والتغيير ولكن لا نقطع صلته بالسما ففيه كثير من الأحداث التي لا يمكن إلا أن تكون وحياً سماوياً، وهي الأحداث الأساسية مثل: بدء العالم والطوفان وروايات موسى مع فرعون وغيرها.. كلها أحداث صحيحة في جوهرها العام لكن الخطأ في التفاصيل الجزئية لهذه الأحداث مما يؤكد أنها من صنع اليهود.

ونعود فتساءل أين التوراة التي أنزلها الله على موسى ﷺ؟؟؟

يحيينا القرآن بأن اليهود قاموا بتحريفها وتبديلها وفق أهوائهم.

والأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾².

فقد فسد فهم اليهود وساء تصرفهم في آيات الله، وتأولوا كتابه على غير ما أنزله وحملوه على غير مراده وقالوا ما لم يقل، عياداً بالله من ذلك³.

(1) أنظر: محمد الأعظمي، دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند، ص 203.

(2)

(3) أنظر: الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، ص 399.

قوله : ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾.

قال قتادة في قوله : ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال : هم اليهود كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ووعوه، وقال مجاهد : الذين يحرفونه والذين يكتُمونه هم العلماء منهم، وقال أبو العالية : عمدوا إلى ما أنزل الله في كتابهم من نعت محمد ﷺ عليه وسلم فحرفوه عن مواضعه⁽²⁾.

وقوله : ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكُتُبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(٧٩) البقرة: ٧٩

قال سعيد عن قتادة : هم اليهود، وقال سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن علقمة :

سألت ابن عباس رضي الله عنه، عن قوله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكُتُبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾⁽³⁾ قال : نزلت في المشركين وأهل الكتاب، وقال السدي : كان ناس من اليهود كتبوا كتاباً من عندهم يبيعونه إلى العرب ويحدثونهم أنه من عند الله ليأخذوا به ثمناً قليلاً⁽⁴⁾.

(1) البقرة : 75.

(2) ابن كثير ن تفسير القرآن العظيم ، ج 1 / 201.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن ن العظيم، ج 1 / 203.

(4) انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، ج 1 / 203.

وقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾⁽¹⁾.

فالتوراة الأصلية فقدت وحاول اليهود إعادة كتابتها من جديد، وإذا فليست هي التوراة التي أمر القرآن الكريم بالإيمان بها، وإنما حكمها وحكم سائر كتب العهد القديم والجديد أن كل روايتها إن صدقها القرآن فهي مقبولة وإن كذبها فهي مردودة، وإن كان القرآن ساكتاً عن التصديق والتكذيب نسكت عنه، فلا نصدق ولا نكذب كما علمنا رسولنا الكريم⁽²⁾.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية يفسرونها بالعربية لأهل السلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: ﴿آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم﴾⁽³⁾.

ونعود فنقول: أن التوراة التي يذكرها الله تبارك وتعالى في كتابه ويأمر الناس بالإيمان بها قد كتبها موسى عليه السلام بيده ووضعها في التابوت مع اللوحين. وقد حمل بني إسرائيل تابوت العهد ودخلوا به أرض كنعان، ووضعوه في قدس الأقداس في البيت فلما جاء عهد نبي الله سليمان فتحوه فلم يجدوا فيه إلا لוחي الحجر.

(1) الجمعة 5.

(2) انظر: سعد الدين السيد، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، ص 183.

(3) رواه البخاري في باب قول النبي (لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء)، ج 6/2678.

وبعد سليمان حدثت سلسلة من الأحداث الدينية والسياسية تعرض فيها بيت المقدس للسلب والنهب والتدمير، فضاغ أيضاً ما بقي من تعاليم موسى عليه السلام إلا بعض الأحكام الخاصة بالجنايات والأحوال الشخصية وهي التي تحاكم إليها رسول الله في بعض الأحيان⁽¹⁾.

فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: "أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ عليه وسلم فذكروا له أن رجلاً منهم وامراً زنياً. فقال رسول الله ﷺ: ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟ فقالوا: نفضحهم ويجلدون. فقال عبد الله بن سلام: كذبتهم، إن فيها الرجم. فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له عبدالله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم؛ فقالوا: صدق يا محمد، فيها آية الرجم. فأمر بهما رسول الله ﷺ فُرِجما. قال عبدالله فرأيت الرجل يجنأ على المرأة يقيها الحجارة"⁽²⁾.

وهذا نقول أن التوراة التي أنزلها الله على موسى كتاب سماوي يجب الإيمان به وتصديقه لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾⁽³⁾ ومن كذب به فقد توعده الله في محكم كتابه فقال: (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً).

(1) أنظر: محمد الأعظمي، دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند، ص 203/204.

(2) رواه البخاري في باب قول الله تعالى (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)، ج 3/1329

أما التوراة الموجودة التي يتداولها اليهود في هذا العصر وعمدوا إلى تحريفها وتبديلها وفق أهوائهم زعموا نسبتها إلى الله فما يوجد مما وافق الكتاب والسنة فنقبله وما خالف الكتاب والسنة فنرده.

ما هو التلمود :

يقول التلمود : " أن اليهودي أحب إلى الله من الملائكة ، فالذي يصفح اليهودي كمن يصفح العناية الإلهية سواء بسواء .. العياذ بالله.

ويقول التلمود : " اليهودي من جوهر الله كما أن الولد من جوهر أبيه " .

ويقول التلمود : " ولولا اليهود لارتفعت البركة من الأرض واحتجبت الشمس وانقطع المطر " .

والتلمود يصرح للرجل اليهودي أن يزني بغير اليهودية، أمام زوجته ما دامت الزانية من الجويم أي غير اليهود. ويروجون من خلال وسائل الإعلام لكل ما يحث على الرذيلة والفساد) فنجد ملاك أكبر قنوات العهر وبؤر البغايا هم يهود فلا حرج عندهم بذلك فكتابهم يحث عليه).

وجاء في التلمود ما افتروه كذباً وهتاناً على أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام : " إن إبراهيم أكل أربعة وسبعين رجلاً وشرب دماءهم دفعة واحدة ولذلك كانت له قوة أربعة وسبعين رجلاً.

وجاء أيضاً في التلمود : " يجب على كل يهودي أن يلعن كل يوم النصارى ثلاث مرات، ويطلب من الله أن يبيدهم ويفني ملوكهم وحكامهم، وعلى الكهنة اليهود أن يصلوا ثلاث مرات بغضاً للمسيح الناصري " .

وجاء أيضاً: "والجحيم أوسع من النعيم ستين مرة ... لأن الذين لا يغسلون سوى أيديهم وأرجلهم كالمسلمين، والذين لا يختنون كالمسيحيين الذين يحركون أصابعهم يقولون هناك!!".

وذكر أيضاً: "إذا مات خادماً ليهودي أو خادمة، وكنا من المسيحيين فلا يلزمك أن تقدم له التعازي بصفة كونه قد فقد إنساناً.. ولكن بصفة كونه قد فقّه حيواناً من الحيوانات المسخرة له"¹.

قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة 82].

من معتقدات اليهود:

يزعم اليهود في معتقداتهم وهي بالطبع مقدسة عندهم أنه في اليوم التي تظهر فيه البقرة الحمراء المقدسة يستطيعون بناء الهيكل أي هدم الأقصى- وبناء هيكلهم المزعوم وإن غالبية اليهود يعتقدون أن هذه البقرة هي الوحيدة التي من خلالها يستطيعون أن يدخلوا الهيكل!!.

كيف ذلك؟

تحرق البقرة الحمراء ويأخذ رمادها ويتطهر به اليهود قبل دخول الهيكل، وقبل خمس سنوات اكتشف اليهود هذه البقرة الحمراء (حيث ولدت بأحد المزارع)

1 (نهاية اليهود، أبو الفدا محمد عارف.

وقاموا بإعداد المذبح المقدس لها وتم تدريب عدد من الحاخامين على طريقة التطهير والمذبح والحرق لبقرتهم بل أنهم قاموا بتصميم الهيكل الذي سينونه على أنقاض الأقصى بعد تدميره ولكن ظهرت مشكلة عطلت هذه العملية إذ مع بلوغ البقرة تبين أن بها بقعة مائلة للسواد في جلدها وهذا حسب معتقداتهم ينفي أن تكون هذه البقرة هي المقصودة إذ يجب أن تكون البقرة حمراء بالكامل.

يعترف معظم اليهود أن الدخول إلى منطقة جبل الهيكل (المسجد الأقصى)، يعد خطيئة كبرى بدون التطهير والذي سيتم عبر اكتشافهم البقرة الحمراء التي ستعطيهما التصريح بالدخول إلى هذه المنطقة المقدسة ومعظم اليهود الذين يعيشون في فلسطين يعتبرون أن بناء الهيكل يعجل بقدوم ملك اليهود المنتظر (المسيح الدجال) وهذا يوضح لنا مدى تمسكهم على بنائهم للهيكل وعدم التوقف بالمواصلة مهما قدم لهم من عروض.

يرى اليهود أنه إذا تأكدوا من أن هذه البقرة هي فعلاً البقرة المرجوة أنه يجب عليهم هدم المسجد الأقصى لبناء الهيكل وتساعد الحكومة في التحضير لهذا اليوم وتهيئة العالم الإسلامي للقبول بأن يبنى هيكل اليهود وفي المقابل يستطيع المسلمون بناء المسجد الأقصى ثانياً ولكن ليس على نفس الجبل... هذا إذا كانت ردة فعل المسلمين أكثر من الهتافات والتبرعات وسيتم ذلك عبر وسيط ويقول اليهود إن المسجد لن يهدم علانية ولكن عن طريق زلزال أو بسبب الحفريات وعمليات الترميم التي يقوم بها المسلمون أو عن طريق شخص مجنون يقوم بنسفه بالمتفجرات.

نشأة التلمود

كان الكتبة ورجال الدين المقيمون في المعابد والمدارس الفلسطينية والبابلية هم الذين ألفوا أسفار الشريعة الضخمة المعروفة بالتلمود وكانوا يقولون إن موسى لم يترك فقط لشعبه شريعة مكتوبة تحتويها الأسفار الخامسة المسماة بالتوراة بل ترك أيضاً شريعة شفوية شرح للتوراة وأهم منها هي، تلقاها التلاميذ عن المعلمين جيلاً بعد جيل وأضافوا إليها زيادات وتنقيحات وكان أهم ما ثار حوله الجدل بين الفريسيين والصدوقيين هو هل هذه الشريعة الشفوية هي الأخرى من عند الله فإن كان الأمر كذلك فهي واجبة الطاعة.

والتلمود بالعبرية معناه التعليم مستخرجاً من كلمة لوميد (Lamud) ويتكون من المشناة والجماراه.

والمشناه أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم بعد التوراة جمعها يهوذا هاناسي فيما بين 190 - 200 م أي بعد قرن تقريباً من تدمير تيط الروماني الهيكل وهو خلاصة القانون الشفهي الذي تناقله الحاخامات منذ ظهور حركة الفرنسيين. والمشناه بالعبرية تعني المثني ويزعم اليهود أنه أنزل على موسى في طور سيناء. ويضيف اليهود أن المشناه تناقله عن موسى أربعون عالماً مستقبليون جيلاً بعد جيل حتى جاء يهوذا هاناسي المقدس، لما كان الهيكل لا يزال قائماً آنذاك كمركز لليهود لم يجز شرعياً كتابة هذه التعاليم وقد جمع الحاخام أكيبا المشناة وقسم فصوله ثم جاء تلميذه منير فأكمل المشناه ويسرها وقد نهج الحاخامات الكبار على جمع وتأليف المشناه كل بطريقته الخاصة، حتى قرر يهوذا هاناسي الذي تقدم ذكره أن

يقضي على التشويش الناتج عن تعدد المشناه، فدون نسخة معتمدة وقد استفاد من جميع النسخ الموجودة خصوصاً نسخة منير.

أما العلماء الذين اشتركوا في تأليف المشناه منذ وفاة هليل سنة 10 حتى إتمامه سنة 20م، فيسمون تنائم والعلماء الذين اشتركوا في وضع شرحه الجمارا يعرفون باسم أمورائيم والذين أضافوا شروحهم إلى التلمود في القرنين السادس والسابع فيسمون سابرائيم أي العقلاء أو المناظرون والحاخامات الذين فسروا التلمود يسمون جيونيم إذا كانوا رؤساء المجامع اليهودية وإلا أطلق عليهم بوسيكيم أي المقررون والفاصلون.

وأحكام المشناه إما عامة مجهولة المصدر وهي أحكام مقبولة وأما آراء الحكماء أو المعلمين وآراء الحكماء (الحاخامات) هي المفضلة عند التعارض حول مسألة ما، ولغة التلمود هي اللغة العبرية الحديثة فيها أثر من اليونانية واللاتينية.

والجمارا (بكسر الجيم) معناها الإكمال بدأه أول مرة أبنا الحاخام يهوذا هناسي.

هناشي: الحاخامان جامالنييل وسيميون، واستأنف الحاخام أشي هذا العمل في صور من 365 إلى 425 وأكملة الحاخام أبينوا الذي يسمى رابيناً أيضاً ووضعه في صورته الختامية إلى الحاخام موسي أو من سمي لدى اليهود بالملقن أو الآخر والذين اتبعوه من العلماء من لم يعد من اختصاصهم الأمر بشيء وإنما كانوا يستطيعون الاستنباط من الأحكام السابقة وخلف هؤلاء العلماء الساميون ثم جاء أخيراً عهد الحاخامات العاديون.

والتلمود تلمودان

1 - تلمود أورشليم: ويسمى أيضاً تلمود أو جمارا أرض إسرائيل و تلمود أو جمارا بني مآربا (المغرب) تم جمعه سنة 400م بعد الإجراءات الشديدة التي اتخذها Ursicinus سنة 351م. في فلسطين مما أقلق اليهود بضياح القانون الشفهي السريري ويرى ظفر الإسلام خان أن علماء قيصرية هم الذين قاموا بتدوين تلمود أورشليم وليس علماء أورشليم أنفسهم ويذكر هذا الاسم مجازاً على سبيل إطلاق الكل على الجزء وكان الحاخام يوحنا على رأس القائمين بأمر هذا التلمود.

2 - تلمود بابل: اكتشف علماء اليهود بعد موت يهوذا هاناسي أنه قد ترك أشياء كثيرة دون تدوينها في المشناه ونصف تلمود بابل أساسه مشناه يهوذا هاناسي مع الشروح التي كتبها الحاخام أبأريكا في صور وأهم الكتب التي ألقت بعد موته هو "توسفتا" وبعد أن زادت المناقشات والآراء التي اتفق عليها الحاخامات خافوا من ضياعها في حالة عدم التدوين وأول من قام بتدوين تلمود بابل هو آشي بمساعدة رايبنا وكان هدفه أن تكون في أيدي اليهود لائحة قانونية معتمدة وكتاب يدرسه طلبة اليهود وقد أكمل الحاخام رايبنا بارهونا عمل آشي الذي مات قبل استكمال مشروعه وقد قام الحاخام سابرائيم في القرنين السادس والسابع بوضع الحواشي والشروح على نسخة رايبنا وفصل في الأمور المختلف في أمرها والتلمود البابلي هو المعتمد لدى اليهود.

أول من نشر التلمود بجهد منظم هو موسى ين ميمون لذا لقب بسم (نسر-المعبد اليهودي)، وكان ذلك عام 180م فأخرج عمله الشهير المعنون "ميشناه تورا" أي أعاد القانون واليد القوية ويضم كتابه أربعة أجزاء من أربعة عشر كتابا

وهو التلمود بكامله ثم أضاف إليه بحثاً فلسفياً ضخماً أضاف من عنده عليه فنبذه قومه وحكم عليه بالموت ففر إلى مصر حيث مات سنة 1205م.

المراحل التي مر بها التلمود:

1- المرحلة الشفهية: واستمرت 800 سنة من 125ق.م- 450ق.م وكان اليهود في هذه الفترة يتناقلون التلمود مشافهة في عصور الأمية والجهالة والوثنية والفساد الاجتماعي والجنسي والسياسي وسرى عليه ظلام الواقع اليهودي السائد آنذاك.

2- مرحلة الكتابة: واستمرت حوالي ألف سنة من 450ق.م- 500م في عصور الإبادات الجماعية لليهود على يد الدول الكبرى المجاورة لهم وتحريفه ليناقض النصرانية ويتهم عيسى وأمه عليها السلام ويكذبوه ويهدموا دينه ويحاربوا به النصارى.

3- استمرارية التحريف: لا سيما بعد بعثة النبي محمد ﷺ ليناقضوا دينه ويكذبوه وضموا إليه عدائهم للإسلام والمسلمين لفترة قرنين من الزمان بعد بعثة النبي المصطفى ﷺ.

4- مرحلة التحريف المتواصل فيه حتى طباعته (500- 1523م) واستمرت حوالي ألف سنة في العصور الوسطى، وما لقي اليهود فيه من اضطهادات وإبادات لهم بسبب التلمود، واستمر الحاخامات يضمون إليه مجلداً نهاية كل قرن حتى أواخر القرون الوسطى.

5- مرحلة طباعته واستمرار التحريف والحذف والزيادة فيه (1523- 2000) حوالي خمسمائة سنة وبعد أن فضح التلمود وحوكم وقاسى اليهود الأمرين

بسببه في أوروبا وأخذ الحاخامات يضمنون إليه مجلداً شفهياً غير مكتوب في نهاية كل قرن.

وإذا جمعنا مدد هذه المراحل يكون عمر التلمود حتى استقر بوضعه اليوم هو (3250) سنة! منذ موسى عليه السلام حتى اليوم وقد أشبع بالتحريف بما يلبي رغبات اليهود ومصالحهم وفي الطبقات الحديثة للتلمود قام اليهود بحذف بعض الأشياء من التلمود نتيجة لما أحدث من ضجة في أوروبا خاصة موقف التلمود من المسيحية.

سرية التلمود:

يصرح التلمود أن على غير اليهودي الذي يدرس التلمود واليهودي الذي يساعده على ذلك يجب قتلها ولم تكتشفه أوروبا إلا بعد مضي - سبعة قرون من الزمن وذلك في أواسط القرن الثالث عشر وقبل ذلك التاريخ كان سرأ بين اليهود وحدهم وكان هذا الاكتشاف في أوروبا عن طريق المرتدين من اليهود وعن طريق هجرة العلماء المسلمين بعد نكبة الأندلس وعن طريق قيام حركة الترجمة والنقل.

وبعد بحثنا لنشأة التلمود والمراحل التي مر بها نخرج بالتائج التالية:-

1- التلمود كتاب من وضع الحاخامات أنفسهم وليس شرعة من الله شفوية أنزلها على موسى عليه السلام مع الألواح وهو بريء منها كل البراءة.

2- التلمود كتاب أحاطت به السرية التامة لفترة طويلة من الزمن ولم يكن يطلع عليه إلا القليل من الناس.

3- التلمود كتاب لا زال خاضعاً للتحريف والتبديل وفق مصالح اليهود وأهوائهم ورغباتهم وأطماعهم.

4- التلمود يعطي صورة واضحة عن الشخصية اليهودية وطريقة تفكير اليهود على مر العصور لذلك لا بد من إجراء المزيد من الدراسات حوله ولا بد من ترجمته إلى العربية للوقوف في وجه الغزو الثقافي المرافق للحملة الصليبية والصهيونية.

غاية الكتب المقدسة اليهودية

قبل كل شيء لناخذ المعطيات التالية، والتي تفرضها علينا الوقائع ومعلوماتنا عن التوراة والتاريخ اليهودي :

1- إن تاريخ اليهود القديم والمذكور في (الهكزاتوك) أي الأسفار الخمسة الأولى من التوراة، لا يمكن التحقق من صحته من أي مصدر آخر سوى التوراة.

2- وأن علماء اليهود يعلنون صراحة أن تاريخهم القديم أسطوري وقد أعيد وضعه من وجهة نظر فريسية.

3- وأن اليهودية الأرثوذكسية المستندة إلى شريعتهم نشأت في بابل حوالي 400 سنة قبل الميلاد فقط (نقلاً عن الدكتور / آرثر روين).

4- وأن علماء الكتاب المقدس كلهم مجمعون على أن العهد القديم جرى وضعه خلال وبعد النفي إلى بابل.

5- وإن غاية الشريعة اليهودية هي أن تربط ببعضها فئة قتالية غير قابلة للامتزاج مع الغير ولا تقبل المصالحة والمهادنة معهم، ولا تعرف الرحمة أو الشفقة ومنظمة تنظيمياً شبه عسكري.

6- وأن الصور الخيالية في (الهكزاتوك) تصف فئة من المتآمرين المثاليين.

7- وإن أسفار العهد القديم التالية للهكزاتوك وإنما هي وصف للعقوبات والمكافآت التي يستحقها اليهود حسبما يكونوا إن عصوا أو أطاعوا الشريعة.

8- وإن رسالة الأنبياء لليهود هي فقط اتباع الشريعة لكي يأتهم (الوعد) أي أن يتملكوا الأرض ومن عليها - وإلا عوقبوا بالمحو من الوجود.

وبناء على ذلك كله لا مناص أمامنا من الجزم بأن تاريخ اليهود مختلف على نطاق واسع، وقد اختلقه المتآمرون من اليهود في بابل وهدفهم خلق تقاليد قومية لها غاية قائمة بذاتها لدى المنفيين وذريتهم، تفرض عليهم تنظيمياً كثير البطش تحت أمرة الشريعة، ومن ثم إضفاء ثوب الدين عليهم، لإخفاء وتبرير غاياتهم لإجرامية ضد العالم.

وقد استعار واضعو المؤامرة الأفكار من البابليين، ثم أضافوا إليها تقاليدهم القبلية الخاصة بعد تنميقها وتزيينها، ثم أطلقوا لمخيلاتهم الخصبة العنان⁽¹⁾.

الفصل الثالث
الصهيونية السامية
موقف اليهود
من الآخرين

الصهيونية

Zionism

تعريفها: هي منظمة يهودية تنفيذية، مهمتها تنفيذ المخططات المرسومة لإعادة مجد بني إسرائيل - اليهود - وبناء هيكل سليمان (لم يثبت إلى الآن بأن الهيكل المزعوم له أصل تاريخي إذ أن الحفريات جميعها قد خيبت آمال الصهاينة في ذلك)، ثم إقامة مملكة إسرائيل ثم السيطرة من خلالها على العالم تحت ملك (ملك يهوذا) المنتظر، سميت بذلك: نسبة إلى (صهيون) جبل يقع جنوب بيت المقدس يقدسه اليهود.

الصهيونية يهودية بحتة في شكلها وأسلوبها ومضمونها وأشخاصها، كما أن الصهيونية حركة دينية سياسية معلنة تخدم اليهود بطريق مباشر فهي الجهاز التنفيذي الشرعي والرسمي لليهودية العالمية.

تاريخها ونشأتها:

الصهيونية ليست وليدة هذا العصر فقد مرت بمراحل كثيرة منذ القرون الأولى قبل ظهور المسيحية وبعدها وقبل ظهور الإسلام وبعده، وكانت مراحلها الأولى مهمتها تحريض اليهود على الانتفاضة والعودة إلى أرض فلسطين وبناء هيكل سليمان، وتأسيس مملكة إسرائيل الكبرى، وحياسة المؤامرات والمكائد ضد الأمم والشعوب الأخرى.

أما الصهيونية الحديثة : فقد بدأت نواتها الأولى عام 1806م حين اجتمع المجلس الأعلى لليهود بدعوة من / نابليون - لاستغلال أطماع اليهود وتحريضهم على مساعدته - ثم حركة (هرتزل) اليهودي التي تمخضت عن المؤتمر اليهودي العالمي في (بال) بسويسرا عام 1897م، والذي قرر فيه أقطاب اليهود ما يسمى بـ(بروتوكولات حكماء صهيون) وهو المخطط اليهودي الجديد للاستيلاء على العالم ومن هذا المؤتمر انبثقت المنظمة الصهيونية الحديثة.

أهداف الصهيونية

ذكرنا أن الصهيونية حركة يهودية خالصة . أما أهدافها فهي ذات جانبين :
ديني وسياسي :

أما الجانب الديني فيتلخص فيما يلي :

1- إثارة الحماس الديني بين اليهود في جميع أنحاء العالم، لعودتهم إلى أرض الميعاد المزعومة (أرض فلسطين).

2- حث سائر اليهود على التمسك بالتعاليم الدينية والعبادات والشعائر اليهودية والالتزام بأحكام الشريعة اليهودية.

3- إثارة الروح القتالية بين اليهود، والعصبية الدينية والقومية لهم للتصدي للأديان والأمم والشعوب الأخرى.

أما الجانب السياسي فيتلخص فيما يلي :

1 - محاولة تهويد فلسطين (أي جعلها يهودية داخلياً) وذلك بتشجيع اليهود في جميع أنحاء العالم على الهجرة إلى فلسطين وتنظيم هجرتهم وتمويلها، وتأمين وسائل الاستقرار النفسي والوظيفي والسكنى وذلك بإقامة المستوطنات داخل أرض فلسطين "وهي عبارة عن مجتمعات سكنية حديثة كاملة المرافق تمويلها الصهيونية من تبرعات اليهود والدول الموالية لهم في العالم"، وتوطيد الكيان اليهودي الناشئ في فلسطين سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

2 - تدويل الكيان الإسرائيلي عالمياً، وذلك بانتزاع اعتراف أكثر دول العالم بوجود دولة إسرائيل في فلسطين وشرعيتها وضمان تحقيق الحماية الدولية لها، وفرضها على العالم، وعلى المسلمين على وجه الخصوص. لذلك نجد أن الصهيونية تقوم بدور رئيس في دفع أمريكا وروسيا وأكثر الدول في أوروبا لحماية إسرائيل سياسياً وعسكرياً ودعمها اقتصادياً وبشرياً، فبالرغم من أن أمريكا ودول أوروبا - دول نصرانية - وبالرغم من أن روسيا كانت شيوعية تحارب الأديان وبالرغم أيضاً من أن شعوب هذه الدول تكره اليهود بحق إلا أنها لا تزال تحمي دولة إسرائيل وتدعمها. وما ذاك إلا بتأثير الصهيونية الواضح.

3 - متابعة وتنفيذ المخططات اليهودية العالمية السياسية والاقتصادية، خطوة بخطوة ووضع الوسائل الكفيلة بالتنفيذ السريع والدقيق لهذه المخططات، ثم التهيئة لها إعلامياً وتمويلها اقتصادياً، ودعمها سياسياً.

4 - توحيد وتنظيم جهود اليهود في جميع العالم أفراد وجماعات ومؤسسات ومنظمات، وتحريك العملاء والمأجورين عند الحاجة لخدمة اليهود وتحقيق مصالحهم ومخططاتهم.

مغالطات صهيونية

في نهاية القرن التاسع ، عندما ظهرت الحركة الصهيونية ، كان ما يسمى "التيار الوطني" هو الغالب في هذه الحركة، وهو التيار الداعي إلى بقاء اليهود في بلادهم الأصلية، والعمل على الاندماج في هذه المجتمعات ، وكانت غالبية من المثقفين والعمال والفقراء أو من الطبقة المتوسطة.

أما التيار الثاني، فهو "التيار القومي" وكان يتزعمه غلاة الصهاينة من كبار الأغنياء اليهود الباحثين قبل كل شيء عن "أرض" يارسون عليها نشاطهم الاقتصادي بعيداً عن منافسة البرجوازية الأوروبية القوية، ولم يكن يعينهم كثيراً أن تكون هذه الأرض فلسطين أو غيرها، فالموضوع بالنسبة لهم كان مشروعاً اقتصادياً فحسب.

وبالفعل فقد طرح في البداية إنشاء دولة لليهود في أوغندا أو غانا! ثم طرح إنشاء دولة في مناطق واسعة من الأرجنتين! ومع ظهور النزعات العنصرية في أوروبا والمذابح التي تعرض لها اليهود في روسيا أولاً، ثم في باقي الدول الأوروبية، ازداد أنصار التيار القومي الداعي إلى وطن قومي لليهود، ونتيجة عدد كبير من العوامل تم اختيار فلسطين لتكون هي الوطن القومي المزعوم.

من الطريف ذكره، أن أدبيات الحركة الصهيونية كانت تسمى فلسطين باسمها الأصلي، ولم تكن تسمية إسرائيل قد خطرت لهم على بال، حتى بعد قيام إسرائيل كانت تسمى "فلسطين" حتى العام 1952 على الأقل ، لأنهم يعرفون أن شعب إسرائيل المزعوم، وكان قد اندثر من الوجود ، وذاب بين الشعوب المنطقة

منذ القرن السادس قبل الميلاد على الأقل! وأن اللغة العبرية نفسها قد اندثرت من الوجود ، ومنذ ذلك الزمن أيضاً ، وقد كان اليهود يتكلمون الآرامية (المقصود يهود السبي في بابل) وبعد ذلك في فلسطين "ثم ظهور العربية وهيمنتها على المنطقة تكلم اليهود العربية مثلهم مثل غيرهم من شعوب المنطقة.

وعندما قامت الصهيونية بمحاولة إحياء اللغة العبرية، وهي المحاولة التي كان لليهود الألمان الدور البارز فيها، فقد جاءت العبرية الحديثة مصطنعة، وهي لا تمت بصلة للغة العبرية الأصلية، ذات الأصل الشرقي العريق. فاللغة العبرية الحديثة غير قادرة على نطق ثلاثة من الأحرف الأساسية في "اللغات السامية" وهي الحاء والعين والقاف ، إضافة إلى قلب الحروف المأخوذ عن الآرامية ، وتحويل الألمان الحرف (و) إلى ف، بثلاثة نقاط وهو الحرف الألماني (W) وهكذا ضاعت اللغة العبرية ، مرتين وأصبحت لغة عجيبة ، هجينة ، مصطنعة، حتى النهاية.

مثال آخر للتزوير البشع الذي تمارسه الصهيونية، هو ادعائها بأن اليهود في جميع أنحاء العالم ليسوا أتباع دين معين هو الدين اليهودي، فقط ولكنها تذهب أبعد من ذلك ، إذ تدعي بأن هؤلاء إنما هم شعب واحد من عرق واحد في واحدة من أكثر الخدع بشاعة في تاريخ الإنسانية.

مثال ثالث للتزوير والخداع ، هو إدعائها بأن فلسطين، هي الأرض الموعودة، وهي الحاضنة الطبيعية للديانة اليهودية! ورغم فشلهم الذريع في إثبات هذا الأمر وهم ينبشون في تراب منذ أكثر من قرنين من الزمان مزودين بكل ما يخطر على بال من إمكانيات تكنولوجية، وملايين الدولارات، وأدعية الحاخامات، وقد أخرجت أرض فلسطين كل أسرارها، ولم يعثر على أثر واحد لكل ما ذكر في التوراة، لا

قصور ولا ممالك ولا كل الحضارات التي مرت على فلسطين نعرفها جيداً ويمكن تأريخها بدقة ، وابرز هذه الحضارات هي الحضارة الكنعانية والحضارات الفلسطينية، حتى إنسان ما قبل التاريخ كان حاضراً بأدواته البدائية ، ليكون شاهداً على فضيحة الهدهد هذه فجن جنونهم وبدؤوا يمارسون الكذب علانية ، مستفيدين بالدرجة الأولى من غياب الطرف العربي ، وصمته المريب.

الأسس الدينية للحركة الصهيونية

الحركة الصهيونية حركة عنصرية استعمارية استيطانية توسعية ورجعية فاشية، تقوم على مذهبية تركز في مبادئها على الاستعلاء والاستغلال، وتستند إلى نظريات التوسع والسيطرة والعدوان، وتستخدم العنف في وسائل تطبيقها ومارستها كأداة لتحقيق أهدافها، وذلك في ضوء الحقائق العلمية والتاريخية وعلى أساس تصريحات زعماء الصهاينة وأقوالهم ، وما يقومون به من أعمال وما أسفرت عنه هذه من نتائج. والصهيونية في مذهبها الاستعماري ارتكزت ومنذ نشوئها على عدة فرضيات خاطئة ابتكرها واضعوها مثل (أن اليهودية دين قومية) مستغلة بذلك الدين اليهودي، ودعية وجود (القومية اليهودية) و (الجنس اليهودي) و(وحدة الشعب اليهودي) لتعلق اليهود (بأرض الميعاد) ولتحقق أهدافها كمشروع استعماري لإقامة الوطن العربي اليهودي (الدولة الصهيونية) على أرض فلسطين.

لقد ظلت هذه الفكرة الموجهة تغذي الإدعاءات الصهيونية فابن غوريون أعلن عام 1963 عن قيام ما اسماه (مملكة إسرائيل الثالثة) حيث كانت المملكة

الأولى هي (ملكة داود) والثانية التي أصبحت بعد ثورة المكاين عام 167 قبل المسيح ضد حلفاء الإسكندر. وفي الوقت الحالي تتحدث عن الاستيطان وعن الاستيطان وحده، وهو هدفها في المدى القصير وأعلن موشي ديان في آب 1967 (وإذا كنا نمتلك الكتاب المقدس، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب الكتاب المقدس، فإن علينا بالمثل أن نمتلك أرض الكتاب المقدس، أرض القضاة والآباء، أرض أورشليم الخليل، وأريحا وغيرها، وأنا لا أعرض هنا برنامجاً سياسياً، وإنما أعرض أمراً أكثر أهمية أعرض الوسائل لتحقيق حلم الأبناء، وعلى الدول أن تفهم أن سيناء، ومرتفعات الجولان، ومضيق تيران، وجبال غرب الأردن، بغض النظر عن أهميتها الإستراتيجية تقع في قلب التاريخ اليهودي ويعلن مناحيم بيغن لتحقيق ما يسميه بـ (إسرائيل الكبرى) التي لا بد أن تضم كل المنطقة التي كان يسيطر عليها الملك دود والملك سليمان قبل ثلاثة آلاف عام.

والحجج الصهيونية الدينية تستند إلى حجة العهد الذي قطعه يهوه للشعب اليهودي حين جعله (الشعب المختار) وهذا النص الذي يستند إليه الصهاينة يمنح كل أرض كنعان لإبراهيم (وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان).

والمواقع أن هذا العهد قد أعطى في أيام إبراهيم وفق نموذج العلاقات والاجتماعية في الشرق كله في ذلك الحين، إذ كانت كل قبيلة تتعاهد مع سيد ما لتعهده بالطاعة مقابل حمايته، ويختتم هذا العهد بذبح حيوانات التضحية وبعد الختان رمزاً لهذا العهد.

أن تحجر المؤسسة الدينية اليهودية هذا يترك أثراً سياسياً خطيرة فهو يؤدي إلى إضفاء شرعية دينية على النزعة القومية، ولقد كانت حجج كهذه هي التي برزت لهتلر ودبرت على أساس ذلك المذابح لليهود، وباسم نفس هذه العنصرية صورت قوانين تورميرج النازية، اليهودية بأنه من ولد لأم يهودية فهو يهودي ويقول أحد اليهود حاييم كوهين (ومن سخرية القدر أن نفس الأفكار البيولوجية العنصرية التي روج لها النازيون، والتي ألهمت قوانين تورميرج الشائنة هي التي تعد أساس التعريف الرسمي لليهودية داخل دولة إسرائيل ويجري هذا كله في الوقت الذي تتخطى فيه التوراة والأنبياء هذه النزعة الطائفية، فسفر التثنية والنبى ارميا يتحدثان عن (ختان القلب) أي عن التحول الداخلي للإنسان بحلول الله فيه وليس عن مجرد الطقس الشكلي . كما أن المسيحية في العهد الجديد تعلن عن إقامتها العلاقة الشخصية بين كل إنسان وبين الرب تتخطى النزعة الطقوسية ، فيقول : بولص الرسول - وهو يهودي بالمولد - (لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً والعزلة بل الإيمان العامل بالمحبة فهو هذا يقطع كل صلة بمزاعم تميز شعب مختار فالرب هو رب كل الشعوب).

ويجعل القرآن الكريم نفس النزعة العالمية العامة ونفس النظرة إلى الداخل الروحي في تفسيره للعهد أنه مفتوح أمام كل من يعملون وفق الروح الإلهي (وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال: إني جاعلك للناس إماماً قال: ومن ذريتي قال: لا ينال عهدي الظالمين) فلسنا إذن أمام عهد بحكم الدم إنما ميثاق للقلب يقول النبي ﷺ (إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

ويقوم الأساس الديني على تصور قبلي فإن المطالبة (بالحقوق التاريخية) لليهود في فلسطين تستند إلى تزييف وتعمية تاريخية ، فالبلاد التي يسميها الكتاب المقدس (أرض كنعان) والتي سميت بفلسطين منذ أيام الرومان (أي أرض الفلسطينيين) تقع في (الهلال الخصيب) الذي يمتد من الفرات إلى النيل وهو موقع تاريخي عبرته وامتزجت فيه كثير من الشعوب ، وحين جاءت قبائل ابراهيم في القرن الثاني عشر قبل الميلاد من أراضى (أور) فيما بين النهرين لتستقر في أرض كنعان فإنها لم تأت إلى صحراء مهجورة، ولم تكن أول من يقطن هذه الأرض ، فقد وصل إليها الأموريون قبلهم بثمانمائة عام وجاءها الآراميون في القرن الثاني عشر- قبل الميلاد ، وبعدهم بقليل نزل الفلسطينيون المنطقة الساحلية ، ثم أصبحت البلاد فيما بعد إقليماً آشورياً في القرن الثامن قبل الميلاد ، وغدت فيما بعد إقليماً رومانياً ، ثم فارسياً ، ثم عثمانياً ، قبل أن تنتقل إلى أيدي المستعمرين الإنكليز.

ولعل هذا المفهوم حول الأرض المختلفة التي تفوق قدسيتها أي أرض أخرى لارتباطها بالشعب المختار هو الأساس لبعض الشعارات الصهيونية الهزلية المعادية للتاريخ مثل (إعطاء أرض بلا شعب لشعب بلا أرض) باعتبار أن الأرض هي أرض إسرائيل التي لا وجود لها في الحقيقة للشعب اليهودي الذي يهيم على وجهه ولا أرض له. وهذه الأرض ولا شك هي بقايا وثنية في الدين اليهودي ، وارتباط الدين اليهودي ارتباطاً بالأرض هو تعبير آخر عن هذا النمط البنيوي الذي نلاحظه في اليهودية وهو ارتباط المطلق (الديني) بالنسبي (المكان) الأمر الذي يجعل التسامي والجدل مستحيلين.

ومن مظاهر النزعة الدينية المتطرفة ما أنكرته الصهيونية من وجود كل ما ليس يهودي في إسرائيل فان هرتزل لم يبشر في كتابه (الدولة اليهودية) إشارة واحدة

إلى وجود العرب في فلسطين، حيث أكد أن المشروع الصهيوني واضح للغاية وسهل التحقيق (إعطاء أرض بلا شعب لشعب بلا أرض) في حين أنه كان في فلسطين عام 1882م. حين بدأت الهجرة الصهيونية 25 ألف يهودي في فلسطين يعيش بين نصف مليون من السكان العرب، وقد ضخم الصهاينة الحديث عن الأرض، وارتباط اليهود بها حتى نشأ ما يسمى بـ (لاهوت الأرض المقدسة) فالأرض في العقل الصهيوني تحولت إلى فكرة لاهوتية، ونفذت أبعادها التاريخية المتعالية، فالأرض المقدسة جزء من السماء والأرض اللذين خلقهما الله قبل بداية التاريخ، والإله الذي يحل في الطبيعة والتاريخ هو صاحب التصرف في كليهما، ولتبرير الاستيلاء على الأرض تمهيداً لتهديدها.

فالتفسيرات التوراتية (للأرض المقدسة) عبر تاريخها كان يقطنها شعب (غير مقدس) ومنذ بداية تاريخها وحتى عام 1000 ق.م. كان يقطنها الكنعانيون والفلسطينيون ثم قطنها اليهود بضع مئات من السنين، توافد بعدها الغزاة إلى أن اختفى أي وجود حقيقي عام 70م وأمام هذه الحقائق التاريخية كان لا بد لمفكري الصهيونية بتفسيراتهم التوراتية من الإجابة على هذه المشكلة (مشكلة ملكية الأرض) فقد كتب الحاخام راش معلقاً على العبارة الافتتاحية في التوراة (في البدء خلق الله السموات والأرض) يقول: أن الله يخبر إسرائيل والعالم أنه هو الخالق، ولذلك فهو صاحب ما يخلق يوزعه كيفما يشاء، ولذا فإن قال الناس لليهود أنتم لصوص لأنكم غزوتهم أرض إسرائيل وأخذتموها من أهلها فإنه يمكن لليهود أن يجيبوا بقولهم (أن الأرض مثل الدنيا ملك وهو قد أعطاها لنا).

وحسب هذا التصور الديني يرى اليهود أن تاريخهم مقدس يعبر عن الآراء السريانية فالله إسرائيل يتدخل في التاريخ اليهودي من آونة لأخرى والأمة اليهودية

ظهرت من خلال تدخل الهي مباشر أي أن الخالق قد حل في الشعب وتاريخ الشعب، وحلول الروح الإلهية في اليهود حولهم إلى أمة من القديسين والكهنة والأنبياء.

ويبدو أن الرؤية الدينية القوية للتاريخ هي التي شجعت النزعات التصوفية التي يهتم بها تاريخ اليهودية وقضت على الاتجاهات العقلانية وهي في صميمها معاداة للتاريخ، ومن هذا التصور القبلي للدين، وهذه الأسطورة التاريخية تتبع الروح العدوانية الاستيطانية للصهيونية التي تتسم بنفي حقوق الغير وثقافة الغير ووجود الغير، وهذه الروح العدوانية الاستيطانية تلهم الصهيونية في نظريتها وفي ممارستها وفي سياستها الداخلية والخارجية.

وحاولت الصهيونية أن تعلي النزعة العرقية اليهودية بارتباطها بالدين اليهودي، فاليهودي في نظر الصهيونية أكان يهودياً بالعرف أو بالمراث التاريخي الثقافي أو بالدين القومي أو بهذه العناصر مجتمعة هو اليهودي (النقي) الذي لا تشوبه شائبة من تقاليد الأغبار التاريخية أو من (تربتهم) لأن مفهوم (اليهودي النقي) يشكل الأساس للمخطط الذي قسمت الصهيونية العالم بموجبه إلى يهود وأغيار، وأن مفهوم (القومي اليهودي) الخالص قد خدم حالياً إسرائيل للإشارة إلى الصهاينة الذين يدينون بالدين اليهودي، وهو مفهوم يسوي بدهاة على ولاء مفترض من جانب اليهود حيثما كانوا لوطنهم الحقيقي، ولا شك أن تلك المفاهيم كانت في عقيدة الصهيوني وايزمان الذي قيل: أنه كان يؤمن بأن كل يهودي معتبر صهيونياً محتملاً، وأن اليهود الذين تشوب وطنتهم اليهودية) أي ولاء قومي آخر يجب أن ينظر إليهم بعين الرثاء أو بعين الإزدراء باعتبارهم مجرد خونة لوطنهم الألوحد والله.

آثار الصهيونية في الفكر الحديث

قامت الحركة الصهيونية على أكتاف البرجوازية اليهودية في أوروبا التي أخذت تعاني من تأزم النظام الرأسمالي، ومن أجل خلاصها سعت البرجوازية اليهودية للدفاع عن نفسها بذات أسلحة البرجوازية الأوروبية، وبذات الإيديولوجية القومية فصورت الصهيونية المسألة اليهودية بأنها عملية اضطهاد لليهود بغض النظر عن تكوينهم الاجتماعي أو الطبقي أو السياسي ولا مجال لمنع هذا الاضطهاد وتعايش اليهود مع الآخرين، مادام اليهود مشتتين ويفتقدون الهوية القومية التي لا يمكن توفرها إلا بإقامة الدولة اليهودية.

والصهيونية في استيلائها على فلسطين إنما تريد أن تفتح آفاقاً جديدة برؤوس الأموال الصهيونية تداركاً لما قد يصيبها في الدول الاستعمارية من هزات ظهرت بوادرها عند بعض الدول في محاولة لتحرير اقتصادها من قبضة المستغلين والمرايين وأكثرهم من اليهود ويؤكد بفانوف محتوى الفكرة الصهيونية المادية بقوله: (إن الصهيونية المعاصرة هي أيديولوجية ومسومة متشعبة وممارسة سياسية للبرجوازية اليهودية الكبيرة التي اندمجت بالأوساط الاحتكارية في الولايات المتحدة والدول الإمبريالية الأخرى، والمحتوى الرئيس للصهيونية هو الشوفينية النزاعة إلى الحرب والعداء للشعوب، وان مصير وموت الصهيونية مرتبطان ارتباطاً مباشراً بمصير وزوال الطبقات المستثمرة، وبمصير موت الإمبريالية ويتبين من ذلك أن الصلة التاريخية والدينية ليست هي التي تشد الصهاينة إلى فلسطين بل أن الجشع الصهيوني للسيطرة على رؤوس الأموال والرغبة باستعمار العالم اقتصادياً. كما أن الصهيونية اعتبرت المسألة اليهودية مسألة قومية وليست دينية أو اجتماعية وتكون بذلك قد ارتضت بصمة المعطيات الإيديولوجية اللا سامية باعتبار اليهود عنصر-

غربي تحميه صفات عرقية وأخلاقية واجتماعية واحدة ، والفرق الوحيد بين المعطيات اللا سامية والمعطيات الصهيونية هو اعتبار اللا سامية اليهود كعنصر- رذيل بينما نظرت الصهيونية لليهود كعنصر فريد مختار.

إن مفهوم (الشعب المختار) يعتمد على ما جاء في التوراة ، ولكن الصهيونية أصرت على اعتبار الدين اليهودي ديناً قومية وليس عالمياً ، وطرحت مفهوم الشعب المختار في صيغة سياسية وقومية بعيدة كل البعد عن المعايير الدينية وغدا إيمان اليهود الديني بفكرة الشعب المختار يعني بالنسبة للصهيونية إيماناً بالوجود القومي لليهود.

وزعمت الصهيونية أن الحياة في ظل المجتمعات الأوروبية من شأنها أن تجعل اليهود يتمزقون بين السحق الروحي والحضاري الذي سيجلب عليه الفناء المادي عن طريق الاندماج التام في المجتمعات. بهذا المنطق كرست الصهيونية مبدأ الانفصام العنصري كمبدأ أساسي في الإيديولوجية الصهيونية وكنتيجة منطقية غذت فكرة محاربة اندماج أو تمثل اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها.

ورسخ قادة الصهيونية فكرة اعتبار اللا سامية صفة متأصلة بالبشرية لا يمكن إزالتها وعلاجها لا يتم إلا عن طريق تصحيح الظروف المادية التي ساعدت على ظهورها وبذلك سلم هرتزل بالا سامية كحقيقة غير مقبولة وأقر مبدأ التمايز القومي وأصبحت فكرة اللا سامية أداة في خدمة الصهيونية.

إن كون الصهيونية في فكرتها وتنظيمها وأهدافها جاءت كرد فعل على حالة طارئة معرضة للزوال وهي (العنصرية اللا سامية) فإن (رد الفعل) كان ل بد أن يجعل الصهيونية بمنظارها التشاؤمي الرجعي إلى مستقبل الإنسانية هذا تقابل (اللا سامية العنصرية) بسامية عنصرية ، وكان العرب هم التضحية أمام عنصرية

الصهيونية، كما عانى اليهود عنصرية النازية واللا سامية الكامنة وراءها، لقد وقعت الصهيونية نتيجة الاكتفاء برد الفعل على اللا سامية في أخطاء العنصرية وهي وجودها العنصري في فلسطين وممارساتها بحق العرب قد حولت هذه الأخطاء إلى خطايا وجرائم لا يغفرها التاريخ والإنسانية.

ولكن الصهيونية وقد انطلقت منذ بداياتها الأولى من مسلمات الفكر العنصري الأوروبي لتبرير استعمارها لفلسطين، وما يتضمنه ذلك من النظر إلى (اليهود) باعتبارهم جنساً أسمى وأرقى من العرب، وما يترتب على هذه النظرة العنصرية المبدئية التي مهدت لعمليات الاستيطان الاستعماري لفلسطين وواكبتها نشوء اتجاه عدواني إزاء العرب الفلسطيني أهل البلاد، يتمثل في عدم الاكتراث بمصيرهم بل في ضرورة القضاء عليهم وطرحهم خارج البلاد.

وقد اعتبرت العنصرية المتأصلة في الأيديولوجية الصهيونية عن نفسها بممارسات عنصرية لم يكن ثمة مقدمات تاريخية لها في علاقة الأمة العربية باليهودية، فقد خلقت الصهيونية أزمة مصطنعة بين اليهود والعرب، واستعانت بكل الرواسب العنصرية في الحياة الأوروبية ضد العرب، وكان نهجها الثابت ان تتمكن من خلق عصبيات عنصرية متأججة تمتد داخل الوطن العربي كما تشاهد في أحداث لبنان وذلك بحكم ارتباط الصهيونية ارتباطاً مباشراً باستراتيجيات الدول المستعمرة واصطدامهم مباشرة بمصالح النضال العربي وبنهضة الشعب العربي للتححر من التخلف ومن الاستعمار ومن التجزئة.

كل ذلك جعل من الصهيونية عملية استغلال للمشكلة اليهودية أكثر منها عملية حل لها، وعملية ربط لهذه المشكلة بالمخططات والمصالح الإمبريالية وعملية قطع طريق على تيار التحرر العربي.

الانغلاق اليهودي

موقف اليهود من الأغيار (غير اليهود)

يقول مؤلف كتاب الانغلاق بأنه على الرغم من أن هذا الكتاب مكتوب باللغة الإنكليزية وموجه إلى الشعوب التي تعيش خارج دولة إسرائيل، فإنه في ناحية من نواحيه، يشكل استمراراً لنشاطاتي السياسية كيهودي إسرائيلي. لقد بدأت هذه النشاطات ام 1965-1966، أثر احتجاج تسبب، آنذاك، في فضيحة كبيرة. فقد كنت شاهداً على يهودي متعصب، لا يسمح باستخدام هاتفه في أحد أيام السبت، لاستدعاء سيارة إسعاف من أجل شخص غير يهودي صودف انهياره في الضاحية التي يسكنها بالقدس. وعوضاً من أن أنشر بكل بساطة نبا هذه الحادثة في الصحف، طلبت اجتماعاً مع أعضاء هيئة المحكمة الحاخامية لمدينة القدس، المؤلفة من حاخامات تعينهم دولة إسرائيل. وقد سألت هؤلاء عما إذا كان مثل هذا التصرف يتوافق مع تفسيرهم للديانة اليهودية، فأجابوني بأن هذا اليهودي، موضوع البحث، كان مصيباً في تصرفه، بل تقياً صالحاً. ودعموا قولهم هذا بإحالتني إلى فقرة ف مختصر معتمد للشرائع التلمودية، كان قد كتب في هذا القانون. فما كان مني إلا أن كتبت تقريراً بالحادثة، لليومية العبرية الرئيسية "هآرتس"، التي تسبب نشرها للقصة بفضيحة إعلامية.

وكانت النتائج الناجمة عن الفضيحة بالنسبة إليّ، نتائج سلبية نوعاً ما. فلا السلطات الحاخامية الإسرائيلية لا نظيراتها في الشتات، عكست حكمها القائل بأن اليهودي لا يجوز له انتهاك حرمة السبت من أجل إنقاذ حياة أحد الأغيار (غير

اليهود). ولقد أضافوا إلى حكمهم هذا، الكثير من الهذر المغلف بالتقوى، والذي كان مفاده أن عملاً من هذا النوع، إذا كانت نتيجه تعرض اليهود، فقط للخطر، يصبح حينئذ انتهاك حرمة السبت من أجلهم انتهاكاً جائزاً. ولما كنت قد بدأت في شبابي بدراسة الشرائع التلمودية التي تحكم العلاقات بين اليهود وغير اليهود، بات واضحاً بالنسبة إلي، وبلاستناد إلى هذه المعرفة التي اكتسبتها، أن لا الصهيونية، ولا حتى في جزئها الذي يبدو علمانياً، ولا السياسة الإسرائيلية منذ ولادة دولة إسرائيل، ولا سياسات مؤيدي إسرائيل اليهود، في الشتات خصوصاً، يمكنها أن تكون مفهومة ما لم يؤخذ في الحسبان التأثير الأعظم لهذه الشرائع وللنظرة إلى العالم التي تخلقها وتعبر عنها في آن. وأن السياسات الفعلية التي انتهجتها إسرائيل بعد حرب الأيام الستة، ولا سيما سياسة التمييز العنصري التي يتسم بها الحكم الإسرائيلي في المناطق المحتلة، موقف الأكثرية اليهودية من مسألة حقوق الفلسطينيين، حتى كفكرة مجردة، قد عززت قناعاتي ليس إلا.

وإنني لدى أدلائي بهذا القول، لا أحاول أن أتجاهل الاعتبارات السياسية والإستراتيجية التي تكون قد أثرت في حكام إسرائيل، فما أقوله بكل بساطة، هو أن السياسة الفعلية هي تفاعل بين الاعتبارات الواقعية (صحيحة كانت أم خاطئة، أو برأي، خلقية كانت أم غير خلقية) وبين التأثيرات الإيديولوجية التي تميل إلى أن تكون أكثر نفوذاً كلما كانت مناقشتها أقل، وكلما كان "جرها إلى تحت الأضواء" أقل، فأني شكل من أشكال العنصرية والتمييز وكرهية الغير يصبح بصفة خاصة، إذا كانت مناقشة ممنوعة، إن كان ذلك المنع الذي يتعاطاها أمراً مسلماً به. ويصح هذا القول بصفة خاصة، إذا كانت مناقشة ممنوعة، إن رسمياً أو بالاتفاق الضمني. وعندما توقدها الدوافع الدينية، فإنها تصبح كحالتها لنقيضه، أي كمعاداة السامية

ودوافعها الدينية . ولكن في الوقت الذي تناقش فيه معاداة السامية اليوم، نجد تجاهلاً عاماً خارج إسرائيل أكثر مما هو في داخلها ، لوجود العنصرية والتمييز وكرهية الغير بالذات، في وسط اليهود ضد غير اليهود.

تعريف الدولة اليهودية:

لا يمكننا أن نفهم، حتى ولا مفهوم إسرائيل كـ "دولة يهودية"، كما تعرّف إسرائيل نفسها رسمياً، من دون بحث المواقف اليهودية السائدة تجاه غير اليهود، والتصور الخاطئ الشائع بأن إسرائيل ديمقراطية حقيقية ، حتى من دون أن نراعي حكمها في المناطق المحتلة ، هو تصور ناشئ عن رفض مواجهة المغزى في مصطلح "الدولة اليهودية" بالنسبة إلى غير اليهود. وفي رأيي ، أن إسرائيل كدولة يهودية، تشكل خطراً ليس على نفسها وسكانها فحسب، بل على اليهود كافة وعلى الشعوب والدول الأخرى جميعاً في الشرق الأوسط وما وراءه . ولكن في الوقت الذي يبحث فيه الخطر العربي والإسلامي على نطاق واسع، فإننا نرى أن الخطر المتأصل في الطابع اليهودي لدولة إسرائيل، ليس موضوعاً مطروحاً على بساط البحث.

لقد كان لمبدأ إسرائيل كـ "دولة يهودية" أهميته العظمى لدى السياسيين الإسرائيليين منذ نشوء الدولة. وقد غرُس هذا المبدأ في أذهن السكان اليهود بمختلف الوسائل التي يمكن تصورها ، وفي أوائل الثمانينات عندما برزت أقلية من اليهود الإسرائيليين تعارض هذا المبدأ ، أقرت الكنيسة في عام 1985، بأغلبية ساحقة، قانوناً دستورياً (أي قانون يتقدم على مواد القوانين الأخرى كافة، والتي لا يمكن إلغاؤها إلا بإجراء خاص). وبموجب هذا القانون لم يعد يسمح لأي حزب بالمشاركة في انتخابات الكنيسة إذا كان برنامجه يعارض علناً، مبدأ "الدولة اليهودية" ، أو إذا كان يقترح تغييره بالوسائل الديمقراطية . وأنني شخصياً

أعارض هذا المبدأ الدستوري ، فالتبعات القانونية بالنسبة إليّ، تعني بأنني لا أستطيع ، في دولة أنا مواطن فيها، أن أنتمي إلى حزب له مبادئ اتفق معه فيها ويكون مسموحاً له بالمشاركة في انتخابات الكنيست. وحتى هذا المثل يبين بأن دولة إسرائيل ليست دولة ديمقراطية بسبب تطبيقها إيديولوجية يهودية موجهة ضد الأغيار، وضد اليهود المعارضين لهذه الإيديولوجية، أجمعين ولكن الخطر الذي تمثله هذه الأيديولوجية المهيمنة لا يقتصر- تأثيره على الشؤون الداخلية فحسب، بل على السياسات الخارجية الإسرائيلية أيضاً ويستمر هذا الخطر بالنمو ما دام تعزيز حركتين ناميتين مستمرًا في الوقت الحاضر: ازدياد الطابع اليهودي لدولة إسرائيل ، وازدياد قوتها ، وخصوصاً القوة النووية . أما ازدياد النفوذ الإسرائيلي في المؤسسة السياسية الأمريكية ، فهذا عامل آخر ينذر بالشؤم ولذلك ، فإن المعلومات الدقيقة حول اليهودية ، وخصوصاً حول معاملة إسرائيل لغير اليهود ، ليست الآن على الصعيد السياسي، معلومات مهمة فحسب ، بل حيوية أيضاً.

ودعوني أبدأ بالتعريف الإسرائيلي لمصطلح "اليهودي" ، لأظهر الفارق الأساسي بين إسرائيل "كدولة يهودية" ، وبين أكثرية الدول الأخرى. فإسرائيل بحسب هذا التعريف . هي "ملك" لأشخاص تعرفهم السلطات الإسرائيلية كـ "يهود" بصرف النظر عن المكان الذي يعيشون فيه، وتعود إليهم وحدهم. أما من ناحية أخرى ، فهي لا "تعود" لمواطنيها من غير اليهود، الذين تعتبر مكائتهم لديها مكانة دونية، حتى على الصعيد الرسمي.

الشوفينية اليهودية

وهذا يعني عملياً، بأن أفراد قبيلة من قبائل البيرو، إذا اعتنقوا الديانة اليهودية، واعتبروا بالتالي من اليهود، يحق لهم أن يصبحوا مواطنين إسرائيليين على الفور، وأن يستفيدوا من حوالي 70 بالمائة من أراضي الضفة الغربي (ومن 92 بالمائة من مساحة إسرائيل)، المكرسة رسمياً، لصالح اليهود فحسب. أما الأغيار كافة (وليس الفلسطينيين وحدهم)، فأنهم يمنعون من الاستفادة من هذه الأراضي، وينطبق هذا المنع حتى على الإسرائيليين العرب الذين خدموا في الجيش الإسرائيلي وبلغوا رتباً عالية فيه). والحالة التي تشمل البيروفيين الذين اعتنقوا اليهودية، قد حصلت بالفعل، منذ بضع سنوات. وقد جرى توطيّن هؤلاء اليهود الجدد في الضفة الغربية بالقرب من نابلس، في أرض يُستبعد منها المواطنون غير اليهود استبعاداً رسمياً وتقوم حكومات إسرائيل كافة بمجازفات سياسية كبيرة، بما فيها "المجازفة بالحرب، من أجل هذه المستوطنات، التي يقتصر تأليفها على أشخاص معرفين كـ "يهود" (وليس كـ "إسرائيليين"، كما تدعي، كاذبة غالبية وسائل الإعلام)، ومن أجل أن تكون مستوطنات خاضعة لسلطة "يهودية" فقط.

وأظن بأن المسيحيين إذا اقترحوا أن تتحول الولايات المتحدة، أو المملكة المتحدة إلى "دولة مسيحية" تعود فقط لمواطنين رسمياً، كـ مسيحيين"، فإن يهود الولايات المتحدة، أو بريطانيا، سوف يعتبرون ذلك معاداة للسامية، ونتيجة عقيدة من هذا النوع هي أن اليهود الذين يعتنقون المسيحية سوف يصبحون مواطنين كاملين بسبب تحويلهم. وينبغي لنا أن نتذكر بأن فوائد اعتناق ديانات أخرى كانت معروفة جيداً من اليهود، من تاريخهم الخاص عندما كانت الدول المسيحية والإسلامية تميز ضد الأشخاص كافة، الذين لا ينتمون إلى ديانة الدولة، والتميز

الذي تعامل به إسرائيل الشخص غير اليهودي سيتوقف في اللحظة التي يعتنق فيها، هو أو هي ، الديانة اليهودية . وهذا يظهر ببساطة، بأن نوع الحصرية نفسه الذي تعتبره أكثرية يهود الشتات كمعاداة للسامية، تعتبره أكثرية اليهود كافة، كيهودية. ومعارضة معاداة السامية الشوفينية على حد سواء ، أمر يعتبر في وسط اليهود ، وعلى نطاق واسع، كمثل "كراهية الذات" وهذا المفهوم اعتبره كلاماً فارغاً.

وهكذا، يصبح معنى مصطلح "اليهودي" ، ومشتقاته، بما فيها اليهودية، معنى مهماً في مضمون السياسة الإسرائيلية، وبمقدار أهمية معنى "الإسلامي" ، عندما تستخدم إيران هذا المصطلح رسمياً. ومعنى " الشيوعي " عندما كان الاتحاد السوفيتي يستخدم هذا المصطلح رسمياً. إلا أن معنى مصطلح "اليهودي" كما هو الشائع استخدامه، معنى غير واضح لا بالعبرية ولا عندما يترجم إلى لغات أخرى، ولذلك كان ينبغي تعريفه رسمياً.

فبحسب القانون الإسرائيلي يُعتبر الشخص "يهودياً" إذا كانت والدته أو جدته، أو جدته لأمه، أو جدته لجدته يهودية، في ديانتها؛ أو إذا اعتنق الشخص الديانة اليهودية بطريقة ترضي السلطات الإسرائيلية، ولكن شرط ألا يكون هذا الشخص قد تحول في وقت من الأوقات عن اليهودية واعتنق ديانة أخرى، ففي هذه الحالة تقلع إسرائيل عن اعتباره "يهودياً ويمثل الشرط الأول من الشروط الثلاثة، التعريف ألتلمودي لـ "من هو اليهودي" ، وهو التعريف الذي تعتمد الأوثودكسية اليهودية . ويعترف التلمود والشرع ألخاخامي اللاحق له أيضاً ، بتحول غير اليهودي إلى اليهودية (مثلما يعترف بشراء اليهودي لعبد غير يهودي ، يليه نوع آخر من التحول عن ديانة واعتناق أخرى) كطريقة لكي يصبح المرء

يهوديا، شرط أن يجري مراسم التحول بالطريقة الصحيحة، حاخامات مخولون هذه السلطة وهذه الطريقة الصحيحة "تستلزم بالنسبة إلى الإناث ، معانيتهن من ثلاثة حاخامات وهن عاريات في حمام التطهير" وهو طقس وإن كان معروفاً من قراء الصحف العبرية كافة ، فإن وسائل الإعلام باللغة الانكليزية غالباً ما تحجم عن ذكره، على الرغم من كونه، بلا ريب ، موضوعاً مثيراً لاهتمام بعض القراء وآمل بأن يكون هذا الكتاب بداية لعملية تصحيح هذا النقص .

أنظمة التمييز العنصري

يقول صاحب البحث :ولكن هناك ضرورة ملحة أخرى لتعريف من هو اليهودي ومن هو غير اليهودي، فدولة إسرائيل تمارس التمييز لصالح اليهود وضد غير اليهود ، في العديد من مجالات الحياة ، وإنني اعتبر ثلاثة منها المجالات الأهم من غيرها : حقوق الإقامة ، الحق بالعمل ، والحق بالمساواة أمام القانون. ويقوم التمييز في مسألة الإقامة على حقيقة أن نحو 92 بالمائة من أرض إسرائيل هي ملك للدولة، وتديرها سلطة أرض إسرائيل بموجب قوانين أصدرها الصندوق القومي اليهودي (JNF) للمنظمة الصهيونية العالمية وينكر الصندوق القومي اليهودي في قوانينه الحق بالإقامة والحق بمزاولة عمل تجاري، وغالباً حق العمل أيضاً على كل من هو غير يهودي ، لمجرد أنه ليس يهوديً بينما لا يُمنع اليهود من الإقامة ومزاولة التجاري، في أي مكان في إسرائيل . وإذا جرى تطبيق مثل هذه الممارسة التمييزية ضد اليهود في أي دولة أخرى فإن هذه الدولة ستوصم فوراً ، وعن حق بمعاداة السامية ، وستوقد بلا شك احتجاجات شعبية واسعة النطاق. ولكن عندما تطبق إسرائيل هذا التمييز كجزء من "أيديولوجيتها اليهودية"، فإن هذه الممارسة تحظى عادة بتجاهل متعمد، أو بتبريرات إذا ذكرت ، وهي نادراً ما تذكر.

أما نكران حق العمل، فيعني بأن غير اليهود يمنعون رسمياً من العمل على الأراضي التي تديرها سلطة أراضي إسرائيل، وفق أنظمة الصندوق القومي اليهودي. ولا شك أن هذه الأنظمة لا تُنفذ دائماً، ولا حتى في أغلب الأحيان، ولكنها أنظمة موجودة وتحاول إسرائيل من وقت إلى آخر، تنظيم حملات تنفيذ بالقوة لهذه الأنظمة بواسطة سلطات الدولة، مثلما هو الحال، على سبيل المثال، عندما تعمل وزارة الزراعة ضد "وباء السماح لعمال عرب بجني محاصيل بساتين الفاكهة العائدة لليهود، والقائمة على أرض قومية [أي على أرض عائدة لدولة إسرائيل]"، حتى ولو كان العرب، موضوع البحث مواطنين إسرائيليين وتتشدّد إسرائيل أيضاً في منع اليهود الذين يستوطنون أرضاً من "الأراضي القومية" من إعادة تأجير ولو جزء من أراضيهم إلى أشخاص عرب، حتى لو كانت قصير، ويعاقب عادة الذين يفعلون ذلك بغرامات باهظة، ولكن لا يوجد خطر يحول دون إقدام المواطنين غير اليهود على تأجير أراضيهم إلى مواطنين يهود، ثم يقول بصاحب هذا المقال.: وهذا يعني في حالتي الخاصة، بأنني أمتلك الحق، بفضل كوني يهودياً باستئجار بستان من يهودي آخر لقطف ثماره، ولكن غير اليهودي، سواء أكان مواطناً إسرائيلياً أم مقيماً غريباً فيها، لا يمتلك هذا الحق.

ولا يتمتع مواطنو إسرائيل من غير اليهود بحق المساواة أمام القانون. ويُعبر عن هذا التمييز في العديد من القوانين الإسرائيلية، التي تحجم عادة تلافياً للحرَج، عن ذكر مصطلحي "اليهودي" و"غير اليهودي" صراحة، كما هو الحال في قانون العودة الأساسي. وبحسب هذا القانون، فإن الأشخاص المعترف بهم رسمياً هؤلاء بصورة تلقائية "شهادة هجرة"، لم تزودهم فور وصولهم بـ "الجنسية نظراً لعودتهم إلى أرض الوطن اليهودي"، ويحق لهم الحصول على هبات مالية عديدة، تتفاوت

نوعاً ما، بحسب البلد الذي هاجروا منه، فاليهود الذين يهاجرون من دول الاتحاد السوفيتي السابق، يحصلون على "هبة استيطان" تزيد على 20000 دولار للعائلة الواحدة. وبموجب هذا القانون كما يقول الكاتب، يكتسب جميع اليهود الذين يهاجرون إلى إسرائيل، وعلى الفور، حق التصويت في الانتخابات، وحق انتخابهم ممثلين في الكنيست، حتى وإن كانوا لا يتكلمون كلمة عبرية واحدة.

وتستعيض القوانين الإسرائيلية الأخرى عن هذه المصطلحات بعبارات تفوقها بلادة، مثل عبارتي "كل من يستطيع الهجرة وفق قانون العودة"، وكل من لا يحق له الهجرة بموجب قانون العودة". وبالاستناد إلى هذا القانون، موضوع بحثنا، تمنح الهبات عندئذ للمدرجين في الفئة الأولى، وتحجب بانتظام عن المدرجين في الفئة الثانية. وبطاقة الهوية التي يفترض على الجميع حملها في كل الأوقات، هي الوسيلة الروتينية لفرض التمييز في الحياة اليومية.

فبطاقات الهوية تسجل "القومية" الرسمية للشخص، ويمكن لهذه "القومية" أن تكون "يهودية" أو "عربية" أو "درزية" أو ما شابه ذلك، ولكن ليس "إسرائيلية"، وهذا استثناء ذو مغزى وكان الإسرائيليون الذين أرادوا أن يوصفوا رسمياً كإسرائيليين في بطاقات هوياتهم، أو حتى كإسرائيليين يهود، قد فشلوا في محاولاتهم لإجبار وزارة الداخلية على السماح لهم بذلك. أما الذين حاولوا ذلك فعلاً، فقد تلقوا كتاباً من وزارة الداخلية مضمونه: "تقرر الامتناع عن الاعتراف بقومية إسرائيلية". ولكن هذا الكتاب لم يحدد الجهة التي اتخذت هذا القرار، ومتى اتخذته.

وتتميز قوانين وأنظمة عديدة في إسرائيل لصالح الأشخاص المعرفين أشخاصاً يستطيعون الهجرة وفق قانون العودة" وهو كما يقول صاحب البحث، ما يستدعي

معالجة مستقلة للموضوع. ولكننا نستطيع هنا النظر في مثل واحد قد يبدو تافهاً بالمقارنة مع قيود الإقامة، ولكنه مع ذلك مثل مهمٌ لأنه يميّط اللثام عن النوايا الحقيقية للمشروع الإسرائيلي. فالمواطنون الإسرائيليون الذين غادروا البلد لبعض الوقت، ولكنهم معرّفون كمواطنين "يستطيعون الهجرة وفق قانون العودة" هم مواطنون مؤهلون للحصول على منافع جمركية سخية لدى عودتهم، وعلى معونات مالية لتعليم أولادهم في المدارس الثانوية، وعلى هبة أو قرض بشروط سهلة، لشراء شقة سكنية، بالإضافة إلى هبات أخرى أيضاً. أما المواطنون الذين لا يمكن تعريفهم بهذا الشكل، أي مواطنو إسرائيل من غير اليهود، فلا يحصلون على شيء من هذه الهبات، والقصد الواضح من مثل هذه الإجراءات التمييزية، هو تقليص عدد المواطنين الأغيار في إسرائيل لجعل إسرائيل دولة أكثر "يهودية".

عقيدة الأرض المستردة

طرد "الأغيار":

تنشر إسرائيل في وسط مواطنيها اليهود، كما يقول صاحب البحث: عقيدة حصرية لاسترداد الأرض. ويمكننا من خلال هذه العقيدة، التي تُلقن لتلامذة المدارس في إسرائيل، أن ندرك جيداً هدفها الرسمي الرامي إلى تقليص عدد المواطنين غير اليهود إلى حده الأدنى. فهؤلاء التلامذة يلقنون بأن هذه العقيدة هي عقيدة قابلة للتطبيق، أما في أنحاء دولة إسرائيل، أو في مناطق ما بعد العام 1976، في أنحاء ما يشار إليه كـ "أرض" إسرائيل. وبحسب هذه الأيديولوجية، فإن الأرض التي "استردت" هي الأرض التي انتقلت من ملكية غير يهودية إلى ملكية يهودية. وهذه الملكية يمكنها أن تكون إما ملكية خاصة أو ملكاً للصندوق القومي

اليهودي أو للدولة اليهودية. أما الأرض التي تعود إلى غير اليهود، فإنها على العكس من ذلك، تعتبر أرضاً "غير مستردة" وهكذا إذا كان يهودي قد ارتكب أبشع الجرائم ، التي يمكن تصورها، وأقدم على شراء قطعة أرض من شخص فاضل غير يهودي، تصبح الأرض "غير المستردة" بموجب هذا التبادل، أرضاً "مستردة". ولكن إذا أقدم شخص فاضل غير يهودي، على شراء قطعة أرض من أسوأ اليهود، فإن الأرض التي كانت سابقاً أرضاً طاهرة و"مستردة" تصبح أرضاً غير مستردة" مرة أخرى . والنتيجة المنطقية لمثل هذه الأيديولوجية هي الطرد، أو ما يسمى "النقل" (Transfer)، الذي يطال المواطنين الأغيار كافة، من مساحة الأرض التي "استردت". وبالتالي فإن يوتوبيا "الأيديولوجية اليهودية" التي تتبناها دولة إسرائيل هي الأرض "المستردة" بأكملها، والتي لا يملكها الأغيار أو يعملوا فيها. ولقد عبر زعماء حركة العمل الصهيونية عن هذه الفكرة المنفرة تماماً، تعبيراً كان غاية في الوضوح.

ويخبرنا ولتر لاكير، كما يقول صاحب البحث، وهو الصهيوني المخلص ، في كتابه history of Zionism ، كيف كان أحد هؤلاء الآباء الروحيين ، وهو أ.د. غوردون، الذي توفي عام 1919، معارضاً للعنف مبدئياً ، ويبرر الدفاع عن النفس فقط في ظروف بالغة الشدة . ولكنه وأصدقائه ، أرادوا لكل شجرة ولكل أجمة في الوطن اليهودي، أن تُزرع على يد الرواد اليهود فحسب ، وليس على يد أحد غيرهم" ، وهذا يعني بأنهم أرادوا للآخرين كافة أن يرحلوا ويتركوا الأرض "ليستردها" اليهود . أما خلفاء غوردون فقد أضافوا من العنف أكثر مما كان يقصده هو نفسه، ولكن بقي مبدأ "الاسترداد والنتائج المترتبة عليه.

وعلى نحو مماثل، فإن الكيبوتس، الذي كان الترحيب به واسع النطاق كمحاولة لخلق المجتمع المثالي، كان وما زال يوتوبيا اقتصادية، لأنه حتى ولو كان مؤلفاً من الملحدّين، فإنه لا يقبل في وسطه، مبدئياً بأعضاء من العرب ويطالب الأعضاء المحتملين من قوميات أخرى، بالتحول أولاً عن ديانتهم واعتناقهم الديانة اليهودية. ولا عجب أن نعتبر شبيبة الكيبوتس أكثر شرائح المجتمع اليهودي الإسرائيلي ميلاً للقتال.

وإن هذه الأيديولوجية الحصرية، هي التي حدّدت عمليات الاستيلاء على الأرض في إسرائيل في الخمسينات، ثم في أواسط الستينات، وفي المناطق المحتلة بعد العام 1967، وليست "الحاجات الأمنية": التي تزعمها الدعاية الإسرائيلية. وهذه الأيديولوجية هي التي أملت أيضاً الخطط الإسرائيلية الرسمية من أجل "تهويد الجليل". وهذا المصطلح الغريب يعني تشجيع اليهود على الاستيطان في الجليل بمنحهم هبات مالية. (ويتساءل صاحب البحث: ماذا ستكون ردة فعل يهود الولايات المتحدة فيما لو اقترحت خطة في بلادهم، لجعل نيويورك مسيحية، أو حتى بروكلين وحدها) ولكن استرداد الأرض يعني ضمناً، أكثر من "التهويد الإقليمي" فالصندوق القومي اليهودي، المدعوم بقوة من الوكالات الرسمية الإسرائيلية (خصوصاً من الشرطة السرية)، ينفق في كامل مساحة إسرائيل، مبالغ ضخمة من الأموال العامة من أجل "استرداد" أي أرض يرغب الأغيار في بيعها، ومنع أي محاولة يقوم بها يهودي لبيع أرضه لغير يهودي، وذلك عن طريق دفع سعر أعلى له.

التوسع الإسرائيلي:

إن الخطر الرئيس الذي تشكله إسرائيل "كدولة يهودية"، على شعبها واليهود الآخرين وجيرانها، وهو سعيها بالدافع الأيديولوجي، إلى التوسع الإقليمي، وسلسلة الحروب المحتومة الناتجة عن هذا الهدف. فكلما أصبحت إسرائيل أكثر يهودية، أو كلما يقال بالعبرية، كلما "عادت إلى اليهودية" (وهي عملية جارية في إسرائيل، على الأقل، منذ العام 1967)، كلما كانت سياستها تسترشد بالاعتبارات الأيديولوجية اليهودية، أكثر مما تسترشد بالاعتبارات العقلانية. واستخدامي لمصطلح "عقلاني" هنا، ليس تقويماً خلقياً للسياسات الإسرائيلية، أو لحاجات إسرائيل المفترضة إلى الدفاع والأمن - ولا حتى لحاجات إسرائيل المفترضة إلى "البقاء" إن صاحب البحث يشير هنا بهذا الاستخدام إلى السياسات الإمبريالية الإسرائيلية القائمة على مصالحها المفترضة.

فمهما كانت هذه السياسات سيئة خلقياً وعلى جهل سياسي مطبق، فإن صاحب البحث يعتبر أن تبني السياسات القائمة على "الأيديولوجية اليهودية" بصيغها المختلفة كافة، لا أسوأ منها فحسب، بل أسوأ بكثير، فالدفاعات الأيديولوجية للسياسات الإسرائيلية تقوم عادة على المعتقدات الدينية اليهودية، أو كما في حالة اليهود العلمانيين، على "الحقوق التاريخية" لليهود، المستمدة من هذه المعتقدات نفسها، والتي تحتفظ بالطابع العقائدي للإيمان الديني.

ولقد بدأ تحول صاحب البحث السياسي المبكر من معجب بـ "بن غوريون" إلى شخص كرس نفسه لمعارضته، بدأ بمسألة من هذا النوع. ففي العام 1956، ابتلعت كل الأسباب السياسية والعسكرية التي ساقها بن غوريون ليعلل مبادأة إسرائيل في حرب السويس، وإلى حين إقدامه (وهو الملحد، المفاخر بتجاهله

لوصايا الديانة اليهودية) على الإعلان في الكنيسة في اليوم الثالث على بداية تلك الحرب، أن سببها الحقيقي هو "إعادة مملكة داود وسليمان إلى حدودها التوراتية". فعند هذه النقطة من خطابه وقف تقريباً وبغفوية ، أعضاء الكنيسة كفة، وأنشدوا النشيد الوطني الإسرائيلي. وبحسب علمي، لم يحصل قط أن أعلن أي سياسي صهيوني رفضه لفكرة بن غوريون القائلة بأن السياسات الإسرائيلية يجب أن تقوم (وضمن حدود الاعتبارات البراغماتية) على إعادة الحدود التوراتية كحدود للدولة اليهودية. وبالفعل فإن التحليل الدقيق للاستراتيجيات الإسرائيلية الكبرى والمبادئ الفعلية للسياسة الخارجية، كما يُعبر عنها بالعبرية ، يوضح بأن الأيديولوجية اليهودية هي التي تحدد، أكثر من أي عامل آخر، السياسات الإسرائيلية الفعلية، ويرى صاحب البحث أن تجاهل اليهودية، كما هي على حقيقتها، و"الأيديولوجية اليهودية"، ويجعل هذه السياسات سياسات لا يفهمها المراقبون الأجانب الذين لا يعرفون عادة أي شيء عن اليهودية إلا التبريرات الفجة.

يقول صاحب البحث :دعوني أعطي توضيحاً حديثاً أكثر عن الفارق الجوهرى القائم بين التخطيط الإمبريالي الإسرائيلي من النوع المضخم للغاية، ولكن العلماني، وبين مبادئ "الأيديولوجية اليهودية" فالأيديولوجية اليهودية" توصي بأن الأرض التي كانت في قديم الزمان، أما محكمة من حاكم يهودي كائناً من كان أو موعودة لليهود من الله، إما في التوراة، أو بحسب تفسير حاخامي للتوراة والتلمود- وهو الأهم سياسياً في الواقع - فإن هذه الأرض يجب أن تعود لإسرائيل بما أنها دولة يهودية ومما لا شك فيه، أن الكثيرين من الحماة اليهود يرون بأن فتحاً من هذا النوع يجب أن يؤجل إلى وقت تكون فيه إسرائيل قد أصبحت

أقوى مما هي عليه الآن، أو أنهم يتطلعون برّجاء إلى حدوث "فتح سلمي"، أي أن يجري إقناع الحكام العرب أو الشعوب العربية، بالتنازل عن الأرض، موضوع البحث، لقاء منافع تنعم بها عليهم الدولة اليهودية حينذاك.

ويجري التداول اليوم، بعدد من الصيغ المتباينة لحدود أرض إسرائيل التوراتية، التي تفسرها مراجع حاخامية كحدود تعود إلى الوضع المثالي، للدولة اليهودية والصيغة الأبعد أثراً تشمل ضمن هذه الحدود: كامل سيناء وجزءاً من شمالي مصر وحتى ضواحي القاهرة، في الجنوب؛ كامل الأردن وجزءاً كبيراً من العربية السعودية، كامل الكويت وجزءاً من العراق جنوبي الفرات، في الشرق كامل لبنان وسوريا مع جزءاً كبيراً جداً من تركيا (حتى بحيرة فان)، في الشمال، وقبرص في الغرب.

وتنشر في إسرائيل وغالباً بمعونات مالية من الدولة، أو بأشكال أخرى من الدعم، كمية كبيرة من الأبحاث والمناقشات الثقافية القائمة على أساس هذه الحدود، والمشمولة في الأطلال والكتب والمقالات، وفي أشكال شعبية أكثر من أشكال الدعاية. ومن المؤكد كما يرى صاحب البحث أن الراحل (مئير) كاهانا وأتباعه، بالإضافة إلى هيئات نافذة أخرى مثل حركة غوش ايمنيم، لا يرغبون بفتح إسرائيل لهذه الأراضي فحسب، بل يعتبرون مثل هذا الفتح عملاً موصى به من الله، وسوف يكون نجاحه مؤكداً بما أن الله سيساعد فيه. وفي الواقع، هناك شخصيات دينية يهودية مهمة تعتبر رفض إسرائيل الشروع في حرب مقدسة من هذا النوع، أو ما هو أسوأ من ذلك؛ إعادتها صحراء سيناء لمصر، خطيئة قومية، عاقبها الله عليها، عن حق وكان أحد حاخامات غوش إيمنيم والمدعو دوف ليور، حاخام مستوطنة كريات أربع اليهودية في الخليل، والأكثر نفوذاً من غيره، قد

أعلن تكررًا، بأن إخفاق إسرائيل في غزو لبنان في السنوات 1982 – 1985، كان عقاباً إلهياً استحقته عن جدارة لخطيئتها في "إعطاء جزء من أرض إسرائيل" (أي سيناء) لمصر⁽¹⁾.

مصطلح السامية

التساؤل الذي يتعلق بالجانب الأنثروبولوجي لليهود المعاصرين، أي أصلهم وجنسهم، يدفعنا إلى أن نسأل أنفسنا : من هم اليهود وما هو موقعهم في العائلة البشرية..؟ وما العلاقة بين يهود التوراة ويهود اليوم..؟ وإلى أي مدى ينتسب يهود القرن الحادي والعشرين بعد الميلاد إلى بني إسرائيل القرن العشرين قبل الميلاد..؟ وثمة نقاء جنسي يمتاز به اليهود..؟ وسنحاول في هذه السطور أن نعرف مصطلح السامية، والأصول القديمة في التاريخ الجنسي والديني للأبحاث التي قام بها علماء الأنثروبولوجي من أجل معرفة من هم اليهود..؟ وما الدماء التي تجري في عروقهم وإلى أي حد ينتمون – كما يدعون – إلى أصولهم الأولى السامية مصطلح السامية.

نبدأ بمصطلح السامية وهو مصطلح يطلق على مجموعة شعوب ويطلق أيضاً على مجموعة لغات وهو نسبة إلى سام أحد أبناء نوح الثلاثة ، فقد ورد في سفر التكوين، الإصحاح العاشر أول تقسيم للأجناس البشرية، وأرجعت التوراة النوع الإنساني على تعدد قبائله وشعوبه وأمه إلى أبناء نوح الثلاثة وهم سام وحام ويافت.

(1) مستل من الإنترنت.

وهناك تقسيمات طبيعية أخرى عمد إليها المستشرقون وهي ترجع في تكوينها إلى طبيعة الإنسان من حيث اللون والملامح والأماكن والبيئات وسواء أكان تقسيم الأجناس البشرية مبنياً على رواية التوراة أم على الاعتبارات الطبيعية، فإن هناك جنساً بشرياً متحداً في النشأة والمكان واللون، تجمع شعوبه خواص مشتركة ويعرف هذا الجنس بالجنس السامي، والجنس الحامي أيضاً استمد اسمه ووحدته في التقسيمين التوارثي والطبيعي مثل الجنس السامي، وحتى أن البعض ذهب إلى اعتبار الجنس السامي والحامي جنساً واحداً أي عرف بالجنس الحامي، لما هناك من تقارب بين أمم هذين الجنسين في اللغات وفي تطور الجماعات، وأما الجنس اليافتي فقد وضع له العلم الطبيعي اسماً آخر وهو الجنس الآري أو الهندو جرمانى وأحصى له أمماً في آسيا وفي أوروبا لم يذكرها في العهد القديم. كما يطلق مصطلح السامية على لغات الأمم والشعوب وما تفرع منها وتنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية: القسم الشرقي ويضم البابلية والآشورية والكلدانية: القسم الغربي ويضم الكنعانية والفينيقية والآرامية والعبرية والسريانية والتدمرية والنبطية.

القسم الجنوبي ويضم العربية والحبشية ولهجاتها. والشعوب السامية التي سكنت فلسطين: الكنعانيون وهم قبيلة سامية من الساميين الشماليين جاءت أصلاً من الجزيرة العربية منذ 2500 ق.م. وفي رواية أخرى منذ 3500 ق.م. وقد استقروا في فلسطين وأقاموا بها حضارة راقية، ورحل جزء منهم إلى الساحل اللبناني وعرفوا بالفينيقيين. وإلى جانب الكنعانيين في فلسطين عاشت قبائل سامية صغرى كالآدوميون والعموريين والموابيون على تخوم أرض كنعانية خاصة حول جنوب البحر الميت، وعاش العموريون إلى الشمال، وخارج فلسطين عاش الآراميون في سوريا. وقد كان على العبرانيين لكي يستقروا بأرض كنعان أن يحاربوا

الكنعانيين ولكنهم لم يستطيعوا واكتفوا بالإقامة على التلال والأراضي الفقيرة فقط وظلت السهول الغنية في أيدي الكنعانيين الأصليين، حتى إذا جاء منتصف القرن السابع عشر ق.م. هاجر يعقوب - إسرائيل - وبنوه إلى مصر - بسبب القحط، واستقروا في أرض جاسان نحو من (350 سنة) إلى أن خرج بهم سيدنا موسى (من الجيل السابع بعد إبراهيم) حوالي 1300 ق.م. إلا أن خوف بني إسرائيل من محاربة الكنعانيين (العمالة) أدى بهم إلى معصية أوامر الرب فعوقبوا بالتيه في سيناء لمدة أربعين سنة، إلى أن قادهم يشوع بن نون إلى نهر الأردن حيث استولوا على بعض من أرض كنعان في الداخل لكن دون العاصمة ييوس (القدس) وساحل الفلسطينيين وهم من شعوب البحر المشهورين في التاريخ القديم. وفي فجر الألف الأولى قبل الميلاد عام 1000 ق.م. وحد داود الأسباط أو قبائل إسرائيل الإثني عشر.

أو كما لاحظ Dalby في نهاية القرن التاسع عشر - أن هناك كل الأنواع والألوان بين اليهود - البيض والسمر والسود - فهناك اليهودي الربعة غليظ الملامح عريض الرأس من الاشكيناز، واليهودي النحيف دقيق الملامح طويل الرأس من السفارديم، ثم الأنف اليهودي المحذب والأنف المقعر بين كثير من يهود روسيا ثم العيون اللوزية في السفارديم والمكتنزة الضخمة في الاشكينازين والعيون المغولية المسحوبة في بعض يهود آسيا.

وبشكل عام، فإن السفارديم أشبه بعنصر البحر المتوسط والأشكيناز أشبه بالصقالبة الشماليين وفضلاً عن هذا فقد أثبتت الدراسات أن اليهود من حيث فئات وفصائل الدم يبدون معدل تفاوت كبير جداً فيما بينهم مما ينفي تجانس الأصل، وأكثر من ذلك فإن فصائل الدم تلك لا تبدي أي علاقة بفصائل الدم عند

السامريين - وهم فرقة يهودية معاصرة يعتبرها علماء الأنثروبولوجي بغير شك استمراراً نقيماً لبني إسرائيل عصر التوراة - ويحاول اليهود من أصحاب نظرية النقاء الجنسي بكل وسيلة إثبات العكس على أساس أن حياة العزلة في الجيتو الازدراء والاضطهاد الديني عوامل مضادة للاختلاط والتزاوج . ولكن الواقع اليقيني يكذب هذا التصور تماماً. والسؤال الذي نظرحه الآن هو: كيف تم اختلاط او تخليط اليهود ؟ وما هي الأدلة والشواهد التاريخية عليه...؟ يجمع جمهور علماء الأنثروبولوجي تزواج اليهود من غير اليهود وإلى دخول أعداد كبيرة من الوثنيين والمسيحيين إلى اليهودية والدليل على ذلك نمو أعداد اليهود في المهجر بعد الشتات بمعدلات غير معقولة وهذا يرجع في جزء منه إلى التحول الضخم إلى اليهودية . وهناك طريقتان أساسيتان انتشرت بهما اليهودية وتمددت وهما: التحول الديني سواء من الوثنية أو من المسيحية ، والتزاوج والامتزاج الدموي . وللتحول إلى الديانة اليهودية شكلان أساسيان : تحول جماعي أي عن طريق اعتناق شعب بأكمله أو طائفة أو دولة لليهودية ، وهناك حالات معروفة ومحددة تاريخياً أهمها حالة الخزر (وهي مملكة الخزر التتريه)، والفلاشا (وهم يهود الحبشة)، واليهود السود من التاميل في جنوب غرب الهند ، واليهود القرائين في طوروس . الشكل الثاني: التحول الفردي المستمر في كل مكان وزماناً التزاوج والامتزاج الدموي فهو إما زواج علني أو سري على الرغم من أن كتاب اليهود في العصر الحديث يصرون على ضالة دور التحول إلى اليهودية عموماً والتحول الجماعي إلى اليهودية بصفة خاصة في انتشار اليهودية فإن المصادر الدينية تثبت العكس فهي تثبت اختلاط اليهود وتزاوجهم منذ عصورهم المبكرة وهناك شعب من بين الشعوب المحيطة سمحت لهم بالدخول فيها والانضمام إليها وهم الشعب المصري والشعب الآدومي، وأكدت على ذلك في أكثر من موضع في التوراة منها على سبيل المثال

(تثنية 8/32) حيث ورد: الأبناء الذين يأتون من زواج مختلط من المصريين أو الآدوميين يصبحون من بني إسرائيل الخالصين ابتداء من الجيل الثالث ومن أمثلة تزواج بني إسرائيل من المصريين منذ عصر مبكر من تاريخهم زواج سيدنا يوسف من ابنه كاهن أون (تكوين 14/64) ومن أمثلة الزواج المختلط الشهيرة في أسفار الأنبياء نتخير على سبيل المثال عصر القضاة من دليله الفلسطينية (قضاة 14) زواج سليمان من بنت فرعون (ملوك أول 3/1) كما تزوج أيضاً إلى جانب ابنة فرعون من موايات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحيثيات _ملوك أول 11/1) وعند حدوث السبي البابلي الذي استمر 40 عاماً نشأت في السبي ديانة جديدة وهي التي تسمى باليهودية ، ووضعت أحكامها في كتاب المشنا شرعت في هذا الكتاب ومنذ هذا العصر المبكر، أي مع العودة من السبي البابلي ، شرعت الزواج المختلط وفتحت باب التهود، فقسم كتاب المشنا أنساب اليهود العائدين من السبي إلى عشر طبقات أو أنساب ثلاث منها فقط صحيحة النسب وهم: طبقة الكهنة، واللاويين والإسرائيليين (وهم عامة اليهود من صحيحي النسب)، تليها الطبقات معيبة النسب وهم طبقة الحلالين (أبناء الكهنة من زواج باطل شرعاً) المتهودين، طبقة العبيد الذين اعتنقوا اليهودية ، طبقة أبناء الإسرائيليين من زواج باطل شرعاً، طبقة الناتنيين (وهم طائفة تهودت عن طريق الحيلة والخداع زمن يشوع بن بون) ثم طبقة مجهولي النسب ، ثم طبقة اللقطاء، ويتضح من هذا التقسيم لأنساب العائدين من السبي أن غالبية العائدين من ذوي الأنساب المعيبة أي الذين جاءوا من زواج مختلط، وأن الزواج المختلط كان منتشرًا حتى بين الصفوة وهم الكهنة والدليل على ذلك وجود طبقة تخص أبناء الكهنة في زيجات باطلة شرعاً، كما يتضح أن التهود كان منتشرًا وقد ميزت المشنا بين ثلاث فئات من المتهودين أعلاها الأحرار الذي اعتنقوا اليهودية يليها العبيد الذي اعتنقوا اليهودية واعتنقوا

لتهوديهم ، وباتي في المؤخرة الجماعة التي تهودت عن طريق الحيلة أيام يشوع بن نون ومن أدلة الاختلاط في العصر الوسيط: القرارات التي أصدرتها المجالس الكنسية وهما مجلسا توليد وعام 538م. 589م، ومجلس روما عام 743م، بمنع زواج المسيحيين من اليهود، فقد فسر معظم الكتاب تلك القرارات على أنها دليل على خطورة المدى الذي كان الزواج المختلط قد وصل إليه بالفعل أما في العصر- الحديث ، فمع اختفاء التعصب الديني في أوروبا الصناعية، ومعها العلمانية المطردة انهارت الحواجز أمام التحول والزواج وزاد بصورة لافتة للنظر تحول اليهود إلى المسيحية. وفي الولايات المتحدة حيث أكبر تجمع لليهود اليوم، ينتشر- الزواج المختلط ويوجد أنصاف وأرباع اليهود لا سيما منذ أن أصبح الزواج المدني مباحاً وقانونياً. وهذا الأمر هو ما يزعج اليهود وهو ظاهرة ذوبان وانصهار اليهود واندماجهم أو امتصاصهم في شعوب العالم الحديثة. فهم يعلمون علم اليقين إن الاضطهاد الذي تعرض له اليهود في أوروبا الوسيطة والحديثة لا يرجع الى التعصب الديني وحده بقدر ما يرجع إلى طريقه حياة اليهود وانعزالهم وطبيعة حرفهم وتأمرهم دوماً على الشعوب المحيطة. كما أن عصور الإقطاع والحكم الأوتوقراطي المطلق، ومناخ الطبقة التقليدية كانت تشكل بيئة ملائمة ودافعة لهذا الاضطهاد، وأن هذا الاضطهاد ذاته بيئة ملائمة وقوة دافعة لليهود أنفسهم إلى مزيد من الإصرار والتمسك بانعزاليتهم وانفراديتهم. لقد أدركوا منذ البداية أن روح الليبرالية المعاصرة وتطور الوعي السياسي في المجتمع الصناعي الحديث ، والتسامح الديني ، كلها أمور خطيرة تهدد بانتهاك اضطهاد اليهود ونهاية معاداة السامية وبالتالي تهدد بسقوط السور الحديدي الذي ضربه اليهود حول أنفسهم ومن ثم تهدد بذوبانهم في الأمم ثقافة ولغة بل ودينياً وجنساً . ومن هنا يحاولون استبقاء مناخ الاضطهاد وشبحه وتجسيد أسطوره إلى الأبد لتوقف تيار الذوبان

الغلاب، الذي يفرض نفسه كواقع قاهر يتمثل أخطر ما يتمثل في التزاوج المختلط مع غير اليهود، وفي تحول بعض اليهود إلى عقائد أخرى . ومن هنا نفهم الدافع الحقيقي من وراء اتهام المنظمات اليهودية لكل ما تراه معارضاً لمصالحها... بأنه اضطهاد، تذكي ذكره وتؤجج ناره كلما خبت جذوتها أو رمادها وتراه ضمان بقائها في الوقت الذي تمثل فيه إسرائيل دولة المتفعين بهذا الاضطهاد وما اختيار اسم إسرائيل الذي صارع الله والناس وتغلب عليه -كما تقول التوراة (تكوين 82/23) لترسيخ فكرة الصراع مع الآخرين وحالة العداء التي ينبغي أن تظل قائمة لكي يدوم بقاؤهم. وما عملية بناء الجدار الفاصل الذي قامت به حكومة شارون وما بعدها على قدم وساق إلا إعادة ترسيم لأسوار الجيتو، وتصنيفها إذا أخذنا بوجهة نظر إسرائيل التوسعية، وتوسيعها إذا أخذنا بوجهة نظر الاتفاقيات الموقعة. والسبب الحقيقي وراء إقامة هذا الجدار لا خوفهم من العمليات الاستشهادية كما يصرحون ولكن لخوفهم من الانصهار والذوبان في المجتمع الفلسطيني المحيط، الذي بدأت تظهر إرهاباته متمثلة في الزواج المختلط وفي التحول لأديان أخرى، وكدليل على ذلك أي على انتشار ظاهرة الزواج المختلط في إسرائيل بين يهود وفلسطينيين: خبراً ذيع في نشرة الأخبار في التلفزيون الإسرائيلي منذ ثلاثة أعوام تقريباً مفاده أن مواطن فلسطيني مسلم قد توفي، فتنازعت أرملته المسلمة واليهودية أمام المحاكم حول أحقية كل منهما في دفنه في المدفن الخاصة بديانتها⁽¹⁾.

(1) مستهتلة من الإنترنت وعلى كل حال فإن كثيراً من الأحزاب اليمينية والوسط في الأرض المحتلة تطالب بإعلان إسرائيل دولة يهودية لمنع اختلاط اليهود بغيرهم من الإجناس

أركان الدين اليهودي كما لخصها الفيلسوف موسى بن ميمون

في كتابه (دلالة الحائرين)

- 1 - أنا أوؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه: موجود وخالق ومدبر كافة المخلوقات وهو وحده صنع كل الأعمال.
- 2 - أما أوؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه : وحيد ليس لوحداثيته مثيل على أي وجه كان.
- 3 - أنا أوؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه : ليس جسداً ، وهو منزّه عن أعراض الجسد، وليس له شكل مطلقاً.
- 4 - أنا أوؤمن إيماناً تاماً أن به وحده تليق الصلاة والعبادة ولا تليق بغيره.
- 5 - أنا أوؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه : هو الأول وهو الآخر.
- 6 - أنا أوؤمن إيماناً تاماً أن كل كلام الأنبياء حق (أنبياء بني إسرائيل).
- 7 - أنا أوؤمن إيماناً تاماً أن نبوة سيدنا موسى عليه السلام حقيقية ، وأنه كان أباً للأنبياء الذين كانوا قبله والذين بعده.
- 8 - أنا أوؤمن إيماناً تاماً أن الشريعة الموجودة الآن بأيدينا هي المعطاة لسيدنا موسى عليه السلام.
- 9 - أنا أوؤمن إيماناً تاماً أن هذه الشريعة لا تتغير.
- 10 - أنا أوؤمن إيماناً تاماً أنه هو عالم بكل أعمال بني البشر وأفكارهم.
- 11 - أنا أوؤمن إيماناً تاماً أنه يكافئ الذي يحفظون وصاياه ويعاقب الذين يخالفونها.
- 12 - أنا أوؤمن إيماناً تاماً بمجيء المسيح (المنتظر) ولو تأخر أي أنتظر مجيئه.
- 13 - أنا أوؤمن إيماناً تاماً أنه ستكون قيامة الأموات.

الفصل الرابع العقائد عند اليهود

العقائد عند اليهود

استغل اليهود الإدعاء إلى أنهم أمة مظلومة مهضومة تحتاج إلى وطن تسكنه ، وأن هذا الوطن هو الأرض التي بشرت بها التوراة التي يؤمن بها اليهود، وأنهم يجب أن يتعاونوا في قتل أعدائهم الذين اغتصبوا هذا الوطن هذه المدة الطويلة من الزمان.

ثم كانت الفرية العظمى التي نشرها اليهود وهي أن عودة المسيح إلى الأرض مرهونة بأن تكون القدس بين اليهود، وأن بناء الهيكل الذي بشر- به المسيح بعد عودته لن يكون إلا إذا أصبحت القدس بأيدي اليهود.

وهذه الفرية تكذب ما جاء به الإنجيل، وما لعن به المسيح عيسى بن مريم اليهود إلى يوم القيامة ... فقد قال لهم : (الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ! فإنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الأبرار، وتقولون: لو عشنا في زمن آبائنا لما شاركناهم في سفك دم الأنبياء فبهذا تشهدون على أنفسكم بأنكم أبناء قاتلي الأنبياء ! فأكملوا ما بدأه آباؤكم ليطفح الكيل ! أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تفلتون من عقاب جهنم لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء ومعلمين فبعضهم تقتلون وتصلبون، وبعضهم تجلدون في مجامعكم، وتطاردونهم من مدينة إلى أخرى، وبهذا يقع عليكم كل دم زكي سفك على الأرض: من دم هابيل البار إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح الحق أقول لكم: إن عقاب ذلك كله سينزل بهذا الجبل.

يا اورشليم، يا اورشليم يا قاتلة وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها فلم تريدوا! ها أن بيتكم يترك

لكم خراباً! فإني أقول لكم إنكم لن تروني من الآن، حتى تقولوا : مبارك الآتي باسم الرب.

علامات نهاية الزمان

ثم خرج يسوع من الهيكل ، ولما غادروه تقدم إليه تلاميذه، ولفتوا نظره إلى مباني الهيكل فقال لهم: أما ترون هذه المباني كلها؟ الحق أقول لكم: لن يترك هنا حجر فوق حجر إلا ويهدم) (إنجيل متى / 24)

الإلهيية عند اليهود

عقيدة يهوه:

لاشك في أن أقدم ما جاءنا من عقيدة يهوه في العصور القديمة جداً عبارة عن مجموعة من القصص التي ترجع إلى ذلك العهد أعني عهد تقديس "يهوه" والمعروف باسم العهد أعني اليهودي وليس معنى هذا أن هذه القصص إسرائيلية الأصل أو تنبع من الأساطير الإسرائيلية بل معظمها سيمتد أصوله من الأساطير المصرية القديمة أو البابلية الآشورية. ومن أشهر القصص اليهودية التي تتحدث عن "يهوه" قصة الخلق القائلة أن "يهوه" خلق البشر وتكرر نفس الفكرة في قصة الطوفان وفي أسطورة برج بابل وغيرهما من قصص الآباء الأولين حيث يذكر "يهوه" كأن للأسرة ومع مرور الزمن نجد أن الإسرائيليين يحاولون صقل هذه القصص وإيجاد شيء من التجانس بينها إلا أن بعض العوامل الأساسية لبناء القصة حالت دون تحقيق هذه الرغبة. ومن أمثلة هذه العناصر الشائكة التي تحول

دون قيام تجانسي بينها ما جاء في وصف "يهوه" بأنه يتجلى في ثورة البركان وفي موضع آخر نراه الرحمن الرحيم الذي يسمع بكاء الأطفال كما أن "يهوه" هو الذي يقتص من المسيء لإساءته إلى الأبرياء وهكذا نجد "يهوه" في مختلف هذه القصص ينصت بمختلف الصفات التي تحتم على دارس هذه العقيدة أن يستعرض هذه النعوت ليخرج بصورة تكاد تكون كاملة عن يهوه.

واختلفت آراء الإسرائيليين أنفسهم حول حقيقة هذا المعبود ووطنه الأصلي فمن قائل أنه مصري، كما اعتقد آخرون أن وطن يهوه الأصلي كان في الصحراء الجنوبية ثم اختلفت هذه الفكرة وظلت حية عند الشعراء.

ولكي نفهم طبيعة هذا المعبود يجب علينا أن نرجع إلى الإسرائيليين لنعرف مدى علاقتهم به فالديانة الإسرائيلية ديانة قومية تقوم على عناصر كثيرة من "يهوه" فهو الذي ينكل بهم إذا ما غضبوا وينصرهم إذا ما أخلصوا له، فالعهد قائم بينهم وبينه منذ عهد موسى فالإسرائيلي صديق أصدقاء "يهوه" وعدو أعدائه يقاتلهم حتى يببدهم أنى وجدوا ومتى سنحت له الفرصة وعاونت هذه الصفة التي يتصف بها "يهوه" ويؤمن بها الإسرائيلي، أعني علاقته التبعية على خلق دولة إسرائيلية قومية العقيدة، كل همها خدمة هذا الدين القومي، ففي عصر- القضاة اعتقد الإسرائيليون أن أولئك الأبطال الذي ظهروا في فترات مختلفة وأخذوا بيد الشعب الإسرائيلي ضد الأجانب لنصرة "يهوه" قد أرسلهم "يهوه" لتحقيق هذه الرسالة، ومع مرور الزمن نجد فكرة تبعية الإسرائيلي لمعبوده "يهوه" تتطور حتى أصبح ينظر إلى الملك الذي يحكمه على أنه "المسيح" الذي أوصى إليه "يهوه" إبلاغ رسالته، وتماذي الإسرائيلي في هذه العقيدة حتى اعتبر هذا المرشد ديناً لله.

و"يهوه" الإله القومي وصاحب الديانة القومية "بطل محارب" فمن صفاته شن الحروب فالحرب لديه شيء مقدس وفي سبيل "يهوه" يسقط كثيرون من أبطال إسرائيل من قومه في الوغى. وصفة حب "يهوه" للقتال تتجلى لنا واضحة في نعته بلقب "يهوه" صباءون" أي "يهوه قائد الجيوش".

وقومية "يهوه" وقومية عقيدته وقومية الدولة الإسرائيلية العقائدية صبغتها صبغة خلقية خاصة، فالعدالة قومية إسرائيلية والفضائل قومية إسرائيلية، والردائل، قومية إسرائيلية والحقوق قومية إسرائيلية، ومن هنا نفهم سر التفاوت العظيم بين نظرة الشريعة الإسرائيلية سواء كانت مكتوبة كما جاءتنا في العهد القديم أو مروية شفوية كما هو الحال في التلمود إلى غير الإسرائيلي نظرة شاذة فكل ما يتصل بالمعاملات أو الأحوال الشخصية يبيع للإسرائيلي الحيف والجور مع غير الإسرائيلي وينعت "يهوه" أيضاً بأنه رب العواصف والأعاصير، الزلازل والبراكين وكل المصائب والخراب الذي يحل بالعالم إنما هو مظهر من مظاهر قوته وعظمته فالإله "يهوه" يتجلى في الرعد والبرق وانهمار الأمطار وما إليها من المظاهر الطبيعية. ويحرص العهد القديم على إعطاء صورة قاسية مخيفة شائرة لإله الإسرائيليين القومي إلا وهو "يهوه".

و"يهوه" هو أيضاً إله الخصوبة ويحتفل به لصفته هذه في الأعياد المقدسة فهو إله مانح الغيث ومنبت الحب وهو مانح الحياة لذلك فالإسرائيلي إذا ما أراد القسم به أمسك بعضو التناسل كما أن متعة الجماع شيء مقدس. ولا شك في أن نعت "يهوه" بأنه إله الخصوبة صفة متأخرة مأخوذة عن معبود أجنبي ينتمي إلى بلد خصيب بخلاف "يهوه" الصحراوي المخرب وهذا الإله الأجنبي وهو ولا شك

الإله الكنعاني "بعل" وقد اقتبس الإسرائيلي منه هذه الصفحات عندما انتقلوا من الصحراء إلى أرض كنعان الخصبة الغنية بمياهها.

فهذه الصفات التي يتصف بها يهوه، وتكوين العناصر الأساسية للعقيدة الخاصة باليهود الإسرائيلي وتبين أنه إله شعبي فقط كما أن عبادته قاصرة على الإسرائيليين وأماكن عبادته قائمة بينهم فقط وبخاصة في الصحراء إذ أنه إله صحراوي والخراب والدمار في الصحراء.

وإله الخصوبة في كنعان، أما القصص التي تتحدث عنه كإله عالمي فليست إسرائيلية بل بابلية آشورية أو مصرية، قديمة كقصة الخلق، مثلاً أو الطوفان أو برج بابل.

ويهوه شأنه شأن آلهة العالم لم يتصوره الإسرائيليون، روحاً بلا جسد، لذلك نقرأ في العهد القديم كيف يتحدث الإسرائيلي عن الإنسان، الذي خلقه يهوه على صورته، ولم يكتفي الإسرائيلي بتجسيد يهوه بل أطلق عليه جميع صفات الإنسان من خير أو شر إذ هو يغضب فيعطش ويفرح فيخيب أما الصفات الخاصة بالمعبود فقط فلم يعرفها الإسرائيلي لأنه عاجز عن أن يتصوره شعوراً واقعياً فهو ليس حاضراً في كل شيء بل حاضر في الشيء أو الطقس الذي تقدسه فيه العقيدة كما أن "يهوه" ليس أبدياً وبالرغم من ذلك فالعقيدة تعجز عن أن تصوره وله أول أو آخر، ولم يتخذ يهوه له أنثى أو ولداً فهو لم يلد ولم يولد وكل الذي صنعه أنه تبنى الملوك فقط و"يهوه" كما تصوره الإسرائيلية القديمة خليط من مجموعة من العقائد الشرقية السامية.

ولفظ "يهوه" كما وصلنا في صيغه المختلفة سواء في العهد القديم أو نقش أو بردية أو الآثار الفلسطينية أو النصوص المسماة أو في كتابات رأس سمرا حيث

نجد (ي ه و هـ) كما نجده صدرأ لبعض أسماء الأعلام حيث جاء (ي ه و) و (ي و) أو عجزاً لها كما هو الحال في (ي هـ).

يهوه الإله البديل لإيل

لو تابعنا نصوص التوراة لرأينا أنه قد ورد أول ما ورد: " فناده ملاك الرب من السماء، وقال إبراهيم إبراهيم فقال هاأنذا، فقال: لا تمد يدك إلى الغلام، ولا تفعل به شيئاً، لأنني الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني، فرفع إبراهيم عينه، ونظر فإذا كبش وراءه، ممسكاً في الغابة بقرنيه، فذهب إبراهيم وأخذ الكبش، وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه، فدعا إبراهيم اسم ذلك، الموضع يهوه برأه، حتى أنه يقال اليوم في جبل الرب يُرى".

نلاحظ أنه في هذا النص أقحم لفظ يهوه إقحاماً، والأصح أن يسمى الموضع إيل برأه كما سمته هاجر قبل هذه المرة، والسبب في ذلك أن التوراة بحد ذاتها صرحت لموسى: " أن اسم " يهوه " لم يعرفه الذين سبقوا موسى، فكيف يسمى إبراهيم باسم إله لا يعرفه.

إن إقحام هذا الاسم في هذا المكان لدليل واضح على أن اليهود حرّفوا التوراة، فقد حرّفوا، هنا اسم إيل إلى يهوه، كما أقحموا اسم يهوه، في نص موسى حينها رأى العليقة المشتعلة.

فكيف لم يكشف الله عن اسمه في هذا النص؟

لكنني لا ألوم الأب لأنه لم يستطع مخالفة التوراة، فالتوراة لا تطلق على لفظة إيل على الله وإنما حاولت أن تورده صفة لتخلي الجو فيما بعد ليهوه، ويحاول الأب أن يقف عند هذا الحد، ويقول عند نص سفر الخروج " يبدو أن الله يدلي باسمه

لموسى، في الواقع ليس هو اسماً بقدر ما هو دليل على حضور مع العلم بأننا لا نعرف كيف نلفظ هذا الاسم، ذلك بأن اليهود كانوا يمتنعون على لفظة اسم الله احتراماً له، فكانوا يكتبون أربعة أحرف ويقرؤون أدوناي أي الحرب.

فقد وضع يهوه ليكون بديلاً من إيل، لعله لم يستطع أن يحل محله، ولهذا؛ أبقى الديانة اليهودية الإلهين معاً، إيل ويهوه على أن يكون الأول، وإيل الثاني أو المرادف ليهوه.

إيل الإله الأول والأقدم في التوراة

إن كلمة إيل تعني الله ﷻ، ولو تتبعنا التوراة "العهد القديم" للاحظنا أنها اعترفت الله ﷻ بإيل، وقد ورد منذ الصفحات الأولى، وعرفنا اسم إيل منذ عهد آدم وحواء.

وعرف آدم وحواء امرأته، وحبلت وولدت قابين، وقالت: اقتنيت رجلاً من عند الرب ثم عادت، فولدت أخاه هابيل، وكان هابيل راعياً للغنم.

وهابيل ليس إلا كلمة مؤلفة من شقين هاب = إيل وقد حاولت التوراة أن تعرف اسم قابين (اقتنيت رجلاً من عند الرب) أما هابيل فلم تحاول تعريفه لوجود اسم إيل فيه.

وقبل أن أتم هذه الفقرة، أريد أن أطرح سؤالاً حاول المفكرون الخوض فيه.

"من شئ خالق الأرض والكون؟"

إن كان البشر هم الذين سموه بهذه الأسماء فهم السلطة الأقوى، والله الخالق آنذاك ليس إلا وهماً من أوهام الناس، فهم صنعوه، ألبسوه ما شاءوا من الألقاب،

أما إذا كان الوحي فهو المصدر كما تقول الديانات السماوية، وهو الذي خلق الفعل، وبه تعلم الإنسان، والله هو الذي سمي اسمه ووصى به إلى البشر، فهنا تفترق النظرتان: النظرة المادية الإلحادية التي لا تؤمن بوجود الله الخالق، وإنها ترى أن الطبيعة تسير منذ القدم، وإلى اللانهاية خطأً واحداً لا تتبدل، وما على الإنسان إلا أن يكشف أسرار هذه الطبيعة ليمتلك ناصيتها.

وإنسا له نظرة روحية يرى في الكون مخلوقاً لخالق أعظم يسمى الله، وقد أتت هذه التسمية من الله ذاته بواسطة الوحي، فهو جل شأنه ألقى باسمه للناس، ليعرفوه، والعابدون إيل منذ القديم لهم هذه النظرة الروحانية، ولعل خير من يمثل النظرة الأولى جورج كنعان في كتابيه تاريخ الله، وتاريخ يهوه.

ويبدو أن إيل وصلت عبادته إلى أماكن واسعة، وبعيدة في الانتشار، فقد آمن به الإغريق وقد قبل به الإغريق اسماً، فأضافوا له لازمة الأسماء "موسى" فأصبح الاسم إيلوس وبه سمي عدد من أبطال الإلياذة مينليوس أرخيلوس.

وتعدت التسمية إلى الرومان فسموا فرج + إيل = فرجيل، وعنها أخذت فرسنا و (- ي و) وقد وردت صيغ أخرى مثل (ي ه و) و (ي ه ه) و (- ي ا) و (- ي ه) يعبر عن معاني مختلفة فهو يتصف بكل ما للصحراء من صفات فهو إله الرياح والعواصف وأسقطت جبل سيناء فهو أيضاً إله الرعد والبرق والمطر وقد كان هذا الجبل بركانياً فهو رب الزلازل والبراكين وما إلى الزلازل والبراكين من حمم ولهب فلا عجب إذا عرف باسم القائد الجيوش.

وإذا عرضنا لفظ "يهوه" في صيغه المختلفة في مختلف اللغات السامية وجدنا العربية أغناها وأصدقها تعبيراً عن جميع هذه المعاني وتلك الصفات التي يتصف بها

هذا المعبود ففي العربية نجد "هوى" يهوي هويانا إذا سقط بعضهم في أثر بعض. و"هوت الطعمة" فتحت فاهها بالدم. و"هوت العقاب تهوي هويًا" إذا انقضت على صيده أو غيره. و"الأهواء" التناول باليد والضرب و"هوت الريح" هبت، والهوى بفتح الهاء إلى أسفل وبضمها إلى فوق. "يهوى" يسرع "وهاوى" سار سيرًا شديدًا. و"الهوى" هوى النفس وتهوى إليهم ترتفع. و"هوى الرجل" سار سيرًا شديدًا. والهوى هوى النفس. و"تهوي إليهم" ترتفع و"هوى الرجل" مات. والهاوية اسم من أسماء جهنم و"فأمة هاوية" مسكنه جهنم ومستقره النار.

وعبر "يهوه" عبر الإسرائيليين أيضاً وهو معبود الساميين قاطبة حيث كثر وروده في النقوش العربية الشمالية منها والجنوبية ويتصل لفظ (آل) بكثير من الأسماء التي أطلقها الساميون على بعض معبوداتهم، ومن هذه الأسماء الوهيم و"اللم" وقد أكثر العهد القديم من استخدامه وبخاصة من قصص الآباء الأولين، وأسماء الملائكة وبعض الأعلام مثل "جبرائيل" و"عزرائيل" و"شيميل" وإسماعيل وناثانيل" وأخذ الإسرائيليون عن الكنعانيين المعبود "آل شداي" وقد تجلى لإبراهيم بهذا الاسم.

أما الإله الذي تجلى لموسى فاسمه "يهوه" وهذه قرينة تؤيدصرية "يهوه" فقد سأل ربه لما تجلى له قائلاً: "بماذا أجيب الإسرائيليين إذا سألوني عن اسم الذي أرسلني إليهم؟ فقال لموسى: "أهيا أشير أهيا".

ألوهيم

جمع "ألوه" أي إله وهو معبود سائر الشعوب السامية ولفظ "ألوهيم" هذا كثيراً ما جاءنا معبراً عن عدد كبير من الإلهة كما أنه قد ورد معبراً عن إله واحد تعظيماً له وهذه الظاهرة ليست قاصرة على هذا اللفظ بل نجد في العهد القديم ألفاظاً أخرى في صيغة الجمع تعبر عن المفرد المعظم مثل لفظ "أدونيم" جمع "أدون" أي سيد كما نجد لفظ "قدوسكم" مع "يهوه".

بعل ومكانته

إله ثالث من آلهة التوراة، عبده اليهود، وقد حاول كتبة التوراة محاربته حرباً شديدة لا هوادة فيها، والسبب في ذلك أن بعلاً يعبده الكنعانيون، وخاصة في أوغاريت ولو أقر اليهود بعبادة بعل لما كان من فارق بين القومين، وهم أرادوا أن يتميزوا، ولذلك حاربوا بعلاً تارة، وعبدوه تارة أخرى.

1- عبادة بعل: لو تصفحنا كتاب التوراة لرأينا أنه أقر بعبادة بعل بشكل واضح :

أ- (وكان في تلك الليلة أن الرب قال له: خذ ثور البقر الذي لأبيك وثوراً ثانياً ابن سبع سنين، وأهدم السارية التي عنده، وابن مذبحاً للرب إلهك على رأس هذا الحصن بترتيب، وخذ الثور الثاني واصعد محرقة على حطب السارية التي تقطعها، فأخذ جدعون عشرة رجال من عبيده، وعمل كما كلمه الرب، وإذا كان يخاف من بيت أبيه، وأهل المدينة أن يعمل ذلك نهراً، فعمله ليلاً، فبكر أهل المدينة في الغد، وإذا بمذبح البعل قد هدم، والسارية التي عنده قد قطعت، والثور الثاني قد أصعد على المذبح الذي بني، فقال الواحد لصاحبه، مَنْ عمل هذا الأمر؟ فسألوا، وبحثوا، فقالوا: إن جدعون بن يوأش، قد فعل هذا الأمر.

2- محاربة البعل: حارب الأنبياء الإيليون عبادة بعلًا حرباً قوية وخاصة الإشع، وقد هددتهم إيزيل بالقتل، مما اضطره أن يفر.

ويلاحظ على ذلك العصر ما يلي:

1- كثرة عبدة البعل حتى أن نبي إسرائيل لم يبق من مجموعهم إلا عدة آلاف لم يبحثوا للبعل حسب تعبير التوراة.

2- لا يمكن لياهو أن يجمع عبدة البعل في بيت واحد، فإذا كان أنباؤهم أربعمئة نبي في زمن إيليا فكم عددهم، وفي أي مكان يجتمعون.

3- لو قال كتبة التوراة إنه جمع أنبياءهم، وقتلهم، لكان أصح.

4- إن هذه المجزرة التي قام بها يياهو ليست إلا واحدة من سلسلة مجازر قام بها كتبة التوراة ولا يهم إن صح ذلك أم لم يصح.

آلهة أخرى

1- العجل: بدؤوا بعبادته منذ بكورة خروجهم، فقد اتهمت التوراة هارون بأنه صاغ لهم العجل الذهبي، وعبدوه، ثم اتهموا فيما بعد بعام بن ناباط، فصاغ لهم عجولين من ذهب، وقال لهما هذان إلهاكما اللذين أخرجاكما من مصر.

أ- (ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون، وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه، فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم. وبنيكم وبناتكم، وأتوني بها. فنزع الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم، وأتوا بها إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم، وصوره بالإزميل،

وصنعه عجباً مسكوباً، فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر".

ب- وعندما عادوا وعبدوا العجل من جديد، وظنوا أن إيل يمثل بالثور فجعلوا له تمثالاً وعبدوه، وإلى هذا أشار الأب "اصطفان شر بنتيه بقوله: (أكبر الآلهة يسمى إيل، وكثيراً ما يظهرونه بشكل ثور، وهذه الديانة تعبد القوات الطبيعية المؤهلة.

2- الأفعى: عبد اليهود الأفعى، وقصدوها، ويبدو تقديس الأفعى منذ السفر الأول سفر التكوين "وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله، فقالت للمرأة: أحقا، قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة؟ فقالت المرأة للحية: من ثمرة شجرة الجنة نأكل وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه، ولا تمسها، لئلا تموتا. فقالت الحية للمرأة لن تموتا، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما، وتكونان كالله عارفين الخير والشر، فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها أيضاً معها، فأكل".

وهكذا قدسوا الحية، فكانت أحيل جميع الحيوانات، وباعتبارها سامة وضارة للبشر، وباعتبارهم. أنهم ضد البشر، فقد التقوا معها، وقصدوها باعتبارها رموزاً للذكور، فهي تشبه العضو التناسلي الذكري وهي تمثل الذكورة المحضة من جهة، ولأنها من جهة أخرى تمثل الحكمة والدهاء والخلود، وقد أخذوا هذه الفكرة، (خلود الأفعى) من ملحمة جلجامش، لأنها سرقت نبتة الخلود، والتهمتها، ومن

ثم فللأفعى ميزة خاصة في أنها تستطيع أن تجعل طرفيها يلتقيان، وقد بدت عبادة الحية واضحة في الدعوة اليهودية.

3- الحجارة: وردت في التوراة نصوص كثيرة تدل على عبادة الحجارة، فأقامت نصبها في كل زمان ومكان، وكان الأنصاب عبادة عن حجارة مخروطة، وكانوا غالباً ما يرون فيها عبارة الذكورة المخصصة، فقد كانت تمثيل القضيب الذكري، وهذه الحجارة غالباً ما تمثل الإله بعل ويرمز إليه بحجارة مخروطة قائمة، كثيرة الشبه بإله الهندوس، وذلك لأنه في رأيهم الجوهر الذكر في التناسل، وزوج الأرض التي يخصبها ولهذا نسبوا إلى يعقوب عبادة هذه الحجارة، ولم ينسبوها إلى إبراهيم.

صفات إيل؟

1- هذا الإله (إيل) الله ﷻ كان في نظر عباده مثلاً أعلى في القيم الأخلاقية والاجتماعية لسائر المذاهب الفكرية والدينية التي دعا إليها الإنسان المؤمن، وقد شكلت هذه النظرة والمفاهيم منحى اجتماعي خلقي، واتجاهاً فكرياً إنسانياً، كانا خلاصة القيم والمفاهيم الإنسانية وقد ظلت هذه المفاهيم حتى أتى الإسلام على يد سيد الرسل، فأكدها، ووضعها في مسارها الصحيح، حينما أثنى الله على رسله، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾.

2- إيل - إذا اعتبرنا معناها لفظ الجلالة فإنه - إله العالم، وليس خاصاً بشعب دون شعب، وإلى هذه الصفة ظلت أنظار المسلمين والمسيحيين متجهة، فالله ليس رب شعب دون شعب ونحن لا زلنا نقرأ في صلواتنا "الحمد لله رب العالمين".

تصوُّر اليهود للإله إيل:

- 1- لله صورة وهذه الصورة تمثلت في خلقه آدم، فقد خلقه على شاكلته .
- 2- الإله يتعب فقد خلق الكون في ستة أيام ثم استراح على عرشه من التعب.
- 3- الإله يكذب (حاشا الباري عز وجل)، فقد كذب على آدم حينما نهاه عن الشجرة، وقال له تموت موتاً إن أكلت من الشجرة، وقد كشفت الحية كذبه، فأكلت آدم وحواء من الشجرة ولم يموتا.
- 4- الإله يندم لأنه خلق الناس، ورأى الشر- فيهم، فقرر أن يعدمهم فجعل الطوفان.
- 5- الإله عاجز عن مصارعة الإنسان، فقد صارع يعقوب واستطاع يعقوب أن يقف أمامه ويتنزع البركة منه .
- 6- الإله يلد، فهناك بنو الله، وهناك البنت البكر إسرائيل، واليهود هم أبناء الله وأحبائه.
- 7- عدت التوراة الله إلهاً قبلياً خاصاً، فحولته من العالمية إلى القبلية .
- 8- أعدمت شخصية الله في شخصية يهوه.
- 9- اليهود يتصورون الله جالساً فوق جبل تنبع من بين قدميه الأنهار بلحية بيضاء، شيخاً مسناً عاجزاً عن القيام

صفات يهوه

- 1- شكله إنساني فقد خلق آدم على صورته.

- 2- أنه متسلط.
- 3- إله جاهل ولا يريد من الإنسان أن يتعلم.
- 4- إله حزين.
- 5- إله يرى نفسه أنه إن أخطأ في عمل فلا يعيده.
- 6- إله يعاقب الطاهر ويحب الجاني المجرم.
- 7- يعتقد اليهود أنه إله يعاقب حتى الجيل الرابع والعاشر أحياناً.
- 8- إله كاذب.
- 9- إله لص لأنه أمر أتباعه أن يسرقوا حلي المصريين.
- 10- إله غاضب حقود على جماعته حينما كشفوا سره.
- 11- إله يقبل الوساطة ويتنازل عن غضبه.
- 12- إله عنصري.
- 13- إله الجنود.

عدم توحيد اليهود ليهوه

- أ- يهوه إله قبلي خاص لقبيلة خاصة هي بني إسرائيل.
- ب- إله يمثل التفريد لا التوحيد.

ديانة اليهود ديانة بدائية قبلية

لأن كل دعوة سماوية تدعو إلى مكارم الأخلاق ومعاملة الناس بالمعاملة الطيبة حتى تجتذب أكبر عدد ممكن من الأتباع، ما عدا اليهودية فهي تأمر بالغش والكذب والخيانة والحقد ودمار البشرية،

النبوة عند اليهود

بداية ظهور الأنبياء:

غالباً ما كان يحدث واليهود في أرض فلسطين أن يفسد حكامهم ويحيد قاداتهم من القانون المقدس وتعاليم الدين ويبدأ كثير من أفراد الشعب تقليد حكامهم من الغزاة، الفاتحين حتى أن بعضهم اعتنق الوثنية. وكانت حرب الطبقات هي السبب الأساسي لذلك الفساد. وهي حرب لم يندلع لهيبتها إلا بعد أن رأى الفقراء بأعينهم ثروة وحكامهم الطائلة، والفقراء عادة لا يعرفون أنهم فقراء إلا حين يبصرون الأغنياء بعيونهم. وقد تطلب المشروعات الضخمة التي أقامها ملوك اليهود كثيراً من الكدح وفرضت على الشعب ضرائب باهظة، وكان بعد ذلك أن وجدت طبقة من العمال المتعطلين الذين كانوا أحد عوامل الشقاق السياسي، والفساد الاجتماعي في فلسطين، وكانت الأحياء الفقيرة تزدد شيئاً فشيئاً بينما ثروة الملوك تنمو، ويزداد ترف الحاشية، وأصبح استغلال الشعب والربا عادة مألوفة بين أصحاب الصناعة الكبرى والمرايين. ومع اتساع هذه الفروق بين ذوي الحاجة وذوي اليسر، ومع اشتداد النزاع بين المدن والريف، انقسمت فلسطين بعد سليمان إلى مملكتين متعاديتين، هما مملكة أفرام الشمالية وعاصمتها السامرة، ومملكة يهوذا الجنوبية

وعاصمتها أورشليم ومع الانقسام أيضاً أخذ الضعف يدوي بين اليهود واشتعلت فيهم نيران الحقد.

وفي مثل تلك الظروف كان ينهض واحد من بني إسرائيل يدعو الشعب للعودة إلى قانونهم وباسم يهوه كانوا يتنبئون عما سيحدث لإسرائيل، إذا لم يتبع اليهود طرق الاستقامة كما وصفتها عقيدتهم، وكانوا هؤلاء الناس يسمون بالأنبياء، وكلما حلت المتاعب باليهود ظهر الأنبياء يعلمون الشعب طرق الله على أن هؤلاء الأنبياء ولم يكونوا كلهم يستحقون الاحترام مثل ما استحقه عاموس وأشعيا بل كان بعضهم من المتنبئين الذين يستطيعون قراءة قلوب الناس وحاضرهم ويخبرونهم بالمستقبل. ومنهم متعصبون متهوسون يستثيرون مشاعر الناس بالأصوات الموسيقية الغربية والمشروبات والرقص وينطقون بعبارات في أثناء غيبتهم يراها أصحابهم وحيأ أوحى إليهم وقد سخر أرميا سخرية لاذعة من كل رجل مجنون ويتنبأ، وكان منهم من هو ناسك كإيليا، ومنهم آخرون يعيشون في مدارس مجاورة للهيكل ولكن بعضهم كانت لهم أملاك خاصة وزوجات، وأصبح الأنبياء على مر الزمن نقاد لعصرهم ولشعبهم وكانت نبوءات بعضهم فرعاً من الوعد والوعيد دالة على التقى والصلاح. وكان أغلبهم يأتون نبوءاتهم على لسان الرب يهوه.

كما مر حين اتسعت مملكة إسرائيل وعم فيها البذخ وتفجرت محاقن الشهوات كان هو النبي ناقل الصوت السماوي إلى عباد الله وفي مقدمة الأنبياء المناضلين كان (إمليخا) ظهر عليه يهوه صارخاً ها أضع كلامي على شفئك مخلولاً إياك هذا النهار أن تمرح وتنعم وتغني وأن تنهض بالشعب والمملكة. وقال يهوه لأن (حزقيال) في هذه الفترة العصبية يا حزقيال تبلغ هذا الأمر واصنع قطعة من عجين الشعير على

براز البشري إنذاراً بعبودية إسرائيل حيث سيأكل في المنفى الخبز المدنس ولكن حزقيال التمس من إلهه استبدال البراز بزل البقر، ثم عاد إملينما لينذر بتدمير الهيكل كاسر إبريق الفخار في وجه الفجرة المتمردين، واخنوخ وإيليا لهما مرتبة الألوهية في الكتاب المقدس وإيليا هو صانع المعجزات ومحي الأموات، أنزل السحاب ، وإما إخنوخ فهو نفسه أختاتون المصري عابد وموحد أتون، واشعيا أخذ يطوف في شوارع القدس عارياً مندداً بالمتهكين وكان النبي أوريا يصرخ لا يفيد الإنسان دوام الصلوات وتقديم الطقوس والقرايين كلما لا توازي صدق السريرة. والنبي عاموس ينشد أنا أكره أنا أمقت أعيادكم ولا أستطيع أن أتحمس احتيالاتكم، تقدمون لي الضحايا والقرايين لنا لا أريدها. وله تعابير يمثل فيها إسراف إسرائيل في المآكل والمشرب والتبرج والفجور ثم هو ينذرهم بويل محيق وهو الذي وضع للشعب مضمون ما تعنيه كلمة الإله يهوه عدالة ومحبة، وأكثر من أزره في هذه المهمة كان اشعيا وارميا وحزقيال.

▪ حقوق:

لا يعرف عن حقوق أكثر مما جاء عنه بالسفر ويوصف كنبي لمجرد أن له موهبة النبوة فحسب لأنه ضمن جماعة الأنبياء الذين تنبؤا بالهيكل. وجاء اسمه من أصل عبري يعني (يعانق) ويشير إلى حبه لله وعاش في يهوذا خلال الأيام الأخيرة للملك يوشيا، ويشتمل سفره شكوى النبي بأن الكلدانيين أكثر جوراً من يهوذا، وإعلان القضاء الإلهي انتصار الإيمان، وكتب نبوته بواسطته ويشير إلى أن الله يظهر محبته للإنسان ويعطيه الخير الجزيل، ولا يظهر الإنسان مقابل ذلك إلا الشرور.

▪ حبقون :

يعد حبقون أول نبي عبر عن عدل الله في التاريخ بأسلوب بسيط ويرفع حبقون صلاة شكر معبر فيها عن إيمان خالص وثقة في الرب المخلص من كل ما ينغص حياة الإنسان المحاط بالشر من كل جانب، وتحدث حبقون مع الله عن إسرائيل، ويثير مشكلة كل إنسان في كل العصور، ويناقش حبقون الشكوى التي تراود الإنسان المؤمن ويصف الحالة. الرهيبة التي سادت في عصر الشر. ويجد المرء في رسالة حبقون إجابة على كل سؤال وشكوى بأنها تصعد وترتفع إلى مرصد الإيمان وتراقب في صبر فيأتي الجواب الأكيد .

▪ أشعيا الثاني :

فهو اسم اصطلاح عليه المؤرخون لنبي مجهول السيرة، لكن تعاليمه الخلقية والدينية هي ذروة ما وصل إليه الدين اليهودي، وقد رأى أشعيا الثاني أن اليهود لم يكونوا أمناء في تلك الرسالة، فدفعوا ثمن خطاياهم كاملاً عندما أحرقهم الله في مصر العذاب والألم، وتوقع أن يعتق اليهود من مفاهم ويعودوا إلى أورشليم، وأن ينهض النور الأزلي ونزول شوكة الشر، وتحج كل الأمم إلى المدينة المقدسة لعبادة الله وبات انتصار المسيح المخلص موعودا، وكان أثر المسيح أشعيا الثاني كبيراً على المسيحية الأولى.

▪ ملاخي :

ذهب بعض العلماء إلى أن ملاخي لا يعد اسماً بل وظيفة بمعنى ملاكي أورسولي، والاعتقاد من الباحثين أن ملاخي هو الاسم الأصيل والكاتب لهذا السفر معلناً قرب مجيئ الرسول الأعظم المتجسد في العهد القديم، ويشتمل سفر

محبة الله الواضحة في اختياره يعقوب (إسرائيل) وتركه الأدوم (عيسو). ويشتمل أيضاً إهمال الكهنة وواجباتهم الدينية، واختلاط الشعب في زواجهم بالشعوب الأخرى، وحدوث الطلاق الذي هو مكروه أمام الرب، ويعد هذا السفر وحدة كاملة وبيد كاتب واحد، وملاخي هو المعلم بين الأنبياء وليس الواعظ وواجبه تعليمي وفي رأي أحد العلماء أنه النبي الذي له النظرة الثاقبة ورأيه الواضح في المبادئ الرومية التي تحدد نوع الحياة، حياة البر التي يجب أن يحياها الشعب فهو بعيد تعاليم النبوة الأولية، ورسالة التوبة والإصلاح التي يرى النبي بوضوح الأساس الذي تنفجر منه كل ينابيع سعادة الشعب بالرضى والقبول له لهدى الرب يهوه، وعلى الشعب أن يعودوا إلى الله، إما سفر ملاخي وأنه يرى أن الألم هو نتيجة رفضه والمعاناة ثمره، وسينال أدوم عقابه لما أظهره من رضى وشيئة بسقوط أورشليم وجاء رغم أن عيسو أخ يعقوب بل هم توأمان إلا أن الرب اختار يعقوب وأعطاه فرصته، وترك عيسو.

▪ أشعيا :

من أهم الأنبياء أشعيا الذي ظهر في مملكة (يهوذا) الجنوب اليهودية نحو عام 740 قبل الميلاد وراح يصرخ في شوارع أورشليم أن لديه مهمة نبوية بإيكاك من يهوه وظل أربعين سنة يتنبأ للشعب، ويشدد على الإيمان المستقيم بالله وما أنفك يحذر حكام أورشليم قائلاً أن الأمة المدنية رهن بوقف المعاهدات مع الأمم المحيطة والاتكال على الحليف ورسم صور العالم يسوده السلام ويحكمه أمير السلام الذي هو المسيح أي المخلص المنتظر وسيظهر في بيت داود ويؤسس نظاماً جديداً.

أنبياء اليهود

▪ يشوع :

جاء من الشمال من بيت يوسف من سبط بنيامين واليشع جده الذي قاد سبط أفرايم عبر البرية، وربما كسب الكثير من انتسابه إلى يوسف مثل روح المودة والاهتمام واكتسابه الكثير أيضاً من الحضارة المصرية القديمة وثقافتها، ويعتقد أن يوشع ولد في مصر وشارك في تجربة خروج شعب إسرائيل من مصر، وظهر إيمان يوسع وتجلت شجاعته في التقرير الذي حمله إلى موسى مع كالب بن يغنه، وظهرت بسالة يوشع أيضاً كقائد عسكري عندما قاد شعب إسرائيل في صد هجوم العمالقة في رفيديم وضر بهم للمستضعفين منهم والكليل والمتعب، إذا لم يخف العمالقة الرب الإله، كما أحرز يشوع نقداً ساخطاً للعمالقة ووجد قومه لم يحفظوا العهد مع يهوه وأن الاضطرابات السياسية والاجتماعية التي يعانونها هي نتيجة لعدم أمانتهم وعدم إيمانهم والأكثر من هذا أنهم يبحثون عن أحياء أجانب فهناك فئة تخطب ود الشام، وأخرى ود مصر، وثالثة ود آشور وفي الدين يهجرون الإله الحق ليعبدوا البعل ووقف لانحرافهم اسمعوا أقوال الرب يا بني إسرائيل، أن للرب محاكمة مع سكان الأرض لأنه لا أمانة ولا إحسان، لعن كذب وقتل وسرقة، وتنبأ بسقوط مملكة الشمال وعلى غرار سواه من الأنبياء نسب إلى الإله عبارات الغفران والمحبة، والراجع أن يوشع لم يلق آذان سامعه ومما زاد في خيسته أنه وجد خدام بيت الله يمتقون الأنبياء وهذا هو الرجل يشوع الذي كان مقتدراً بطبيعته وبالتدريب والاختبار إذ أقامه الرب ليقود شعب إسرائيل إلى أرض كنعان أرض الموعد.

وكفايته العظمى ومواهبه القيادية ثمرة نعمة الله وتعزيد له وعندهم أن حياة يشوع تحكي مهمة جندي تسليح سلاح الله الكامل الذي دعا وعضده.

سفر يشوع يمثل مجموعة واحدة ويعلق عليها بالأسفار السنة والجانب الآخر نجد يشوع بن سراج يعرف بين الناموس والأنبياء، فسفر يشوع تمتد أصوله إلى وعد الله لإبراهيم وإتمام الوعد هو في الاستيطان بأرض كنعان. ولهذا يعد سفر يشوع قمة الأحداث التاريخية السابقة له، ويرى آخرون أن سفر يشوع يتطلع إلى الإمام بمعنى أن الاستيطان في كنعان لا يمثل غاية أو نهاية في حد ذاته بل يعد بداية تاريخ شعب إسرائيل في وطنها القومي وهذا الرأي يعكس نظرية خاصة. وهي أن السفر يمثل جزءاً من وحدة تاريخية تمتد من وقت يشوع بعد موسى إلى زمن السبي البابلي، وسفر يشوع في رأي الباحثين أنه إتمام للوعد الذي حققه الرب للشعب من العبودية والذل والانتصار على الأعداء.

■ إرميا :

ظهر إرميا وكان إبراز الأصوات وربما أهم الأنبياء وكان أشد الأنبياء حقد على فساد قومه فقد اشتعلت في صورة نيران الغضب حين رأى ما عليه قومه وزعمائهم من انحلال في الأخلاق وحق في السياسة. وصل إليه أن كل ما يشهده من انحلال قد أنزله باليهود عقاباً لهم على ما ارتكبوه من الذنوب قال على لسان يهوه " فوتوا شوارع أورشليم وانظروا واعرفوا وفتشوا في ساحاتها هل تجدون إنساناً أو يوجد عامل طالب بالعدل الحق فأصفيح عنها" وأخذ إرميا يتوعد المنافقين الذين يأتون إلى الهيكل متظاهرين بالتقوى والصلاح وهم يحملون بعض ما حملوا من كدح الفقراء يقدمونه قرايين، واتخذ إرميا صفة النذير لكن إنذاراته المتكررة ذهبت سدى حتى وصل أنه لعن اليوم الذي ولد فيه إلا أنه لم يتوقف البتة

عن المجاهرة بنبوءاته، وكان يعطيهم الأخبار المشئومة من غير مجاملة، لذلك لم يحبه الملوك أكثر مما أحبه الشعب وفي عهد إرميا سقطت نينوى وحلت بابل محل آشور وظهرت منافسة بين مصر وبابل حول السيادة على أمم الشرق، وصارت اليهودية مسرحاً للصراع الدولي وفرضت عليها بابل جزية سنوية باهظة، فيما عادت مصر- تعرض عليها التحالف، ولئن سر الملك والشعب في أورشليم بالدعوة المصرية فقد وجد إرميا من الحماقة الابتعاد عن الحليف، وحقد عليه مواطنوه عندما راح يذكرهم بحلول غضب يهوه عليهم إذ هم استمروا في خطب ود مصر، ودخل إرميا الهيكل ليلقي موعظة قاسية على الشعب ناقلاً فيها عن الوحي الإلهي أن يهوه سيجعل ذلك البيت خراباً وتضامن الأنبياء الآخرون مع الكهنة، والشعب ضد إرميا، وأرادوا قتله غير أنه أفلت منهم بمعونة صديق له بين الكهنة، وقبض عليه من جديد وربطه الأمراء في جبال وأنزلوه في بئر مملوءة بالوحل، وظل على ذلك أياماً ثم خفف عنه العقاب وسجن في فناء القصر، حيث وجدته البابليون حين سقطت في أيديهم أورشليم ورمى إرميا جميع أنبياء اليهودية في زمنه بالكذب وحذر الناس منهم قال لا تسمعوا لكلام الأنبياء فإنهم يتكلمون برؤيا قلوبهم لا عن فهم الرب، أضاف إرميا بعداً جديداً سوف يقوم بين الله والأفراد المخلصين، أما الأنبياء السابقون فقد ركزوا على علاقة بين يهود والعبرانيين، ولكن مع إرميا صار العهد مكتوباً في صدور الناس ولقد وضع إرميا المؤمنين في علاقة مباشرة مع الله كأفراد مسئولين عن اتجاههم إلى الخبرة الدينية.

ويمكن أن تكون خبرة ذاتية قائمة بين الله والفرد، وأما سفر إرميا نبي القرن السابع قبل الميلاد، فهو تحذير يهوذا بمعاونة مملكة الشمال الديانة الخاطئة مكيدة ضد إرميا، أعمال رمزية وسجن ويعد سفر إرميا من الأسفار الطويلة في العهد القديم

التي تقدمهم بالكثير من النبي إرميا وحياته الشخصية وكما جاء عندهم ولد إرميا الكاهن في قرابة عناثوت إلا أنه لم يكن كاهناً بل دخل في صراع مع الكهنة وأيضاً مع أعضاء أسرته وإنه أمضى فترة شبابه في أورشليم وتعرف على رسالة الأنبياء الذين سبقوه وخاصة النبي يوشع ورسالته المبكرة تظهر التأثير العميق لهذا النبي على تفكيره والدور الذي يقوم به، وأن شخصية إرميا تشكل أهمية خاصة في تاريخ الديانة العبرانية، كما يرى العلماء فتجاربه الشخصية ومشاعره الداخلية تنعكس بوضوح في كلماته أكثر من أي نبي آخر وتمتع إرميا بشخصية قوية تضمن سفره أيضاً مجموعة نصوص تعطي نظره غير عادية لمشاعره الداخلية، وتسمى حياة إرميا بالصراع الداخلي بين رغباته الطبيعية من ناحية وبين تفهمه للدعوة الإلهية من ناحية أخرى، وكان إرميا يرغب في الخير للجميع، عميقاً في فكره وولائه لدعوته وإرسالته وأن رسالته هي تعبير عن مشيئة الله ولكن في موضع آخر نراه يصلي من أجل أعدائه ومن أجل سلامتهم، وقيل أن الرب كلم إرميا قائلاً له، خذ لنفسك سفراً وأكتب فيه كلامي الذي كلمتك به على بني إسرائيل وعلى يهوذا وتتجلى دعوة إرميا في الحوار البديع من الإله القدوس الخالق وجاء في التوراة ويلمس الرب فم النبي الشاب اليانع قائلاً "ها قد جعلت كلامي في فمك وكم كانت كلمة الرب حافزاً على الغلبة والنصرة لإرميا، الذي لم ير نفسه إلا شخصياً صغيراً ضعيفاً، لا يقدر على الكلام وظل مصارعاً لقوة كلمة الله القدير التي لم يستطع الإحجام عنها لقد رأى إرميا أن حياته من الله، وهو بعد في البطن اختاره الرب وقدس، ليكون نبياً ومعلوماً منذراً للشعوب ومعلناً دنيويته العادلة على كل نفس، حاول إرميا الحرب من مسؤوليته ولكن كيف ويد الرب عاضدة له بقوة حتى تعلم شعوب الأرض أن الرب هو المسيطر على الخليقة كلها وليس بالصراع المحموم، ورأي

إرميا قضييب (لور) و تعني في العبرية ساحر وقال له الرب أحسنت الرؤيا لأنني أنا ساحر على كلمتي لأجرها أي ليعمل على تحقيق ما تكلم به .

▪ عاموس :

ويعني حامل أو محمول والمقصود أنه محمول على أذرع رحمة الله ويعتبر أول الأنبياء الذين سجلوا كتاباتهم في أسفار تحمل أسماءهم وكانت كرازته لها أهمية خاصة إذ كانت مقدمة لنجاح خدمة الأنبياء، وكانت لنبوة عاموس تأثير كبير على الفكر العبراني، وأنه أيقظ روح النبوة التي دامت من بعد ما يقرب من خمسمائة عام، وهو أعظم أنبياء القرن الثامن قبل الميلاد الذي كان فاتحه عهد جديد في الإبداع الديني وقد جاء من الجنوب حيث لم تكن عبادة يهوه منتشرة، وكان يبيع رؤوس الماشية في حوافز الشمال التجارية حتى صار على معرفة بأحوالها الاجتماعية والدينية، ووجدا أصحاب الأراضي هناك، يتحكمون المزارعين وقد انحدر الدين والأخلاق إلى هوة سحيقة واضمحلّت الرحمة والعدالة، وقال عاموس أن يهوه انتبه لمهمة النبوة، فعاموس قال على لسان يهوه وهو يصب غضبه على ذوي الثراء المنغمسين في الترف والذين لا يراعون في الناس عهداً ولا ذمة من أجل أنكم تدوسون المسكين وتأخذونه منه هدية قمح بنيتم بيوتاً من حجارة منحوتة ولا تسكنون فيها، وغرستم كروماً شهية ولا تشربون خمرها ويلٌ للمستريحين، أنتم المضطجعون على أسرة من العاج والتمددون على فرشها.والآكلون خرافاً من الغنم، والمخترعون لأنفسهم آلات الغناء كرهتكم كرهت أعيادكم أي كرهت أغانيكم أبعد عني ضجة أغانيك ونعمة رباباتك لا أسمع وليبحر الحق كالمياه والبركان لأنه دائم.

وكانت الأمة موضع اهتمام عاموس تلك الأمة التي أخرجها الرب من مصر، ويؤكد عاموس كما جاء عندهم أن سيادة الله عليهم جميعاً وعلى قصورهم وحصونهم، ويدعوهم أن يخشوا الله ويعبدوه بكمال وأمانة، ولا بد من إسرائيل من المثل أمام الرب، لأن خطاياهم وظلمها وفسادها هو الإله الذي نظم العلاقات الإنسانية وحقوق وواجبات كل واحد لجزء أساسي في حياة إسرائيل، وأن غاية الرب يهوه من إعلان قضائه على إسرائيل ليس بالتدمير والهلاك بل الرجوع إليه والتوبة من كل الشرور وكان هدف عاموس الذي أعلنه لهم أن يصلح الشعب، ويدعوهم على المحبة من كل القلب لأجل ذلك قام عاموس بثورة عارمة على تصرفات إسرائيل، ويشمل سفر عاموس، أقوال عاموس التي رآها ضد الشعوب عقاب يهوذا عقاب بني إسرائيل وإعلان الدنيوية وفساد إسرائيل وفجورها ويشمل أيضاً ويعد عاموس النبي في نظرهم ظاهرة رومية فريدة أصيله، ولقب بارع شخصية بلا منازع ورغم أنه الراعي وجاني جميز، وكما أن احتكاكه مع الرعاة رفاقه أعطاه خبره ودقة في التعبير لتحليل المواقف إلى جانب ارتحاله إلى الشمال ويتميز ببصيرة نافذة مفكرة، وكان يراعي أعمال الناس وتصرفاتهم وما يرتكبونه من شرور ومفاسد.

▪ حزقيال :

راحت النبوءات الجديدة تواصل سيرها وتحقق وجودها بين أبناء إسرائيل حتى بعد أن تم أسرهم في بابل، وبين الأسرى اليهود في بابل ظهر نبي آخر اسمه حزقيال.

وتعني في العبرية "الرب يقوى" جاء حزقيال من أصل كهنوتي ولا يعرف عن والده الكثير، استقر حزقيال مع رفاقه على شاطئ نهر خابور الذي ينبع من الفرات عبر المدينة التي تقع جنوب شرق بابل، وفي قرية تل أبيب القرية المبنية على حافة نهر

خابور في بابل ويرى بعض العلماء أن الجو البابلي العام كان له الأثر الكبير على فكر حزقيال، وتصويراته لعبادة البابليين للآلهة عشتار والإله مردوخ مما أشعل غيظه المتقدة على شعبه وجعله يحذرهم بشدة ضد الانسياق وراء الأوثان، غير أن هذه المؤثرات الخارجية لا تحسب شيئاً بالنسبة لما ورد بالسفر، لأن النبي حزقيال كانت له شخصيته المتميزة غير العادية وكان حزقيال متزوجاً من زوجة وفيه ملاحظة لم يكن لهما أطفال، وله بيته الخاص، وكان لشيوخ شعبه خدمة ساحرة، وخدمة نبي وراع يهتم برعيته، وعندما ماتت زوجته أمره ربه قائلاً له "لا تنح ولا تبك ولا تنزل دموك تنهد ساكناً" وبقي حزقيال حتى جاءته الأخبار بأن مدينة أورشليم تهدمت وسقطت، وبعد سقوط أورشليم تحولت إعلانات حزقيال من كونها رسائل حزن واكتئاب إلى رسائل رجاء وضعف في رأياه الهيكل المهدود والشعب والأرض وقد كانت مقدسة للرب، صار حزقيال المتحدث باسم الرب، وكان مبشراً بالتوبة والدينية إلى شعب عنيد وعابد للوثن، وقدم لهم التحذيرات الدنيوية، واهتم بتذكركه الشعب أنهم يعيشون حياة العبث والنساء بعيداً عن أرضهم وبعيداً عن الهيكل ظانين أنهم بعيدون عن العقاب، صور حزقيال دنيوية الشعوب الأخرى المعادية بواسطة يأجوج ومأجوج، لكن الشعوب نجت من العقاب لتوبتها وسماها صوت النداء بتوبة، كما كان يطمح إلى إعادة تأسيس حياة جديدة لشعبه، ويبدو أنه كان أحد قادة الحفلة الناموسية التي نشأت بين يهود السبي وسميت حلقة التثنية وتنبأ حزقيال بعودة الهيكل واستحالة العبادة بعيداً عنه ومن هنا فتى يخطط لإعادة بنائه وممارسة العبادة فيه، وكان لتصوره أثر كبير على اليهود كما تميز حزقيال في سفره بالأسلوب المجازي والأعمال الرمزية، وامتزجت كتابته بأسلوب الشعر والنثر، ويظهر حزقيال النعمة الإلهية في رد الشعب إلى أرض

الموعد التي تنبض لبناً وعسلاً وتعود الأرض تعطي غلتها وثمارها الوفرة وتفيض ببركات عديدة، يقول الرب " أنزل عليهم المطر في وقته فتكون أمطار بركة ويكونون آمنين في أرضهم وعلى إسرائيل أن تكون أمانة العهد مع الرب إلهها حتى يكون لها التمتع بالسلام في حياتها وبأمانه الشعب يتحقق لهم الوعد المبارك، وتنبأ بأن سيقام في أورشليم معبداً جديداً، وبأنها ستصير مدينة وللكهنة فيها الكلمة العليا والمقام الأعظم حيث يقيم يهوه مع شعبه أبد الدهور .

▪ النبي دانيال :

دانيال يعني بالعبرية "الله قاضي" ولا يعرف الكثير عن دانيال أكثر مما ورد عنه في السفر ودانيال رجل إسرائيلي من عائلة عملت في البلاط الملكي، حمل ضمن المسيبين إلى بابل، بواسطة نبوخذ نصر ملك بابل، وتدرّب دانيال على خدمة البلاط الملكي وأعطى اسماً كلدانياً "بلطشاصر" اسماً وثنياً وهو اسم وثني معناه "بعل يحفظ حياته" وكان دانيال وميخائيل وعزرا هؤلاء أعطاهم الله معرفة وحكمه في كل كتابة الكلدانيين ولسانهم، وكان دانيال فهِماً بكل الرؤى والأحلام وحل الرموز المنقوشة على الجدار الأكبر، وعند نهاية الثلاث سنين وقفوا أمام الملك نبوخذ نصر فلم يوجد بينهم في الحكمة والفهم بل زادهم فهمهم عشرة أضعاف، فوق كل المجوس والسحرة والعرافين الذين في كل المملكة، وأن دانيال كان يعيش في البلاط الملكي في بابل الذي كتب سفر دانيال خلال القرن السادس قبل الميلاد، وطلب من دانيال أن يختم السفر ويحفظه، لأن كثيرين سوف يتصفحونه، وتزداد المعرفة ويرى أحد العلماء أن سفر دانيال هو أول وأعظم رؤيا، واعتادت هذه التسمية على سفر دانيال في العهد القديم وسفر الرؤيا في العهد الجديد، وأنهما يتحدثان عن أمور مستقبلية ستحدث بعد زمانه ومن سفر دانيال بين أن الله بيده

تاريخ البشر ورغم أخبار الشر والقوات والسلطين التي تعمل ضد الحق والبر وسوف يثبت الله مملكته إلى الأبد.

▪ النبي يوثيل :

يوثيل في العبرية يعني " الرب هو الله " ولا يعرف عن والده شيئاً، والاسم تردد كثيراً في الكتب المقدسة فهناك ما يزيد عن اثني عشر- شخصاً حملوا هذا الاسم، ورغم اهتمامه بالعبادة الهيكلية إلا أنه لم يكن كاهناً، فقد ميز نفسه عنهم ويعتبر يوثيل نبي الهيكل، وفي سفره اهتم بتقديم التعاليم الهامة التي كانت أعظم الأثر في أسفار العهد القديم، وينادي بحياة متوازنة متسقة ومتكاملة بين شكل الحياة الداخلية والعبادة الظاهرة كما أن الله يظهر سيادته على الكون وتسخيره للطبيعة وعمله في التاريخ، ويحث يوثيل الشعب على النوم والصلاة في الهيكل بقيادة الكهنة، وتقديم الذبائح في الهيكل، ويدعوا إلى التوبة من الأعماق أي من القلب، ويرجعوا إلى ربهم بصوم وبكاء، ويكون يوم الرب أن الجبال تقطر عصيراً، والتلال تفيض لبناً، وجميع ينابيع يهوذا تفيض ماء، وتأتي هذه بركات مادية تتجسد في دعوى النبي يوثيل، للشعب أن يبتهجوا ويفرحوا بالرب لأنه يعطيهم المطر المبكر والمتأخر فتمتلئ البيادر حنطه وتفيض حياض المعاصر، بالخمر والزيت.

▪ حجي :

ويعني عيد أو معبد ولد في يوم من أيام الأعياد اليهودية وأن والديه كان لهما الإيمان أن ابنهما سيكون له مرح العودة من السبي مع شعب اليهود، فيكون لهم عيداً عظيماً، وكان شخص متقدماً بسن عندما قام برسالته وكان كاهناً ويشتمل سفره دعوى لإعادة بناء الهيكل واستجابة الشعب، الوعد بزم من أفضل مجد الهيكل

الجديد، ويرون أن حجي لم يكتب السفر، بل كتب بواسطة تلاميذه ويرى إيسفيلد أن حجي النبي كتب السفر وأعيدت صياغته، وجاء حجي بكلمات التشجيع حتى بينوا بيت الله والشعب يحاول التهرب من المسؤولية ويؤكد لهم أنهم إذا استمروا على ذلك فلهم ميلاً أو مكسب وهو المخرج الوحيد من أزمتهم الاقتصادية والاجتماعية هي أن يهتموا ببناء بيت الرب، فيكون لهم خيراً وابتهاجا وكانت كلمات النبي حجي في المقام الأول، إذ كان لها التأثير المباشر على الشعب وبواسطته بدأ الشعب العمل في إعادة البناء وتم البناء بعد أربع سنين ويقول باقتراب ملكوت الله وهذا مرتبط بإعادة بناء الهيكل مباشرة.

وعلى إسرائيل أن تواصل أزمتهما بالثقة في إلهها، ويرى جبرهارد أن حجي رأي بعين مخيلته أن الوقت حان الذي فيه تتعبد كل الأمم وجميع شعوب الأرض للرب، ويأتوا بكنوزهم إلى بيت الرب، وتصبح العبادة ليهوه غير قاصرة على بني إسرائيل، بل كل الأمم تتعبد للرب، ويصبح ملكاً وسيداً للجميع.

■ ميخا :

اختصاراً ميخائيل ويعني (من مثل الله) جاء من الجنوب إلى أورشليم من قرية بسيطة ولم يرد شيء عن عائلته، ويرجع أنه جاء من أسرة بسيطة إذ لم يذكر شيء عن والده ولقب ميخا بالنبي الريفى، نبي الإنسان البسيط، إذ تحدث عن الفلاحين والفقراء الذين عانوا كثيراً ويرى أن ميخا كان أحد تلاميذ أشعيا النبي وراح ميخا يتنبأ عشية سقوط المملكة السالوية، وتميزت نبوءاته بصفتين:

الأولى: معارضته للأتبياء الذين يقولون أن أورشليم غير قابلة للخراب.

والثانية: تعريف عميق لجوهر الدين الصحيح فعن الأنبياء المضلين للشعب يقول تغيب الشمس عن الأنبياء ويظلم عليهم النهار ويحدد ميخا جوهر الدين على نحو بسيط جداً وهو الحق، الرحمة، التواضع، وبعد ميخا اختفت الأصوات نحو سبعة عقود وربما منع الأنبياء تلك الآونة من ممارسته مهمتهم، وعندما زال الخطر الآشوري عن أورشليم وارتقى الملك فناء العرش عرفت الديانة انحرافاً جديداً عن مبادئ يهوه الخلقية والدينية، وكانت علامة الأدلة العودة إلى اليهودية المطعمة بعناصر كنعانية اختفت وضلت على عبادتهم، أما العامل الآخر للانحراف فكان التبني الرسمي لطرائق العبادة الآشورية، ومن علائمه وضع نصب للآلهة الآشورية، في الهياكل وسطوحها، علماً أن اليهودية كانت تدفع جزية لمملكة آشور ويشمل سفر ميخا إعلان عودة إسرائيل أحراراً وأنبياء يحاكمون الشعب عن الظلم الاجتماعي والتباين بين الديانة يهوه وديانة الشعوب الأخرى، وأنه كتب على هيئة قصائد من الشعر في أسلوب جميل، وقد عانى ميخا من الفساد الذي يعيشه الشعب من جراء تأثير الديانة الوثنية الكنعانية في ذلك الوقت.

وكما مر بنا من اختفاء النبوءات بعد ميخا والعوامل التي أدت إلى انحصار مزدوجاً لدين يهوه، وكان على يد أحد الملوك الذين اضطروا إلى إكرام الآشوريين ثمناً لتجنب الاختلاف، وفجأة عادت أصوات النبوة تظهر ومن أنبياء تلك المرحلة:

ناحوم، حبقوق، وصقنيا، وكلهم أنذروا قومهم عن سخط الرب ولكنهم تكلموا عن عدله، وصلاحه، ورحمته، والله يعد الصالحين بالخلاص.

النبي ناحوم:

ناحوم يعني في العبرية التعزية" وولد ناحوم في الجليل، وكرز أخيراً في الجنوب، ويشمل سفر، بر الله وعدله، غضب الله.

زكريا :

ويعني في العبرية (الرب يذكر) أنه زكريا النبي تنبأ قبل نهاية خدمة النبي حجي بشهر واحد، وقد دامت خدمة حجي أربعة شهور، إلا أن رسالة زكريا استمرت عامين وينتمي زكريا إلى الأسرة الكهنوتية، وقد عاد من السبي في بابل إلى أورشليم وكان شاباً وكاهناً ونبياً، وفي حديثه عن الصوم كان يؤكد على أهمية أن يعيش الإنسان حياة الطهر والنقاوة، وخافة الرب بعمل ما هو مستقيم في عيني الله ويشمل سفر زكريا على دعوة العودة إلى الله، الرؤى الثمانية، أسئلة الصوم، الطاعة لله، والعدل للإنسان، والوعد بالسلام، والنجاح لشعب الله، وكان زكريا له دور هام في إعادة بناء الهيكل "ولم يكن مؤيد مثل حجي أن يكون للسامريين دور في إعادة البناء، وحث الشعب على ضرورة إعادة بناء الهيكل، وكان للنبي حزقيال التأثير الواضح عليه ، وتعلم بأن طريق الحياة تتمثل في اعتراف الإنسان بعون الله في الماضي، والطاعة لكلمته حسب شرائعه وأحكامه،

ويرى زكريا أن النجاح في الرسالة مؤسس على الطاعة لشرعية إله الساء، وكان عمله يدعو إلى إعادة بناء الهيكل، وأن العودة إلى طريق الرب هي الطريق النجاح الأكيد الممتلئ بالسلام وأما العصيان وعدم الاستماع لوصايا الرب وأحكامه فهو الطريق إلى العقاب والسبي.

حائط البراق(حائط المبكى)

أولاً: تمهيد ديني وتاريخي

رأيت أن أضيف إلى الكتاب هذا المبحث المستل عن الانترنت عن حائط المبكى، ذلك الحائط الذي أصبح جزءا كبيرا ومهما من عقائد اليهود بينما لا حقيقة له.

وحائط البراق حائط يحده الحرم القدسي الشريف من الغرب، وترجع هذه التسمية إلى أن الرسول ﷺ طبقاً لما أشارت إليه مصادر إسلامية عديدة في تفسيرها للآية الكريمة ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ أن الرسول ركب البراق حتى باب المسجد الأقصى- حيث ربط الدابة قرب الباب في مكان بالحائط الغربي للحرم، في الحلقة التي كان يربط فيها الأنبياء من قبل، ودخل المسجد حيث صلى بالأنبياء ثم عُرج به إلى السماوات العلى.

أما حائط المبكى فهو - في زعم اليهود- جزءاً من الحائط الغربي للحرم القدسي الشريف وآخر أثر من آثار هيكل سليمان عليه السلام وأقول زعم اليهود لأنه سوف يتضح من هذه الدراسة أن هذه المقولة لا تستند إلى أي أساس ديني أو تاريخي أو قانوني.

إن أهمية بيت المقدس لدى العرب والمسلمين ترجع إلى عدة أسباب:

أولاً: أن الله خصها بالعديد من الأنبياء ابتداءً من إبراهيم عليه السلام حتى عيسى بن مريم صلوات الله عليه.

ثانياً: أن الله خصها بإسراء ومعراج نبيه الكريم.

ثالثاً: لأن فيها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

فقد صلى إليها الرسول والمسلمون بمكة، ثم ستة عشر شهراً بالمدينة، ثم أمره الله أن يتحول إلى الكعبة بقوله تعالى: ﴿فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾.

والمسجد الأقصى هو ثاني مسجد على الأرض بعد المسجد الحرام، وهناك عدة روايات حول من بناه، منها أن آدم هو الذي بناه ومنها أن الذي بناه يعقوب ثم جده داود، وأتمه سليمان عليه السلام.

وأما بالنسبة لهيكل سليمان المزعوم فقد بناه في أورشليم سليمان عليه السلام ليكون مركز العبادة اليهودية، وكان الغرض من بنائه -كما يقول اليهود- هو عبادة الله عز وجل، حيث كان الهيكل مسجد للموحدين.

وليس هناك دليل على المكان الذي بني فيه الهيكل، فبينما تذكر بعض المصادر أنه بني خارج ساحات المسجد الأقصى، تذكر أخرى أن مكانه تحت قبة الصخرة وتذكر المصادر اليهودية أنه تحت المسجد الأقصى.

وطبقاً لما ذكرته المصادر التاريخية، فقد تم بناء الهيكل وهدمه ثلاث مرات، فقد تم تدمير مدينة القدس والهيكل عام 587 ق.م على يد نبوخذ نصر ملك بابل وسبى أكثر سكانها، وأعيد بناء الهيكل حوالي 520-515 ق.م وهدم الهيكل للمرة الثانية خلال حكم المقدونيين على يد الملك أنطيوخوس الرابع بعد قمع الفتنة التي قام بها اليهود عام 170 ق.م، وأعيد بناء الهيكل مرة ثالثة على يد هيرودس الذي أصبح ملكاً على اليهود عام 40 ق.م بمساعدة الرومان. وهدم الهيكل للمرة

الرابعة على يد الرومان الذين فتحوا مدينة القدس عام 70 م ودمروها بأسرها، هذا ما تذكره المصادر اليهودية.

ويروى لنا الكتاب المقدس حالة الهيكل قبل الهدم الثالث، ونبوءة المسيح عليه السلام بخرابه، حيث لم يحافظ اليهود على كون الهيكل مكاناً للموحدين، وحولوا مكان الهيكل إلى مكان للبيع والشراء، فطبقاً لما ورد في إنجيل متى "ودخل يسوع إلى هيكل الله، وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل، وقلب موائد الصيارفة، وكراسي باعة الحمام، وقال لهم. مكتوب بيتي بيت الصلاة يدعى، وأنتم جعلتموه مغارة للصوص..."

"يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين، إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا، هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً..."

وفي فقرة أخرى من الإنجيل ورد النص التالي "ثم خرج يسوع ومضى- الهيكل، فتقدم تلاميذه لكي يروا أبنية الهيكل، فقال لهم يسوع أما تنظرون جميع هذه الحق أقول لكم أنه لا يتركها هنا حجر على حجر لا ينقض" هذا إذا كان للهيكل وجود.

ولقد تحققت نبوءة المسيح عليه السلام، فقد تم تدمير الهيكل على يد الرومان وهو التدمير الأخير للهيكل.

وبينما تشير بعض المصادر إلى أن الهيكل لم يبق فيه سوى قسم من حائطه الغربي تشير أخرى إلى أن سائر أجزاء الهيكل لم يبق منها شيء.

فعندما حدثت حادثة الإسراء لم يكن بهذا المكان بناءً معروف بالمسجد الأقصى، وإنما كان المكان الموجود بين أسوار الحرم الشريف في القدس مكاناً

مخصصاً لعبادة الله ﷻ، ولم يكن مسجداً بالمعنى الحالي وإنما سمي في الآية الكريمة بالمسجد، لأنه مكان العبادة.

ومنذ حادثة الإسراء عرف أهل القدس سواء بالتواتر أو التوارث أنه يوجد مكان في الحائط الغربي للحرم القدسي يسمى البراق.

أما بالنسبة للمسجدين المعروفين الآن باسم المسجد الأقصى - ومسجد الصخرة فقد تم بناؤهم خلال الحكم الأموي، حيث شرع عبد الملك بن مروان في بنائهما عام 65 هـ ويبدو أن بعض أجزاء البناء قد تمت في عهد الوليد بن عبد الملك. ولإنجاز هذا المشروع الكبير تم رصد خراج مصر سبع سنوات، كان تحمل الأموال خلالها إلى بيت المقدس، حتى تم البناء.

وقد تابع الخلفاء والسلاطين والملوك فيما بعد الاهتمام بهذين المسجدين والإنفاق على صيانتهم، بسبب مكانتهما الدينية، وباعتبارهما من مفاخر العمارة العربية والإسلامية.

وشهدت القدس ثلاث فترات من العمران، الأولى خلال الحكم الأموي، والثانية خلال العصر المملوكي 1250-1516 والثالثة خلال القرون الأولى من الحكم العثماني (القرن العاشر الهجري والسادس عشر الميلادي).

ومن يتابع التاريخ العثماني سوف يجد عدداً من السلاطين العثمانيين أحسنوا معاملة اليهود قبل ظهور أهدافهم الصهيونية فقد سمح لهم السلطان محمد الفاتح 1451 - 1481 بالاستقرار في اسطنبول، وعندما طرد اليهود من أسبانيا عام 1493 أصدر السلطان بايزيد الثاني أمراً يقضي بحسن معاملتهم.

وهكذا أصبحت فلسطين وممتلكات الدولة العثمانية في أوائل القرن السادس عشر ملجأ لليهود المطرودين من إسبانيا والبرتغال أو الهاربين من البلاد الأوروبية الأخرى.

فخلال الحكم السلطان القانوني 1520-1566 شهدت الدولة العثمانية صحوة حضارية واستفاد بيت المقدس خاصة من جهوده الإصلاحية، فقد أمر سليمان بإعادة بناء أسوار المدينة، وبلغ طول السور الذي ما زال قائماً حتى اليوم ميلين وارتفاعه حوالي أربعين قدماً.

ودعا السلطان رعاياه إلى الإقامة في بيت المقدس خاصة اللاجئين اليهود الذين استقروا في الدولة العثمانية بعد طردهم من إسبانيا وكان معظم اليهود يفضلون في ذلك الوقت الإقامة في طرية، وصفد، لكن مجتمعتهم في القدس تزايد عدداً في عصر سليمان (كان عددهم في القدس في منتصف القرن الخامس عشر- 1650 نسمة).

والذي يهمننا هنا ما حدث من سليمان القانوني بالنسبة للحائط الغربي للحرم الشريف، فقد صدر منذ ثلاث سنوات كتاب هام عن القدس لمؤلفه أمريكية تذكر فيه أن اليهود لم يظهروا في الماضي أي اهتمام بذلك الجزء من الحائط، وأن المكان في عهد هيرودس بعد أن أعيد بناء الهيكل للمرة الثانية عام 40 ق.م كان جزءاً من مركز تجاري ولم تكن له أهمية دينية، وأن اليهود كانوا يتجمعون للصلاة على جبل الزيتون وعند بوابات الحرم، وأنهم عندما منعوا من دخول المدينة أثناء الفترة الصليبية كانوا يصلون عند الحائط الشرقي للحرم، وتضيف المؤلفة الأمريكية أن سليمان القانوني هو الذي أصدر فرماناً يسمح بمكان لليهود للصلاة عند الحائط الغربي.

ويقال أن سنان باشا مهندس البلاط الكبير هو الذي قام بتخطيط الموقع وبالحفر كي يتيح للحائط ارتفاعاً أكبر، وقام ببناء حائط مواز له يفصل مصلى اليهود عن حي المغاربة الذي يعتبر وقفاً إسلامياً من أواخر القرن 12م وسرعان ما أصبحت المنطقة مركزاً للحياة الدينية لليهود القدس.

ويضيف المصدر بأنه لم تكن تقام هناك بعد طقوس رسمية للعبادة، غير أن اليهود كانوا يجون قضاء فترة ما بعد الظهر هناك يقرءون المزامير ويقبلون الأحجار، وسرعان ما اجتذب الحائط الغربي أساطير كثيرة، فقد تم ربط الحائط بأقاويل من التلمود تخص الحائط الغربي للهيكل، وهكذا أصبح الحائط رمزاً لليهود وأصبحوا يشعرون بتواصلهم مع الأجيال الماضية، وبمجدهم الذي ولى.

ومن الواضح أن ما ذكرته المؤلفة الأمريكية من أن سليمان القانوني هو الذي سمح لليهود بمكان للصلاة عند الحائط الغربي للحرم القدسي الشريف قد حدث فعلاً، حيث ورد في بحث مقدم من روجي الخطيب أمين القدس السابق إلى مؤتمر حماية المقدسات والتراث الإسلامي في فلسطين نص أخذه من الموسوعة اليهودية الصادرة في القدس عام 1971، يقول النص:

"إن الحائط الغربي أصبح جزءاً من التقاليد الدينية اليهودية حوالي سنة 1520م نتيجة للهجرة اليهودية من إسبانيا وبعد الفتح العثماني سنة 1517م".

يعني ما ورد في المرجعين الأمريكي واليهودي أن العثمانيين في عهد السلطان سليمان القانوني هم الذين منحوا اليهود حق التعبد والصلاة عند حائط البراق أو الحائط الغربي للحرم القدسي الشريف من قبيل التسامح الديني مع اليهود بعد طردهم من إسبانيا أواخر القرن الخامس عشر الميلادي.

ويدعم هذه الحقيقة نص ورد في تقرير اللجنة الدولية لتحديد الحقوق والادعاءات بشأن الحائط، حيث يذكر أنه وردت إشارة لأحد الباحثين في سنة 1625م تتحدث عن إقامة صلوات منظمة عند الحائط لأول مرة.

ومع أن الأتباع اليهودية لم تكن واضحة في ذلك الوقت، لكن الذي يؤخذ على بعض السلاطين العثمانيين أنهم رغم إصلاحاتهم لم يكونوا على قدر كاف من الوعي بقُدسية هذا المكان الذي شهد حادثة الإسراء والمعراج، والذي كان أول قبلة للمسلمين.

وخلال الحكم المصري للشام 1831-1840 كان يسمح لليهود بالاقتراب من الحائط والبكاء عنده مقابل 300 جنيه إنجليزي كانوا يسددونها سنوياً لوكيل وقف أبو مدين.

ووقف أبو مدين هذا أرض مجاورة للحائط الغربي من المسجد الأقصى أوقفها الملك الأفضل بن صلاح الدين عام 1192م على الحجاج المغاربة حيث تم بناء منازل لهم فيها عرفت باسم حي المغاربة، ثم أطلق عليها فيما بعد اسم "أبي مدين الغوث". وتم توثيق الوقفية عام 1630م.

لكن إبراهيم باشا أصدر مرسوماً في مايو 1840 حظر فيه على اليهود تبليط الممر الكائن أمام الحائط، ورخص لهم بزيارته فقط على الوجه القديم.

ورغم موقف السلطان عبد الحميد من عدم الموافقة على هجرة اليهود إلى فلسطين، لكنه بالنسبة لليهود المقيمين في فلسطين أصدر عام 1889م فرماناً يمنع فيه التعرض للأماكن التي يؤدي فيها اليهود طقوسهم أثناء الزيارة، مما يعني التسامح مع اليهود الذين يتمتعون بالجنسية العثمانية.

وقد ورد في مؤلفات مختلفة معاصرة أن السياح الذين زاروا الأرض المقدسة خاصة خلال القرنين 19، 20 ذكروا أن اليهود استمر ذهابهم إلى الحائط وجواره لتقديم تضرعاتهم.

واضح إذن أن عادة الصلاة عند الحائط تم تقنينها خلال الحكم العثماني وخاصة خلال القرن 16 على يد سليمان القانوني، كما أن عادة البكاء عند الحائط تم تقنينها خلال الحكم المصري للشام في ثلاثينيات القرن 19.

أما بالنسبة لما تذكره المصادر اليهودية عن علاقة اليهود بالحائط بعد هدمه فتروي أن اليهود اعتادوا بعد خرابه للمرة الثانية الذهاب إلى أطلاله لكنها لم تشر- إلى البكاء عند الأطلال كما يذكر عدد من المؤرخين اليهود في القرنين 10، 11 أن اليهود كانوا يذهبون إلى الحائط لإقامة شعائرهم الدينية خلال الحكم العربي، وأنه في الطور الأخير من الاحتلال الصليبي للقدس كان اليهود يقيمون صلاتهم الدائمة عند الحائط. فالمصادر اليهودية وحدها هي التي ذكرت ذلك، وليس هناك أدلة أو شواهد على صدق قولها.

ثانياً: كيف أثرت مشكلة الحائط بين العرب واليهود وكيف تطورت؟

لقد بدأت جذور المشكلة قبل الحرب العالمية الأولى عندما احتج متولي الأوقاف أبي مدين الغوث في 12 تشرين الثاني 1327هـ (1911) أن أفراد الطائفة اليهودية الذين جرت عاداتهم بزيارة الحائط وقوفاً أخذوا مؤخراً يجلبون معهم كراسي للجلوس عليها أثناء الزيارة، وطلب متولي الأوقاف إيقاف هذه الحالة تجنباً لإدعاء اليهود في المستقبل بملكية المكان.

وبناءً على ذلك أصدر مجلس إدارة لواء القدس تعليمات تنظم زيارة اليهود للحائط، وتمنع جلب أي مقاعد أو ستائر عند الحائط.

ومنذ انتهاء الحرب العالمية الأولى واعتماداً على تصريح بلفور الذي يعد بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، أخذ اليهود يسعون إلى تثبيت حقوق واسعة لهم في هذا المكان عن طريق تغيير الحالة الراهنة التي كان عليها الحائط قبل الحرب، حيث بدأوا تحركهم عام 1919م بما قدموه من عرائض رسمية ونشروه من مقالات، ووصل الأمر إلى نشر صور لهيكل يهودي جديد مكان مسجد الصخرة ونشر صور لهذا المسجد يعلوها العلم الصهيوني والكتابات العبرانية، وأخذ اليهود يساومون على شراء المنطقة الوقفية الواسعة المحيطة بالحائط، وعرضوا أرقاماً باهظة للشراء.

وعندما وضع صك الانتداب على فلسطين الذي صودق عليه من قبل عصبة الأمم في 24 يوليو 1922 تضمنت مواد الثمانية والعشرون عدداً من المواد المتعلقة بالأماكن المقدسة كان أهمها المادة 14 التي تنص على ما يلي:

"تؤلف الدولة المنتدبة لجنة خاصة لدرس وتحديد وتقرير الحقوق والادعاءات المتعلقة بالأماكن المقدسة والحقوق والادعاءات المتعلقة بالطوائف الدينية المختلفة في فلسطين، وتعرض طريقة اختيار هذه اللجنة وقوامها ووظائفها على مجلس عصبة الأمم لإقرارها، ولا تعين اللجنة ولا تقوم بوظائفها دون موافقة المجلس المذكور لكن هذه اللجنة لم تعين إلا عام 1930 بعد أن أوصت لجنة التحقيق في أسباب انتفاضة البراق عام 1929 بسرعة تعيينها، وطوال السنوات 22، 23، 25، 26، 28 كان هناك محاولات يهودية لجلب مقاعد عند الحائط لكنهم في العام 1928، حاولوا استخدام خزانة ومصاييح وحصر وستائر للفصل بين الرجال والنساء، وأرسل مفتي فلسطين رسائل إلى حاكم القدس ينبهه إلى تلك

المخالفات، وصدرت التعليقات من الإدارة المنتدبة في أكثر من موقف بمنع اليهود من جلب كراسي أو ستائر إلى الحائط.

ولفترة تقرب من العام اعتبار من سبتمبر 1928 حتى أغسطس 1929 الذي حدث فيه انتفاضة البراق حدثت مشادات واحتجاجات وتجاوزات كلامية وكتائية وسياسية بين العرب واليهود في فلسطين وخارجها. وشكلت لجنتان إحداهما عربية للدفاع عن البراق لعقد مؤتمر إسلامي عام في أول نوفمبر 1928 حضره مندوبون عن فلسطين وسوريا وشرقي الأردن حيث احتج المؤتمر على أية محاولة لإحداث أي حق لليهود في مكان البراق، وشكل المؤتمر جمعية عرفت باسم "جميعه الأماكن الإسلامية المقدسة".

وصدر في الشهر نفسه كتاب أبيض من الحكومة البريطانية برقم 3229 مؤيداً المحافظة على الحالة الراهنة داعياً اليهود والمسلمين إلى عقد اتفاق فيما بيننا لتحديد حقوقهم وواجباتهم في الأماكن المقدسة.

لكن الاتفاق لم يحدث، فطلبت الحكومة من الطرفين إبراز ما لديهما من مستندات لتتمكن من الفصل في الموضوع فقدم المجلس الإسلامي ما لديه من مستندات لكن الجهة اليهودية المسؤولة لم تقدم أية مستندات واكتفت بإرسال بحث فقهي عن الموضوع.

واستقر في أذهان المسلمين في ذلك الوقت أن اليهود يطعمون في الأماكن المقدسة وأنهم ينوون الاستيلاء على المسجد الأقصى. ورغم تكرار نفي ذلك من قبل السلطة البريطانية والمنظمات اليهودية المسؤولة في فلسطين، لكن المسلمين في فلسطين لم يصدقوا ذلك، خاصة وهم يرون محاولات مستمرة من اليهود لتغيير الأوضاع المستقرة عند الحائط، وفي هذا الجو المتوتر صدرت قرارات المؤتمر

الصهيوني السادس عشر الذي عقد في زيورخ من 28 يوليو إلى 11 أغسطس 1929 والتي كان من أهمها المطالبة بفتح أبواب فلسطين على مصراعها لليهود، وبذل الجهود لحمل الحكومة البريطانية على سحب كتابها الأبيض لعام 1928 الذي اعترف بحقوق المسلمين في الأماكن المقدسة التي جمعت الصهاينة واليهود. وتابعت لجنة الدفاع اليهودية عن حائط المبكى نداءاتها المقلقة لإثارة يهود العالم إلى أن يعاد إليهم حائط المبكى.

وأما من الجانب الإسلامي فلم تكن جمعية حراسة الأماكن المقدسة هادئة، فقد كانت تصدر البيانات تباعاً وكان لكل من الجمعية واللجنة دور هام في تصاعد هذه الأحداث حتى انفجار الانتفاضة في 15 أغسطس 1929.

وليس الآن موضع الحديث عن انتفاضة البراق عام 1929 والتي كانت أول انتفاضة تشمل معظم أنحاء فلسطين واستمرت أسبوعين كاملين استعانت بريطانيا خلالها بقوات من القواعد البريطانية خارج فلسطين.

ورغم أن السبب المباشر لتلك الانتفاضة كان محاولات اليهود اكتساب حقوق جديدة قرب الحائط، لكن ذلك لم يكن غير الشرارة التي فجرت الانتفاضة، والمبرر الذي تلقفه عرب فلسطين لتأكيد محافظتهم على حقوقهم، وإعلان احتجاجهم على جهود بريطانيا لإقامة وطن قومي يهودي في فلسطين.

وخلال الشهر التالي للانتفاضة فكرت السلطة المتدبة في تطبيق المبادئ التي وردت في الكتاب الأبيض لعام 1928 بشأن الحائط، وأبلغت ذلك إلى رئاسة الحاخامين في اليوم الأول من أكتوبر 1929، غير أن هذه التعليمات لم ترض اليهود لأنهم كانوا يحاولون الحصول على مزيد من الحقوق عند الحائط، ولم ترض العرب الذين كانت بعض هيئاتهم مثل جمعية حراسة الأماكن المقدسة ترفض قبول المبادئ

المقررة في الكتاب والتي تقول بأن للطائفة اليهودية حق التوجه إلى الحائط في جميع الأوقات لإقامة الشعائر.

ونتيجة للضغط اليهودية أصدرت الحكومة بياناً جديداً في أكتوبر 1929 يتضمن تراجعاً عما جاء في كتابها الأبيض، لكن تهديد العرب بالإضراب العام جعلت الحكومة تجمد الوضع على ما هو عليه حتى يعد تنظيم قوة الشرطة كي يتم حماية المستعمرات اليهودية المكشوفة.

وهكذا شغل موضوع الحائط فلسطين والحكومة المنتدبة عامي 28، 29 وبدلاً من أن تتدارس اللجنة التنفيذية العربية الوسائل الكفيلة بتدعيم الكفاح الوطني أو الطرق العلمية لمواجهة الموقف نراها تدرس في اجتماعها مساء يومي 12، 13 أكتوبر 29 إغلاق المساجد والكنائس احتجاجاً على التعليمات الجديدة بشأن الحائط وتأليف وفد لزيارة البراق الشريف ليقطع عهداً بالمحافظة عليه، كما أرسلت برقية إلى الزعماء العرب تستصرخهم فيها تأييدها لمقاومة العدوان اليهودي واستنكاره والاحتجاج على السياسة المعادية للمصالح العربية، لكن الاستغاثة لم تجد لها أي صدى.

ثالثاً: عين وزير المستعمرات البريطاني في 13 سبتمبر 1929 لجنة عرفت باسم لجنة شو للتحقيق في الأسباب المباشرة للانتفاضة ووضع التدابير لمنع تكرارها وكان من توصيات تلك اللجنة:

وتم بسرعة تعيين لجنة لتحديد الحقوق والادعاءات بشأن الحائط التي أشار إليها صك الانتداب. ونظراً لأن تلك الانتفاضة كانت نتيجة مباشرة لإثارة قضية تحديد الحقوق المتعلقة بالأماكن المقدسة، وتجنباً لحدوث انتفاضات أخرى اقترحت الحكومة البريطانية على مجلس عصبة الأمم تشكيل لجنة لهذا الغرض، حيث وافق

مجلس العصبة في 15 مايو 1930 على تشكيلها برئاسة وزير الشؤون الخارجية السابق في حكومة السويد رئيساً، وعضوية نائب رئيس محكمة العدل في جنيف، ورئيس محكمة التحكيم النمساوية الرومانية المختلطة وحاكم الساحل الشرقي لجزيرة سومطرة السابقة وعضو برلمان هولندا، وهي لجنة دولية محايدة وعلى أعلى مستوى قضائي وتحكيمي. ووصلت اللجنة إلى القدس في 19 يونيو 1930 حيث أقامت شهراً كاملاً في فلسطين، وكانت في كل يوم تعقد جلسة أو جلستين ما عدا يومي الجمعة والسبت باعتبارهما يومي عطلة لدى المسلمين واليهود.

وأثناء الجلسات التي عقدتها اللجنة وعددها 23 جلسة استمعت اللجنة إلى شهادة 52 شاهداً من بينهم 21 من اليهود و 30 من المسلمين، وشاهد واحد بريطاني، وقدم الطرفان إلى اللجنة 61 وثيقة منها خمس وثلاثون مقدمة من اليهود وست وعشرون وثيقة مقدمة من المسلمين.

وتقاطرت الوفود من أنحاء العالم الإسلامي إلى القدس للدفاع عن القضية وإعلان تمسك المسلمين بملكية الحائط، فقد سافر من مصر أحمد زكي ومحمد علي علوبة ومحمد الغنيمي التفتازاني، ومن العراق مزاحم الباجهجي، ومن لبنان صلاح الدين بينهم ومن إيران ميرزا مهدي، ومن أفغانستان السيد عبد الغفور، ومن أندونيسيا أبو بكر الأشعري وعبد القهار مذكر ومن الهند عبد الله بهائي والشيخ عبد العلي، ومن بولونيا مفتيها يعقوب شنكوفتش. إضافة إلى عدد من الشخصيات الفلسطينية البارزة عوني عبد الهادي، أمين التميمي، أمين عبد الهادي، جمال الحسيني، محمد عزت دروزة، راغب الدجاني والشيخ حسن أبو السعود، إضافة إلى شخصيات أخرى من مراکش والجزائر وطرابلس والمغرب وسوريا وشرقي الأردن.

وكان لهذا المظاهرة الإسلامية الكبرى دلالاتها ومغزاها العميق، فلم تكن المسألة تعني مجرد المحافظة على حائط البراق بقدر ما كانت تتعلق بفكرة الدفاع المشترك عن الآثار والتراث والذكريات الإسلامية، واستعداد المسلمين للتضامن دفاعاً عما يقع عليهم من ضروب الاعتداء.

لكن حجة المسلمين كانت هي الغالبة، إذ استطاع دفاعهم أن يثبت أن جميع المنطقة التي تحيط بالجدار وقف إسلامي بموجب وثائق وسجلات المحكمة الشرعية، وأن نصوص القرآن وتقاليد الإسلام صريحة بقُدسية المكان عندهم، وأن زيارة اليهود للحائط منحة محددة بموجب أوامر الدولة العثمانية، وبموجب أوامر الحكم المصري للشام، ولم تكن إلا زيارة مجردة، لا صوت فيها ولا إزعاج ولا أدوات جلوس أو ستائر.

وبعد أكثر من خمسة أشهر من بدء جلسات اللجنة الدولية في القدس، وبعد أن استمعت إلى ممثلي العرب واليهود، واطلعت على كل الوثائق التي تقدم بها الطرفان، وزارت كل الأماكن المقدسة في فلسطين عقدت اللجنة جلستها الختامية في باريس من 28 نوفمبر إلى 1 ديسمبر 1930 حيث انتهت اللجنة بالإجماع إلى قرارها الذي استهلته بالفقرة التالية، وهي التي تهمنا في هذا البحث:

"للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي، ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءاً لا يتجزأ من مساحة الحرم الشريف التي هي من أملاك الوقف، وللمسلمين أيضاً تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفاً حسب أحكام الشرع الإسلامي لجهات البر والخير".

إن أدوات العبادة وغيرها من الأدوات التي يحق لليهود وضعها بالقرب من الحائط لا يجوز في حال من الأحوال أن تعتبر أو أن يكون من شأنها إنشاء أي حق عيني لليهود في الحائط أو في الرصيف المجاور له.

وتضمن القرار عدداً من النقاط الأخرى أهمها منع جلب المقاعد والمساجد والحصص والكراسي والستائر والحواجز والخيام، وعدم السماح لليهود بنفخ البوق قرب الحائط وقد وضعت أحكام هذا الأمر موضع التنفيذ اعتباراً من 8 يونيو 1931، وأصدرت الحكومة البريطانية كتاباً أبيض عن الموضوع اعترف بملكية المسلمين للمكان وتصرفهم فيه، وقد حمل كل من الحكم الدولي والكتاب الأبيض اليهود على التزام حدودهم، ولم يلبث صوت اليهود أن خفت ظاهرياً بالنسبة لموضوع الحائط كما أصدر ملك بريطانيا على أساس ذلك المرسوم الملكي المعروف باسم مرسوم الحائط الغربي لسنة 1931 الذي نشر في حينه في الجريدة الرسمية لفلسطين.

ويمكن أن تتخذ قضية النزاع حول الحائط صورة من النزاع الأكبر على ملكية فلسطين. إذ أن اليهود يطالبون بهذه البلاد لتجديد مملكتهم القديمة فيها، وينون حقوقهم في مشروع الوطن القومي على هذه الحجة، وهذا الحائط الغربي للحرم القدسي الشريف هو في اعتقادهم جزء من هيكل سليمان الذي كان أقدس آثار تلك المملكة بالطبع. فإذا كانوا قد خسروا دعواهم باعتبار أن الملكيات القديمة لا تلغى ملكية جديدة مشروعة مكتسبة بالحق وبالطرق القانونية، ومر عليها مئات السنين، فلا شك في بطلان دعواهم لاستعادة امتلاك البلاد من الناحية القانونية.

وإذا كان هذا الحكم الدولي الصادر من لجنة محايدة شكلت على أعلى المستويات التحكيمية في العالم يكفي من الناحية القانونية كي يقال أن الحائط الغربي

للمسجد الأقصى هو حائط البراق وليس حائط المبكى وأنه ملك للمسلمين، فإنني لا اكتفى بهذا الحكم، بل أقدم عدداً من الشواهد والأدلة والقرائن على أن هذا الحائط هو حائط البراق وليس حائط المبكى.

أولاً: تذكر لجنة التحكيم الدولية في تقريرها أن الحجارة الضخمة الكبيرة الكائنة في أسفل الحائط وعلى الأخص المداميك الستة المنحوتة يرجع عهدها حسب رأي أغلب علماء الآثار إلى زمن الهيكل الثاني الذي أعيد بناؤه، وأنه يعلوها ثلاثة مداميك من الحجارة غير المنحوتة يرجح أنها من بقايا العصر الروماني. ويعني ما ذكرته اللجنة اعتماداً على علماء الآثار أنه ليس هناك في الحائط الغربي للحرم الشريف أي أثر من بقايا هيكل سليمان.

ثانياً: يؤكد مرجع أثري هام مؤلفه عالم أمريكي كبير كان مديراً لهيئة المدرسية الأمريكية للبحوث الشرقية في القدس. ورئيساً لعدة بعثات أثرية، وعضواً في عدة أكاديميات عالمية، أن ابنة هيرودس في اورشليم قد محت محواً تاماً كل أثر للمباني السابقة لها، لدرجة لم يستطيع معها الأثريون العثور على أية معالم مؤكدة من هيكل سليمان.

ويضيف هذا العام الأمريكي أنه من المؤكد أن هيكل سليمان لم يصمم ليكون مركزاً لحج حشود من الناس، وأنه لم يكن هناك ثمة داع في عهد سليمان لإقامة مبنى ضخم كما كان الحال في عهد هيرودس، وأن بنائي هيرودس قد نزلوا حتى الصخر الطبيعي ليكون لهم الأساس الذي يتحمل ثقلًا جباراً.

ولعل هذا يفسر لنا أنه رغم قيام سلطات الاحتلال منذ عام 1967 بالحفر في مناطق مختلفة أسفل مساحة الحرم ومساجدها واستمرار حفرياتهما حتى الآن، لم تجد أية إشارة واضحة إلى وجود أساسيات هيكل سليمان.

ثالثاً: إن اليهود لم يدعوا أمام اللجنة الدولية بملكية الحائط ولا بملكية الرصيف الكائن أمامه، لكن اللجنة هي التي رأت من واجبها التحقيق في مسألة الملكية من الناحية القانونية.

إن كل ما طالب به ممثلو اليهود أمام اللجنة هو الاعتراف بحقهم في الدعاء أمام الحائط، وحقهم في السلوك إليه وفقاً لطقوسهم وشعائرتهم الدينية دون مداخله أو ممانعة، وأن يكون من حق رئاستهم الدينية في فلسطين وضع أي أنظمة ضرورية للقيام بهذه التضمرات والصلوات.

رابعاً: بمراجعة وثيقتين أساسيتين معاصرتين عن الحركة الصهيونية لم أجد كلمة واحدة عن حائط المبكى، الأولى هي كتاب "الدولة اليهودية" لثودور هرتسل الذي يتحدث فيه بالتفصيل عن الدولة اليهودية المرتقبة، والثانية نص ما يتعلق بفلسطين والصهيونية في تقرير لجنة (كنج كرين) الأمريكية المؤرخ 28 أغسطس 1919م وهي اللجنة التي أرسلتها الحكومة الأمريكية للتعرف على حقائق الأمور في المشرق العربي قبل اتخاذ قرار بشأن مستقبل المنطقة، وقد استمعت اللجنة لمطالب المسلمين واليهود حيث تحدث اليهود بشكل مفصل عن برنامجهم الصهيوني فإذا كان الصهاينة لم يتحدثوا في أي من الوثيقتين عن حائط المبكى أو يطالبون بملكيته، فكيف نسمح لأنفسنا بترديد عبارة لم يذكرها في وثائقهم. ولو كان الأمر أساسياً بالنسبة لهم ما فاتهم الإشارة إلى هذا الحائط ضمن خططهم وبرامجهم.

خامساً: في محاولة مني لتقصي- الأمر، ومحاولة العثور على شواهد وأدلة تساعدنا على الوصول إلى الحقيقة، قمت بمناقشة أستاذين كبيرين من أساتذة اللغة العبرية وهما د. رشاد الشامي، د. إبراهيم البحراوي، حول استخدام عبارة "

حائط المبكى " في المراجع العبرية، فأكد أن اليهود لا يستخدمون في مراجعهم هذه العبارة وإنما يستخدمون عبارة " الحائط الغربي " هاكوتيل همعرافي باعتبارها أكثر دلالة من " حائط المبكى " لأنها تعني بالنسبة لهم أن جزءاً من الحائط هو بقايا هيكلهم.

واهتماماً منها ببحث الموضوع تم الرجوع إلى الموسوعة العبرية الموجودة بمكتبة كلية الآداب بجامعة عين شمس، حيث تبين أن الموسوعة تشير أيضاً إلى " الحائط الغربي " ولم تشر إلى عبارة " حائط المبكى "، وأضافت الموسوعة أنه بمرور السنين استخدم اليهود ذلك الجزء من السور " مكاناً للصلاة بحكم قربهِ للهيكل، وأصبح مقدساً في وعي الأمة كمكان للتوحد الديني، مع ذكر مجد إسرائيل من جهة وذكرى خراب الهيكل من ناحية أخرى ". وقد تولى الدكتور رشاد ترجمة الفقرات التي وردت في الموسوعة ووقع عليها.

واقترح الدكتور إبراهيم البحراوي أن نرجع إلى القاموس العربي العبري الذي أصدرته وزارة الدفاع الإسرائيلية عام 1997م (الطبعة الخامسة) فتبين أنه كتب أمام العبارة العبرية " كوكتيل هدماعوت " عبارة " حائط الدموع " باللغة العربية، ولم يستخدم القاموس عبارة " حائط المبكى ".

فإذا كانت اللجنة الدولية قد أصدرت حكماً بملكية المسلمين للحائط، وإذا كان معظم علماء الآثار قد أكدوا أنه ليس هناك في الحائط الغربي للحرم الشريف أية آثار أو حجارة من بقايا هيكل سليمان المزعوم، وإذا كان اليهود لم يدعوا أمام اللجنة الدولية بملكيتهم للحائط، وإذا كانت بعض الوثائق اليهودية أو الأمريكية الهامة لم تشر بكلمة واحدة إلى حائط المبكى، وإذا كان أساتذة العبريات يؤكدون أن

اليهود لا يستخدمون في مراجعهم المعاصرة عبارة "حائط المبكى" بل يسمونه "الحائط الغربي"، فمن أين يردد الإعلام العربي عبارة "حائط المبكى".

إن هذه العبارة لم أجد استخداماً لها إلا في عام 1929 قبيل انتفاضة البراق وخلاها بواسطة البيانات التي كانت تذيعها "لجنة الدفاع اليهودية عن المبكى" ثم توقف استخدام تلك العبارة بعد انتهاء انتفاضة البراق وصدر حكم اللجنة الدولية بملكية المسلمين للحائط، ولم أجد استخداماً لهذه الكلمة منذ انتفاضة البراق حتى الهزيمة العربية عام 1967 حيث شاع منذ ذلك الحين استخدام هذه العبارة حتى الآن فما مصدر هذا الاستخدام؟

يعتقد أن مخططي الإعلام الغربي والصهيوني قد نجحوا في إدخال مثل هذه العبارات إلى عقولنا وألستتنا، عن طريق ما ترسله وكالات الأنباء من أخبار وصور، كما أن استخدام هذه العبارات على لسان بعض الكتاب العرب الذين زاروا القدس والحائط منذ أواخر السبعينات، قد ساعد على إشاعة هذه العبارة بين الرأي العام العربي.

وإذا كان من حق اليهود أن يطلقوا على الحائط ما يشاءون من تسميات، وأن يذرفوا ما يشاءون من الدموع، أليس من حق العرب والمسلمين أن يطلقوا على الحائط عبارة حائط البراق، وهي التسمية التي يؤيدها التاريخ والتراث والقانون الدولي.

وإذا كان الصهاينة والإعلام الغربي الذي يسانداهم قد نجحوا في نقل مصطلحاتهم وتراثهم إلى عقل المواطن العربي، ألا يجعلنا ذلك نزداد تنبهاً ووعياً وإدراكاً لما يحيط بنا من تحديات.

إن القضية ليست مجرد شكليات أو ألفاظ عابرة، لكنها أعمق من ذلك بكثير.
إن اهتمام اليهود بهذا الحائط ليس سوى ذريعة لتدعيم حقوقهم ومزاعمهم، وغطاء
دينياً لاغتصاب القدس العربية، ومبرراً لاستشارة مشاعر اليهود وعواطفهم⁽¹⁾.

الفصل الخامس الفرق اليهودية

الفرق اليهودية

الفرق اليهودية القديمة

1- السامريون:

السامريون فرقة دينية يهودية تعد من أقدم الفرق الدينية في اليهودية حيث تعود بأصولها إلى انقسام مملكة سليمان عليه السلام إلى مملكتين شمالية وعاصمتها السامرة وجنوبية وعاصمتها أورشليم ويسمى السامريون أنفسهم "شومريم" بمعنى حراس الشريعة وأيضاً بنو إسرائيل معتبرين أنفسهم الإسرائيليين الحقيقيين وهم من نسل سبطي إفرائيم ومنسى ويسمون لذلك "بنو يوسف"⁽¹⁾.

وهذه الفرقة هي أول فرقة ضد اليهودية التي خالفت موسى عليه السلام وقد كان لها تورا تختلف عن التوراة التي بين أيدينا وقد تطرقت إلى شرح مفصل في كتابي التوراة تحريف وتزوير واستطيع القول بكل هدوء عن نقاط الخلاف بين التورتين: أ- لا يقبل جماعة السامريين إلا الأسفار الستة الأولى سفر التكوين، سفر الخروج، سفر اللاويين، سفر العدد، سفر التثنية، سفر يشوع.

ب- هناك خلاف في الحوادث في التورتين وفي الأسماء والأعداد ولن أتطرق إلى هذا البحث فهذا ليس مجاله.

(1) تاريخ الديانة اليهودية، د. محمد خليفه حسن أحمد.

ج- يدل هذا الكلام على أن السامرية ليست الديانة التي آمن بها بنو إسرائيل الأسباط وأحب أن أذكر إلى أن النصوص الآثارية لم يرد فيها كلمة دولة إسرائيل وإنما ذكرت دولة بيت عمري وحاول كتبه اليهود أن ينسبوه إلى إسرائيل لكن التاريخ لم يقل هذا إطلاقاً⁽¹⁾.

ويمكن أن نلخص عقيدة السامريون في النقاط التالية:

- أ- الإيمان بإله واحد وبأن هذا الإله روحاني بحت.
 - ب- الإيمان بأن موسى رسول الله وأنه خاتم رسله.
 - ج- الإيمان بتوراة موسى وتقديسها وبأنها كلام الله .
 - د- الإيمان بأن جبل جرزيم المجاور لنابلس هو المكان المقدس الحقيقي وهو القبلة الحقيقية الوحيدة لبني إسرائيل.
- وقد ترتب على أركان الإيمان هذه أنهم لا يؤمنون كما نقول بنبوة الأنبياء الذين جاءت أسفارهم بعد توراة موسى في العهد القديم ويعتبرون كل هذه النصوص من صنع البشر وأنها من عمل قوم ضالين مضللين ولا يستثنون من ذلك إلا يوشع بن نون الذي يأتي سفره بعد توراة موسى مباشرة لأن التوراة نفسها تشير إلى أن يوشع كان صاحب موسى وخادمه وأن موسى عهد إليه بالخلافة من بعده وأنه هو الذي عبر الأردن بأول موجه من بني إسرائيل تدخل فلسطين كالمشاة والتلمود والمدراش ويعتبرونها من الأعماق البعيدة في الكفر.

(1) الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، عبد المجيد هو.

موقف اليهود من فرقة السامريون:

وخلاصة القول أن كثيراً من اليهود ينفون عن السامريين الانتساب إلى إسرائيل أو الإيمان بآله إسرائيل وقد وصل ذلك إلى حد أن أحبار اليهود كانوا اعتماداً على النص يسمونهم "جيران السباع".

وأما السامريون أنفسهم فإنهم ينتسبون إلى هارون أخى موسى ويتخبون كاهناً أعظم يسمى "الكاهن اللاوي" أي المنحدر من سبط لاوى أو ليفي الذي انحدر منه موسى وهارون وكثيراً ما يكتفون في تسميته بلقب (الحبر الكبير).

ونظراً للعزلة التي عاشوا فيها فقد انتشر فيهم الجهل بحيث قل عدد من يعرفون القراءة والكتابة بينهم وأكثرهم الآن لا يحفظون صلواتهم بعبريتهم دون فهم لأنهم يتخاطبون في الأغلب باللغة العربية.

وكان آخر كهنتهم الذين يدعون الانتساب إلى هارون يعيش في أوائل القرن السابع عشر الميلادي وبعد وفاته عام 1623 أصبح كهنتهم حتى الآن ينتسبون إلى فرع من اللاويين اسمهم بنو "عزيئيل بن لهات" وهم يعظمون كاهنهم تعظيماً كبيراً.

والسامريون كاليهود الربانيين يؤمنون بيوم القيامة ويسمون البعث أو يوم الموقف العظيم كما يؤمنون بمجئ المسيح المخلص⁽¹⁾.

2- الحسيديون:

فرقة يهودية لا يعلم شيء عن أصلها ولكنها ما رست نشاطها في القرن الثاني قبل الميلاد وعلى وجه الخصوص خلال فترة اضطهادات أنتيوخوس إبيغانس حيث

(1) الفكر الديني اليهودي، د. حسن ظاظا.

فضل أعضاؤها الشهادة على تدنيس السبت وهم يمثلون الخلفية بالنسبة لثورة الحسمونيين ورغم الاشتراك في التسمية فهم فرقة قديمة بخلاف فرقة الحسيديم اليهودية الحديثة ويفرق بينهما من خلال استخدام الصيغة اليونانية Hasideans بدلاً من الصيغة العبرية التي تعني الأتقياء وقد عرف عن الحسيديين التزامهم الشديد بالوصايا وصلاتهم الدائمة وتمسكهم المتشدد بطقوس السبت أما عن صلاتهم بالفرق اليهودية الأخرى فهم من الناحية السياسية كان لهم تأثير في التمرد الحسموني ضد اليونان وتحالفوا مع المكابيين ودعواهم إلى أن تبنت لهم الأهداف السياسية العلمانية للمكابيين فتوقفوا عن دعمهم ويعتبرهم بعض العلماء الفرقة الممهدة لفرقة الفريسيين ومن مواقفهم الفكرية مقاومة محاولة إنيوخوس فرص الهيلينيسية على اليهود واهتمامهم بتأمين الحرية الدينية وعدم حماسهم للقوميين اليهودي ورغم تأثيرهم في الحشونيين فإنهم لم يتعاونوا معهم في قتالهم من أجل الاستقلال السياسي وقد انتهت هذه الفرق بعد صراع المكابيين ومع ذلك فقد استمرت أفكارهم حية بتبني الفرق اليهودية لها مثل الفريسيين كما أنهم اعتبروا سلفاً للأسينيين الذين عرف عنهم تشدد في الالتزام بالشرعة ويرى فايفر أن معنى الفريس بشير إلى المنفصل أو المعتزل أو غير التقليدي ويرى بعض العلماء أن كلمتي حسيد و أسيني مشتقتان من كلمة تعني التقا فهناك تقارب في المسمى والمضمون بين الفرقتين^(١).

وقد أكد الباحث محمد فوزي في كتابه "عالم الأديان" فقال الحسيديم حرمت القرايين والأضاحي وقد تميزت بكثرة مناسبات الغسل والطهارة في شعائرها

(١) تاريخ الديانة اليهودية، د. محمد خليفة حسن أحمد.

وأُنكرت التفرقة والعنصرية وتبنت مبدأ المساواة بين جميع الناس وعملت على إلغاء الحروب وطالبت بالعيش بسلام بعد أن ذقت ويلات الحروب في ثورة المكابيين وعدم إيذاء إحترامات الناس على اختلاف مللهم وعقائدهم وحرمت طرق الكسب غير المشروع وحرمت الرق والعبودية والملكية الفردية وهذه المبادئ تختلف تمام الاختلاف التي صاغتها عزرا⁽¹⁾.

3- الفريسيون :

وهم طائفة علماء الشريعة من الربانيين قديماً وكانت لهم الكلمة العليا في توجيه المجتمع اليهودي على عهد المسيح كما كانوا من أشد خصوم المسيح خطراً عليه لتبحرهم في العلم وزعامتهم بين الناس ومنزلتهم عند الولاة الرومان التي اكتسبوها من تعاونهم مع الظلم والطغيان والاستعمار ربما لتحقيق مخطط دائم مرسوم لتدعيم الكيان اليهودي مهما كانت وسائل ذلك منافية للدين والأخلاق. وبعض الذين ترجموا الإنجيل أو الذين يكتبون عن علاقة المسيحية باليهودية يسمون هذه الجماعة "الفريسيين" واسمهم بالعبرية "فروشيم" يعني "المفروزين" أي الذين امتازوا عن الجمهور وعزلوا عنه وأصبحوا لعلمهم وورعهم واتصالهم بأسرار الشريعة من الصفوة المختارة فالعامة من اليهود الربانيين كان يوصفون على السنة زعمائهم الروحيين "عام ها آرص" أي عوام الأرض وهي صفة ذم تتضمن الجمل والبهيمة والحاجة المستمرة إلى رقابة المتشددين والمتزمتين من الرجال وهم الفريزيون⁽²⁾.

(1) الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، عبد المجيد همو.

(2) الفكر الديني اليهودي، د. حسن ظاظا، ص 2210.

وقد عرف عن الفريسيين مخالفتهم للصدوقيين وهما معاً أهم فرقتين يهوديتين في ذلك الوقت وتعود الخلافات بينهم إلى اختلافات اجتماعية أساسية فقد اعترف الفريسيين بمبدأ التطور في الأحكام التشريعية بينما رفض الصدوقيون التكيف مع البيئة المتغيرة ولذلك ففي الوقت الذي اتسم فيه الفريسيون بالمرونة في تفسيراتهم التزم الصدوقيون بالحرفية في تفسير النص المكتوب⁽¹⁾.

وتمثل هذه الفرقة القاعدة الصلبة اليهودية وعليها يعتمد جمهور اليهود وهم متعصبون أشد حدود التعصب يقاومون كل تطور ويتمسكون بحرفية النص ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ويعتقدون أن التوراة بأسفارهم الخمسة خلقت منذ الأزل وكانت مدونة على الألواح وقد نصت التوراة على هذا الكلام ويعتقد الفريسيون بالبعث وقيام الأموات ويؤمنون بالملائكة والعالم الآخر⁽²⁾.

4- الصدوقيون:

يمثل الصدوقيون طبقة عليا تتكون من أمراء وأوسليم والانتماء إلى فرقته ظل محصوراً في الطبقة العليا من الكهنة وفي الدوائر العسكرية والأسر اليهودية الأرستقراطية ويعود بعض العلماء بأصل الصدوقيين إلى الكاهن الأعلى صدوق الكاهن الأعلى الذي كان صديقاً لسليمان والذي ورثت ذريته هذا المنصب حتى 162 ق.م وقد كان للصدوقيين تأثير كبير في المجالين السياسي والاقتصادي أما الدين بالنسبة لهم فقد ارتبط بالهيكل وطقوسه بدون قاعدة دينية، ومع اعترافهم بسلسلة العهد القديم وبخاصة التشريعات فإن توجههم اللاهوتي كان سلباً فقد

(1) تاريخ الديانة اليهودية، د. محمد خليفة حسن أحمد، ص 225.

(2) الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، عبد المجيد هو، ص 54(55).

رفضوا الاعتقاد في الأرواح والملائكة والبعث كما رفضوا التراث الشفوي أو ما يسمى بالشرعية الشفوية - أي التلمود - غير المكتوبة وقد اهتموا بالتفسير الحرفي للعهد القديم ورفضوا كل التجديدات والتشريعات الجديدة التي طورها الفريسيون واعتبروها من البدع وقد ارتبط الصدوقيون بملوك الحشونيين ورحبوا بالفكر الهيلينستي رغم تشددهم وحققوا نفوذاً سياسياً واقتصادياً عظيماً رغم أنهم أقلية وكانت لهم السطوة السياسية لفترة من الزمن واهتموا كثيراً بعلاقة النسب والدم والمكانة الاجتماعية والاقتصادية بينما اهتم الفريسيون بالتقوى والتعلم.

هذا وقد اختلف الصدوقيون عن الفريسيين في عدة أمور منها طبيعة النظرة الدينية وأسلوب الحياة حيث نادى الصدوقيون بحق الأفراد والجماعات في تحقيق السعادة والرفاهية في الحياة الدنيا بدون انتظار للثواب في عالم آخر وذلك استناداً إلى رفضهم لعالم ما بعد الموت ورفضهم للبعث وخلود الروح⁽¹⁾.

وقد امتازت هذه الطائفة بعدة أمور:

- أ- أنها تؤمن بقيامة الأموات من القبور.
- ب- ولا تؤمن بالحياة الأبدية للبشر بأفرادهم وأشخاصهم كما كانوا في الدنيا.
- ج- وترفض بالتالي الثواب والعقاب في الآخرة.
- د- تنكر وجود الملائكة والشياطين.
- هـ- تنكر القضاء والقدر وما كتب للإنسان أو عليه في اللوح المحفوظ.
- و- تقول تبعاً لذلك بأن الإنسان خالق أفعاله نفسه حر التصرف وبذلك فهو مسؤول.

(1) تاريخ الديانة اليهودية، د. محمد خليفة حسن أحمد، ص 224(225).

ز- تؤمن بقدسية العهد القديم ولا تؤمن بالتلمود ونحوه⁽¹⁾.

وقد انتهى وجود الصدوقيون مع خراب الهيكل عام 70 م على يد الرومان وبزوال الهيكل زالت سلطات الصدوقيون الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وانتهى وجودهم في الوقت الذي استمر فيه الفريسيون وتطورت عقيدتهم إلى ما أصبح معروفاً باليهودية التقليدية أو الحاخامية⁽²⁾.

5- القراؤون:

ويعتبر القراؤون من أهم الفرق اليهودية المعارضة لليهودية الحاخامية وهم يلقبون بعده ألقاب منها "أبناء المقرأ" و"أهل المقرأ" إشارة إلى تمسك القرائين بالعهد القديم كمصدر وحيد للتشريع وعدم الاعتراف بالتشريعات الشفوية⁽³⁾.

فهذه الفرقة إذن تأتي بعد فرقة السامرة من حيث حدود النص المقدس المعمول به فالسامرة كما قلنا يؤمنون بأسفار موسى الخمسة التي تسمى التوراة فقط ويضيفون إليها سفر يوشع بن نون مع التسامح والتساهل دون أن يؤمنون ببقية العهد القديم من أسفار الأنبياء والكتب القراؤون أوسع دائرة منهم، فهم يؤمنون بهذا كله ولكنهم يرفضون ما سواه، أما الربانيون فإن المشناه والتلمود لهما عندهم نفس القدسية التي للمقرأ ومن هنا نشأت المشاكل العظيمة بينهم وبين القرائين.

(1) الفكر الديني اليهودي، د. حسن ظاظا، ص 216.

(2) تاريخ الديانة اليهودية، د. محمد خليفة حسن أحمد، ص 225.

(3) تاريخ الديانة اليهودية، د. محمد خليفة حسن أحمد، ص 227.

ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي تصطدم فيها اليهودية الجماهيرية بجملة تشكيك في تراثها الديني فالمسيحية التي حمل لواءها القديس بولس قد أعلنت بصرحة وحسم نهيها عن الرجوع إلى المرويات الشفوية الفريزية ونددت بها، ووصفتها بالسرقة والتزييف والتدجيل بل أوقعت في نفوس المؤمنين أن الشريعة المكتوبة في العهد القديم قد أصبحت منسوخة بالعهد الجديد. وفي ذاك الوقت لم يكن نص المشناه فضلاً عن التلمود قد انتهى بعد إلى الصورة المعروفة ولما كان لكل فعل رد فعل فإن الأوساط اليهودية العلمية المحافظة قد انسأقت في تيار هذا التحدي فاشتد اتهامها بالمشناه والتلمود ونظمت صفوفها على أن يكون ذلك هو الطابع المميز لها إلى الأبد وهو الملجأ الفكري والروحي الذي تتحصن من ورائه ضد جميع الهجمات.

وفي ظل الإسلام والتلمود ما يزال حديث العهد بالجمع والتثبيت والتسجيل قام منشقون من بين اليهود أنفسهم يهاجمونه وينكرونه وفي مقدمتهم سيرنوس ثم أبو عيسى الأصفهاني وتلميذه يودجان من بعده ولكن حركاتهم كانت محدودة في الزمان والمكان والقوة مما جعلها تنقلب إلى عنصر منشط للعصبية التلمودية، بحيث ازداد الربانيون على أثر ذلك وعياً وإمعاناً في العناية بهذا التراث والحفاظ عليه⁽¹⁾.

وتتكون عقيدة القرائيين من عشرة أركان رئيسية:

- 1- أن الله هو خالق العالم الطبيعي والروحي في الزمان ومن العدم.
- 2- أن الله خالق غير مخلوق.

(1) الفكر الديني اليهودي، د. حسن ظاظا، ص 248.

- 3- أن الله واحد بلا كيف وليس كمثله شيء منفرد ولا جسم له ومطلق في وحدانيته.
- 4- أن الله أرسل موسى ﷺ (الاعتقاد في النبوة والأنبياء).
- 5- أن الله أرسل التوراة من خلال موسى ﷺ والتي تشتمل على الحقيقة الكاملة ولا تكملها أو تنسخها أي شريعة أخرى وبخاصة الشريعة الشفوية التي يعترف بها لخاصاميون.
- 6- أن على كل مؤمن أن يعرف التوراة في لغتها الأصلية وفي معناها الصحيح.
- 7- أن الله أوحى بنفسه إلى الأنبياء الآخرين وإن كانوا أقل من موسى ﷺ في النبوة.
- 8- أن الله سيبعث الموتى في يوم الحساب.
- 9- أن الله يجازي كل إنسان حسب طريقة حياته وأفعاله (ويشمل هذا الفردية وحرية الإرادة وخلود الروح وعدالة الثواب والعقاب في الآخرة).
- 10- أن الله لا يحتقر المنفيين بل هو يطهرهم من خلال شقائهم ومعاناتهم في المنفى وهم يتطلعون إلى الخلاص الإلهي من خلال المسيح المخلص من بيت داود (ويرفض بعض القرائين عقيدة المسيح المخلص)⁽¹⁾.

أما عن التأثير الثقافي الإسلامي في فرقة القرائين فيظهر في عدة أمور:

- 1- الأخذ بمصادر التشريع في الإسلام.
- 2- قرب التقويم القرائي من الإسلامي وبخاصة في الاعتماد على الحساب القمري.

(1) تاريخ الديانة اليهودية، د. محمد خليفة حسن أحمد، ص 231، 232.

- 3- الالتزام بالمعنى الحرفي ورفض التأويل في تفسير النص.
- 4- رفض التشبيه في الألوهية ووصف الإله بصفات إنسانيه.
- 5- التأثر بالمعتزلة في الاعتماد على العقل.
- 6- التأثر بالموقف الإسلامي من المسيح عليه السلام وقبول كونه مصلحاً لشرعة موسى عليه السلام.
- 7- الاعتراف بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم وإن أقر معظمهم بأنه نبي مرسل إلى العرب وليس إلى بني إسرائيل.
- 8- الامتناع عن شرب الخمر.
- 9- العداء للصهيونية الحديثة لاستيلاء الحاخامين على المقدسات⁽¹⁾.

الفرق الحديثة

1- الإصلاحيون (الريفورميست) أو المجددون:

وهذه الفرقة اليهودية لا يمكن الحديث عنها منفصلة عن شعبة المتصوفين "الحسيديم" وهم الذين وصلوا باليهودية المظلمة ربيية الجتو إلى أقصى درجات الدروشة والتعلق بالبدع والخرافات وادعاء فعل الخوارق والمعجزات وعلم الغيب ونحو ذلك من مظاهر الدجل التي تلازم انحطاط الفكر الديني في اليهودية وقد انتعشت هذه الحسيدية في منتصف القرن الثامن عشر على الطرق الصوفية السرية الباطنية "القبالة" وفي مقدمتهم إسرائيل بعل شيم طوب زلمان ملودي المعروف باسم زلمان شنيورزون وكلاهما من منطقة الحدود الروسية البولونية وقد علا شأن

(1) تاريخ الديانة اليهودية، د. محمد خليفة حسن أحمد. ص 232(233).

أولهما في النصف الأول من القرن الثامن عشر وحوالي سنة 1470 بالتحديد والثاني من أواخر نفس هذا القرن وأوائل الذي يليه فقد مات سنة 1812.

وفي نفس الوقت الذي كادت هذه الحسيدية تسيطر على أرواح اليهود في أوروبا الشرقية جزء من أوروبا الغربية وعلى أجسامهم وأموالهم أيضاً كان رقي العلم والثقافة في أوروبا وظهور القوميات المستقلة وتألق نظريات الحرية الفردية وحقوق الإنسان قد أتاح لبعض الشباب اليهودي أن يأخذ بنصيبه من العلوم الحديثة وأن يدخل مع الإنسانية المتقدمة من أبواب المعرفة نحو وعي أكثر رصانة وأصح تكويناً من هذه الانعزالية اليهودية وكانت طلائع ذلك في حركة الوعي الفكري اليهودي التي عاصرت الحسيدية وكانت تسمى "المسكالاه" أي التفهم واليقظة والنهضة.

وانبثقت حركة الإصلاحيين من داخل المسكالاه على يد موسى مندلسون بن مناحم الذي ولد في ديسوي بألمانيا في 6 سبتمبر سنة 1729 ومات في برلين في 4 يناير سنة 1786 وكانت له آراء جديدة على اليهود من الناحية السياسية والإنسانية العامة هي التي تعتبر دستوراً لهذه الفرقة وخلاصتها:

- 1- أن اليهود يجب أن يندمجوا في إنسانية العصر وأن يخرجوا من قوقعة العنصرية التي حبسوا أنفسهم فيها طيلة قرون طويلة .
- 2- أن اليهودية دين فقط، وليست جنسية وأنه من الخطأ أن أقول "يهودي إنجليزي" أو "يهودي فرنسي-..." والأصح أن يقال إنجليزي متدين باليهودية وروسي متدين بها وهكذا .

3- أن المساواة في الحقوق المدينة بين اليهود وغيرهم ممكنة إذا اعتبر اليهود أنفسهم مواطنين في البلاد التي يعيشون فيها .

4- لا يمكن ذلك إلا إذا تحدث اليهود بلغات أوطانهم وتعلموا في مدارسها وحاربوا في جيوشها ولبسوا من الملابس ما يشبه بقية المواطنين وخرجوا من الجتو وأقاموا مع غيرهم من الناس .

وإذا كان موسى مندلسون لم يغير بنفسه شيئاً من الشرائع و الطقوس التقليدية القديمة فإن أتباعه ومريديه من الإصلاحيين قد غيروا الشيء الكثير لكي يعطوا للدين اليهودي صوره إنسانية ووطنية دون أن يضطروا إلى القيام بالتعمية على شكل شريعتهم كما فعل المارانوس والدونمة مثلاً وكان من أهم التغيرات التي أحدثوها ما يلي:

1- إنقاص الأدعية والصلوات إلى الحد الأدنى مع إباحة تلاوتها بلغات البلاد القومية حيث يعيش هؤلاء اليهود.

2- رتلوا الترانيم الشعرية العبرية والآرامية القديمة.

3- إدخال الآلات الموسيقية وفرق الإنشاد الجماعي "الكورس" من الجنسية في المعبد والترنم بألحان حديثه مؤلفة ومكتوبة (على النوتة) خصيصاً لطقوسهم وانتهى ذلك التطوير بإدخال الأرغن في المعبد اليهودي تقليداً للكنائس والكاتدرائيات.

4- أنكروا في اعتقادهم أن يكون "الخلاص" معناه إقامة دولة في فلسطين.

5- خالفوا جميع اليهود إذ قالوا إن الله فعل خيراً ببني (إسرائيل إذ فرقهم في الأرض فهم بذلك يستطيعون أن يعيشوا في كل الآفاق وأن يقيموا فيها الدليل على الدعوى الموسوية).

- 6- ولأنهم صرفوا النظر في فكرة إعادة بناء الهيكل في أورشليم بالذات فإن كل معبد من معابدهم في أي مكان يطلق عليه اسم "الهيكل".
- 7- أباحوا اختلاط الجنسيتين في المصلين في هذا "الهيكل".

2- الطائفة الأرثوذكسية:

والتسمية تعني الطريقة السلمية أو المستقيمة وهو لقب اتخذته الكنيسة الشرقية عندما انسلخت عن الكنيسة الكاثوليكية بفعل خلافات شكلية، إلا أنها أرادت أن تنفصل قيادياً عنها وتكون طائفة مستقلة.

وقد حذا اليهود حذو المسيحيين في ذلك، إلا أن ثورتهم لم تكن ضد اليهود التقليديين، بل على العكس فإن الأرثوذكسي- حافظاً على عقائد الفريسيين في الاعتقاد بأن التوراة والتلمود هما من الله تعالى. وإن الثاني ينقسم إلى قسمين الأول وهو (المشناه) قد نزل من الله تعالى بصورة مباشرة بينما يكون شرحه (الجماراه) الهام من الله ووحى منه إلى الحاخامات الذين شرحوه وتشكل كل هذه الكتب ما يسمى (الحلقاه).

ابتدأت التسمية هذه على اليهود الرافضين لإصلاح مندلسن وقاد هذه الطائفة في البدء حاخام يهودي ألماني يدعى هرش وقد نجح في قيادة نسبة كبيرة من الأتباع معظمهم الآن في أمريكا وإسرائيل أما رجال الدين فهم الدارسون في (اليتشيويت) وهي مدارس يهودية تقليدية. وهم المسموح لهم بإقامة الطقوس الدينية في أمور الدين، وتتلخص آراؤهم بما يأتي:

الدين اليهودي نظام حياة وليس نظام عقيدة، وذلك يجعل الخلاص بالعمل وليس بالإيمان.

ب- الإيمان بالتلمود كتوراة شفوية سلمها الله إلى موسى في طور سيناء. أما التوراة فهي الكتب الخمسة الأولى من العهد القديم، وعلى اليهودي أن يعمل على تطبيق هذين الكتابين الإلهيين مضافاً إليه الشروحات (الجماراه)، كما سبق أن ذكرنا.

ج - تجبر أعضائها على لبس القبعة والshal في الصلاة.

إذن فإن هذه الطائفة الجديدة تعتبر متزمتة في تطبيق قوانين التوراة والتلمود ويتميز أتباعها بالتشدد.

3- فرقة الحسيديم:

ولعل أتباعها يحيون فرقة الحسيدين القديمة والتي تدعو إلى الإحسان وعمل الخير، وهم أشبه بالفرق المتصوفة ينتشر أصحابها في أمريكا وفلسطين المحتلة وكل بلدان العالم، وترتبط هذه الفرقة بالطائفة الأرثوذكسية بتشددها التقليدي في تطبيق الشريعة اليهودية إلا أنهم يختلفون عنهم في الممارسات الدينية والسلوكية والتقاليد، ويتكلم أتباعها لهجة خليطه من اللغة العبرية والألمانية القديمة يطلق عليها (البديش).

4- المتناجدون:

أو (المتناجديم) في اللغة العبرية وتعني المعارضين، ولا يعرف عنهم غير معارضتهم للحسيدين المعاصرين، إلا أنها فرقة تدعو لتطبيق التشريعات الموسوية وهي متشددة في ذلك، وتنسب إلى مجموعة الأرثوذكس، حيث يؤمنون بكل الكتب اليهودية المقدسة والتي تحوي تشريعات وشروحات تحتويها التوراة والتلمود بقسميه المشناه والجماراه.

5- المحافظون:

والمحافظون يقفون في معتقداتهم بين تشدد الأرثوذكس من جانب وبين انفتاح الإصلاحيين، حتى أن بعض اليهود يرى أنهم لم يكونوا ييغون أن يؤسسوا طائفة جديدة بقدر كانوا يريدون الوقوف في وجه النزاعات التقليدية والمعاصرة المتمثلة في الأرثوذكس والإصلاحيين.

ومن أهدافهم:

- 1- إقامة شعائر السبت.
- 2- تقوية معرفة اليهودية باللغة العبرية.
- 3- تقوية التربية اليهودية.
- 4- مساعدتهم لليهود للهجرة إلى الأرض المحتلة.
- 5- إلغاء ترديد التراتيل (الغناء في الصلوات).
- 6- لبس القبعة والshal أثناء الصلاة.
- 7- السماح للجنسين بالجلوس إلى جانب بعضهم أثناء تأدية الشعائر الدينية (تشبهاً بالنصارى).
- 8- جواز الصلاة باللغات المحلية القومية والوطنية وكذلك في الأدعية.
- 9- المرأة تساوي الرجل في الأعمال التعبدية.
- 10- الاجتهاد في دراسة تاريخ بني إسرائيل وفي التوراة

الفصل السادس الأعياد اليهودية

الأعياد اليهودية

تمهيد

حرف اليهود الديانة السماوية، واتخذوا من الديانة الكنعانية والفينيقية الأساس التي قامت عليها الديانة اليهودية المحرفة، وقد أثبتت الحقائق التاريخية أن ما ورد في التوراة من شرائع وتقاليد وطقوس دينية مقتبس كلياً من الشرائع الكنعانية والبابلية وأن التحقيقات الأركيولوجية لا تعترف بوجود أي فاصل ثقافي بين الكنعانية واليهودية، وقد حافظ اليهود على إدخال الشرائع الكنعانية في كتبهم المقدسة وثبتوا في توراتهم الطقوس والشعائر، وأخذوا يمارسونها فعلاً قبل السبي.

فالمنظومات الشعرية، ومن ضمنها المزامير والأمثال الواردة في كتاب العهد القديم كلها مقتبسة من الكنعانيين وكانت تتلى في عهد الملوك باللغة الكنعانية، ثم ترجمت إلى العبرية، وأدخلت في التوراة عند تدوينها، وقد ذهب البعض إلى الجزم في القول: أن من المسلم به الآن أن معظم الأعياد اليهودية كانت بالأصل من الطقوس الدينية في كنعان.

ولليهود أعياد كثيرة منها ما يتصل بالأحداث التاريخية ومنها ما يتصل بالعقائد الدينية وقد وردت أكثر هذه الأعياد في الإصحاح الثالث والعشرين من سفر اللاويين وأهمها:

السبت: يوم السبت من الأيام المقدسة عند اليهود التي تجب مراعاة حرمتها، ولا يجوز مخالفتها، يسبتوا عن الكلام في ليلة يوقدوا النار في منازلهم، وأن يقضوا

النهار عاطلين عن العمل كليا عاكفين على الصلاة في الكنيس، ولا يجوز لهم الصوم أو الحزن فيه، بل عليهم أن يستقبلوا الأهل والأصدقاء ويحتسوا كؤوس الخمر مع ضيوفهم.

والسبت (شبات) بمعنى راحة، لأنه يوم الرب فيه استراح وباركها، وكانت تسمية هذا اليوم والعادة المتبعة وجدت عند البابليين فقد كانوا يطلقون على أيام الصوم أيام الدعاء (شبتو).

وورد في التوراة عن يوم السبت النص التالي:
عيد (التبريك) لأن فيه استتمام نزول التوراة وسلمت إلى أئمتهم لتوضع في الهيكل.

أعياد اليهود

1 - الحج إلى بيت المقدس

يتبين لنا مما سبق أن أعياد اليهود معظمها لا يرجع إلى عهد موسى، بل هو أحدث من ذلك بكثير، وربما كانت أعياد الحج ترجع إلى أشياء تماثلها في الشريعة الموسوية القديمة، وأعياد الحج عندهم الفصح والحصاد والمظال. فكان يتحتم على كل يهودي ذكر رشيد أن يزور بيت المقدس ويحج إليه مرتين في العام، وأن يبقى به أسبوعاً كل مرة، ويبدأ الأسبوع يوم الجمعة وتقام خلاله احتفالات يحضرها الوافدون، ويقودها الكهنة واللاويون وقد قصد بهذه الزيارة أن تتيح فرصة لليهود فلسطين أن يتعارفوا ويلتقوا. وكان المسلمون الأوائل يتجهون في صلاتهم إلى بيت المقدس عند المسلمين كما أن الرسول عرج منها إلى السماء بموجب آية الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾.

ولما أذن الله لرسوله التوجه إلى البيت الحرام (الكعبة) حيث نزلت الآية الكريمة ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ واحتج اليهود على تغيير القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة وقالوا للنبي: يا محمد ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها أنت تزعم أنك من ملة إبراهيم ودينه ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها تتبعك ونصدقك وإنما يريدون بذلك فتنته عن دينه.

وقبله السامرة جبل يقال عزيزيم بين بيت المقدس ونابلس: وقالوا أن الله تعالى أمر داود أن يبني بيت المقدس بجبل نابلس وهو الطور الذي كلم الله عليه موسى فتحول داود إلى المقدس وبنى البيت فيه وخالف الأمر فظلم، والسامرة توجهوا إلى تلك القبلة دون سائر اليهود.

2 - عيد صوماريا:

ويعرف عيد يوم الغفران وبالعبدية يوم كيور وهو أهم الأعياد اليهودية على الإطلاق كما أنه من أقدس أيام السنة ويطلقون عليه بسبت الأسبات وكان كبير الكهنة في الماضي يذهب إلى قدس الأقداس ويتفوه باسم الخالق يهوا.

ويبدأ في اليوم العاشر في شهر أكتوبر تشرين أول قبيل غروب الشمس يوم التاسع ويستمر إلى ما بعد غروب شمس يوم العاشر⁽¹⁾. ويعرف أيضاً (العاشر)⁽²⁾ ولا يفطر اليهودي إلا عند رؤيته لثلاثة كوكب معينة ولا يجوز أن يقع هذا اليوم خلال يوم الأحد أو الثلاثاء أو الجمعة⁽³⁾.

(1) د. الساموك، مقارنة الأديان، ص 154.

(2) د. الساموك، نفس المرجع، ص 154.

(3) د. الساموك، نفس المرجع، ص 154.

أما ما يغفر من الذنب فهو⁽¹⁾:

اضطهاد الجار

الفسق والفجور

الاجتماع لاقتراف الزنا الجماعي

شهادة الزور

أما ما لا يغفر من الذنب⁽²⁾

الزنا بالمحصنة وظلم الرجل لأخيه وجحوده لرؤية يهوه.

3 - عيد المظال:

عيد المظلة وبالعبرية حاج سو كوت ويبدأ في الخامس عشر - من شهر تشرين اليهودي "أكتوبر" ومدته سبعة أيام ومناسبته التاريخية هي أحياء ذكرى خيمة السوف التي آوت أبناء إسرائيل في العراء، بعد الهجرة فهي تذكروهم بأيام التيه، والتقليد عند اليهود في هذا العيد هو ان يقيموا في أكواخ مصنوعة من أغصان الشجر في الخلاء تدعى "سوكاة" ويصلون من أجل سقوط الأمطار بعد الصيف الجاف⁽³⁾.

بتسمية يهود العراق له (عيد العرازيل) وهي الخيام المصنوعة من سعف النخيل أو القصب تخليداً لإضلال الله لأجدادهم في أيام التيه عند خروجهم في سيناء⁽⁴⁾.

(1) د. الساموك، نفس المرجع، ص 154.

(2) د. الساموك، نفس المرجع، ص 154.

(3) غازي السعدي، الأعياد والمناسبات، ص 13

(4) د. الساموك، مقارنة الأديان، ص 153.

أما حالياً فيعلق الدكتور غازي السعدي بأنهم يكتفون حالياً بإقامة مظلة صغيرة ينصبونها في إحدى شرفات المنزل واليوم الأول من أيام العيد يعتبر يوماً مقدساً يحرم فيه العمل، أما اليوم الثامن فهو عيد شموني عسري إلى الثامن الختامي لأنه يجتم الأعياد الكثيرة الواقعة في شهر تشرّي وهو الشهر الأول من السنة اليهودية⁽¹⁾.

ويضيف الدكتور محمد العمري يطلق عليه عيد الجمع لأنه يأتي بعد جمع الأغلال من الحقول والعنب والزيتون في البساتين⁽²⁾.

4 - عيد رأس السنة:

ويعرف باسم "روش هاشاناه"⁽³⁾. ويحتفل بهذا العيد في الأول والثاني يوم من تشرين⁽⁴⁾. الأول.

وتكمن الأهمية لهذا العيد بأنه اكتسب دلالة دينية وقدسسية خاصة، فقد ذكر في المنشاه أن هذا العيد إلى هذا اليوم هو اليوم الذي بدأ الله فيه خلق العالم ولذلك فإنه أيضاً يوم الحساب السنوي الذي تمر فيه المخلوقات جميعها أمام الله كقطيع الأغنام⁽⁵⁾.

(1) غازي السعدي، الأعياد، ص 153.

(2) د. محمد العمري، مقارنة الأديان، ص 222.

(3) غازي السعدي، الأعياد، ص 11.

(4) د. محمد السعدي، مقارنة، ص 222.

(5) غازي السعدي، الأعياد، ص 11.

ويتميز بأنه أول أيام التكفير التي يبلغ عددها عشرة والتي تنتهي بأقدس يوم لدى اليهود على الإطلاق وهو يوم الغفران ومن الملاحظ أن اليهود يحيون بعضهم البعض بعبارة "فليكتب اسمك هذا العام في سجل الحياة السعيدة"⁽¹⁾.

وهو العيد الوحيد الذي يحتفل به في إسرائيل على التوالي بيومين وفي العادات المتبعة أكل الخبز التفاح المغموس بالعتسل الذي يؤكل مع تلاوة صلوات تعبر عن الأول في سنة حلوة قادمة ومن العادات التي قد تكون غريبة أن اليهودي في اليوم التالي عليه أن يتذوق فاكهة لم يسبق له أن يتذوقها طوال الموسم الماضي⁽²⁾.
وأن هذا اليوم هو اليوم الذي أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يذبح ولده - وعندهم أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام - ومن مظاهر الاحتفال أن اليهود ينفخون في قرن حمل أحياء لذكرى نزول التوراة ودعوة الناس إلى التوبة من الذنوب⁽³⁾.

5 - عيد الحنكة:

ويعرف هذا العيد (بعيد الأنوار) أو (الخانوكاه) ويستمر ثمانية أيام والعيد بحكم توقيته يمكن اليهود وبالذات الأطفال من الاحتفال بعيد يهودي في نفس الفترة التي يحتفل فيها المسيحيون بعيد الميلاد والمناسبة التاريخية لهذا العيد هي دخول يهودا المكابي أورشليم وإعادةه للشعائر اليهودية في الهيكل⁽⁴⁾.

وكان اليهود يوقرون في كل ليلة على أبوابهم سراجاً حتى تصبح ثمانية سروج في الليلة الثامنة، ويسمونه (الحنكة) إلى التنظيف لأنهم نظفوا الهيكل من أقدار أحد

(1) غازي السعدي، نفس المرجع، ص 12.

(2) غازي السعدي، نفس المرجع، ص 12.

(3) د. سعدون الساموك، مقارنة، ص 153.

(4) غازي السعدي، الأعياد، ص 13(14).

الجبارة الذين سيطروا على بيت المقدس وقتل الكثير من اليهود، يضاف إلى مسمياته عيد التبريك⁽¹⁾.

ويحتفل بالعيد في إسرائيل على أنه عيد ديني قومي فتوقد الشموع، في الميادين العامة وتنظم مواكب من حملة المشاعل، وأثناء الاحتفال يصعد آلاف الشبان إلى قلعة ما ساداه⁽²⁾.

ويذكر الدكتور محمد العمري أن فترة عيد الأنوار هي نفس الفترة التي يحتفل فيها المسيحيون بعيد الميلاد⁽³⁾.

6 - عيد الحصاد:

يحتفل به بعد خمسين يوماً من ثاني أيام عيد الفصح⁽⁴⁾. يوفي مناسكه أنه يجب أن يقام في أرض يهوذا التي يعني بها اليهود أرض فلسطين اليوم⁽⁵⁾.

7 - عيد الفصح:

وبالعبرية "بيساح" وهو عيد خبز الفطير وموسم الحج والعيد الذي يضحي فيه بحمل أو شاة أو جدي من الماعز ويسمى بعيد الفصح أي الفرج بعد الضيق وكلمة الفصح كلمة عبرية تعني العبور أو المرور أو التخطي⁽⁶⁾.

(1) د. سعدون، مقارنة، ص 155.

(2) غازي، الأعياد، ص 14.

(3) محمد العمري، مقارنة، ص 222.

(4) الزعبي، حقائق عن اليهودية، ص 21.

(5) العمري، مقارنة، ص 221.

(6) غازي السعدي، الأعياد، ص 14.

ويعرف أيضاً بيوم الخروج وهو أول الأعياد السنوية لليهود، ويذكر فيه اليهود تاريخ استبعاد المصريين مهم، ويجددون فيه النعمة عليهم وحتى لا ينسى اليهود فترة الاستبعاد أمرهم الرب بأكل الخبز فطيراً مثل أيام الخروج من مصر⁽¹⁾.

أما وقت هذا العيد فيقع في الرابع عشر من نيسان وعدته ثمانية أيام وهذا العيد يسمى (عيد الفطير، أما في التلمود يعرف بعيد (البكور)، ويعلل اليهود ذلك بأن يهوه كان يقضي على بكور المصريين، ويرش الدماء على بيوت اليهود⁽²⁾.

ويلق الدكتور محمد العمري - أن هذا العيد عيد قديم عرفه اليهود في البادية وأهمية هذا العيد أن الرب قادهم بنفسه وأخرجهم من غير العبودية⁽³⁾.

8 - عيد البوريم أو المساخر:

بالعبرية عيد البوريم من كلمة "بور" أو "نور" الفارسية، ومعناها مكرمة ويحتفل به في الرابع عشر من آذار وهو اليوم الذي أنقذت فيه أستير يهود فارس من المؤامرة التي دبرت لذبحهم ويحتفل اليهود بهذا العيد بأن يسرفوا في الشراب لذا سماه العرب عيد المسخرة أو عيد المساخر أما في إسرائيل فيطلق عليه حرفياً عيد حتى لا تميز شيئاً وفي مظاهر الاحتفال بالعيد في إسرائيل تلاوة قصة أستير في الإذاعة ويسمى العلمانيون في إسرائيل هذا العيد، بكرنفال بوريم "فيتنكرون ويتقمصون شخصيات أخرى⁽⁴⁾".

(1) العمري، مقارنة، ص 220.

(2) الساموك، مقارنة، ص 154.

(3) محمد العمري، مقارنة، ص 220.

(4) غازي السعدي، الأعياد، ص 14.

علماً أن هذا العيد يقوم على أسطورة تنسب إلى فترة وجود اليهود في المنفى في بابل وبلاد فارس⁽¹⁾.

9 - عيد السبت:

لا يجوز لديهم الاشتغال في هذا اليوم تشبهاً بالرب الذي استراح حسب اعتقادهم بعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام⁽²⁾.

وشبات في العبرانية تعني الراحة وكانوا يطلقون على أيام الصوم وأيام الدعاء (شبتو)⁽³⁾.

أن اليهود تأثروا في هذا اليوم بالبابليين الذين كانوا يطلقون على هذا الصيام (شبتو) ويقدمونه⁽⁴⁾. ولعيد السبت وأصول طلب الرب الالتزام بها وحض على الحفاظ على عيد السبت "... سبوتي تحفظونها..."

ولليهود عدد من الأعياد منها سبت الأرض ويوبيل الأرض ورؤوس الأشهر، وغالباً ما يذبح اليهود في أعيادهم البقر والأغنام والماعز والحمام، والغاية من ذلك أن تكون كفارة عن ذنوب الشعب، وقبل الذبح يقرأ الحاخام أخطاء الشعب، ومن ثم يذبح الذبيحة ويحرقها، لكي يشم رائحتها الرب (فيسر قلبه وخاطره بها، فيكفر عن أخطاء شعبه) ويذكر الدكتور الأرقم الزعبي أن يوم الكفارة يقع في 10 تشرين أول وفيه يكفر اليهود عن أخطاءهم بالذبايح⁽⁵⁾.

(1) العمري، مقارنة، ص 221.

(2) د. محمد العمري، مقارنة، ص 221.

(3) د. العمري، نفس المرجع، ص 221.

(4) نفس المرجع، ص 221.

(5) الزعبي، ص 20.

الفصل السابع صفات اليهود في القرآن

صفات اليهود في القرآن

1 - الكذب على الله :

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ ۖ بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٤٩﴾ النساء: ٤٩.

2 - الخيانة:

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنٍ إِن تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودَّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنٍ إِن تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُودَّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِ نَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ آل عمران: ٧٥.

3 - عدم الوفاء بالعهود:

قال تعالى: ﴿ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠٠﴾ البقرة: ١٠٠.

4 - البخل:

قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمَالِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ۝٥٣﴾ النساء: ٥٣.

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ التوبة: ٣٤.

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ

مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٧﴾ النساء: ٣٧.

5 - إساءة الأدب مع الله:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ

مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴿٦٤﴾ المائدة: ٦٤.

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ

سَكَتْنَا مَا قَالُوا وَقَتَلَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بَعِيرٍ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ

﴿١٨١﴾ آل عمران: ١٨١.

6 - الكبر والتعالي على الناس:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوْهُ. قُلْ فَلِمَ

يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ المائدة: ١٨.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ

فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ النساء: ٤٩.

7- حبههم لسماع الكذب:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُوا لِلْكَذِبِ سَمْعًا لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِتُحْرِفُونَ﴾ أَلَكَلِمَةِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴿المائدة: ٤١﴾.

8- التمرد على الله:

قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً﴾ المائدة: ١٣.

9- التمرد على الرسل:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ البقرة: ٥٥.
وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ المائدة: ٧٠.

10- الجدل والمراء:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ البقرة: ٢٤٧.

وقال تعالى: ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾ ﴿٧٠﴾ البقرة:

. ٧٠

11 - كتمان الحق والتضليل:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿٤٢﴾﴾

البقرة: ٤٢.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكَذِبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ

الْكَتَبِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكَتَبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ آل عمران: ٧٨.

12 - النفاق:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَیْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا

مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ البقرة: ١٤.

وقال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا

تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ البقرة: ٤٤.

13 - إيثار المنفعة الشخصية والأنانية:

قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ

وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ البقرة: ٨٧.

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ آل عمران: ٧٥.

14 - حب الشر للناس والسعي في إفسادهم:

قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ البقرة: ١٠٩

15 - كراهية الخير لغيرهم:

قال تعالى: ﴿إِن تَمَسُّكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِيبْكُمُ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران: 120].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ النساء: ٥٤.

16 - الاستغلال والانتهازية:

قال تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْباطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ النساء: ١٦١.

وقال تعالى: ﴿سَمِعُوكَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ المائدة: ٤٢.

17 - عدم الأدب في الخطاب:

قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيْئًا بِاللِّسَانِهُمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

النساء: ٤٦

18 - سهولة القتل عندهم وسفك الدماء حتى مع الأنبياء:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ آل عمران: ٢١.

19 - قسوة القلب وجحود العاطفة:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ البقرة: ٧٤.

20 - تبلد حسهم وموت ضميرهم الأدبي:

قال تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧٩) المائدة: ٧٩.

وقال تعالى: ﴿وَرَأَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٦٢) المائدة: ٦٢.

21 - التحايل على المخالفة:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (٦٥) البقرة: ٦٥.

22 - الحسد:

قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ النساء: ٥٤.

23 - الذل:

قال تعالى: ﴿وَضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ وَالْمُسْكَنَةَ وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: 61].

24 - إسرار الرهبة والخوف:

قال تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ* لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ مَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: 13-14].

25 - الجبن:

قال تعالى: ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]

26 - الحرص على البقاء حتى مع سوء الحالة ورذالة العيش:

قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ [البقرة: 96].

27 - تحريف الكتاب المقدس (التوراة):

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَّهُمْ مَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: 79].

وقال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: 46].

28 - استباحة الكفر في سبيل تحقيق أغراضهم:

قال تعالى: ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبَتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾ [النساء: 51].

29 - الإفساد في الأرض:

قال تعالى: ﴿كَلِمًا أَوْفَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: 64]

﴿وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ﴾ [المائدة: 62].

الديانة

النصرانية

الفصل الأول

الكنيسة

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ
أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ
وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ*وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ
فَافِضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ
الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: 82-83] .

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ
شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 64] .

ملهيّد:

أن تأليه بعض المخلوقات قديم جداً، ولا يزال يوجد بين البدائيين ومن جمدوا على التقاليد الدينية الموروثة بدون بحث، أو نظر، فقد عبد الإنسان قوى الطبيعة وعبد الشمس والقمر والكواكب الأخرى، وتاريخ الأديان خصوصاً في الشرق الأوسط غاص بهذا المظاهر، ومنها شاع ما يعرف باسم الطوطم والتابو من عبادة الأجداد والأشجار وآثار الموتى.

وترقت بعض الأمم فعبدت آلهة لا ترى ولكن خلعت عليها صفات البشر.. فكان لدى اليونانيين عدد كبير من الآلهة يختصمون ويحقد بعضهم على بعض ويدبرون المكائد وتشيع بينهم الأحقاد وهكذا، ولكن ميزتهم أنهم لا يموتون، وجاء عصر الفلسفة والنضج الفكري فأنكر بعض المفكرين هذه الديانة وأنكر بعض آخر هذه الصفات، ولكن مما لا ريب فيه أن فلاسفة اليونان حتى الكبار منهم لم يستطيعوا أن يتخلصوا من خرافات السابقين.

وفي مصر وجدت أسطورة إيزيس وأوزوريس وحوريس، وهي معروفة ومشهورة فكانت بداية التثليث فيما نعلم، وأعتقد الناس أن دماء الآلهة سرت في شرايين الملوك فالهوهم وعبدوهم، وكان في هذه العقائد ما يثبت سلطان الملوك، فكانوا يحرصون على بقائها وتثبيتها.

في روما وجدت أسطورة مشابهة، خلاصتها أن توأمين هما روميولس وريموس، وجدا في الصحراء، وحتت عليها ذئبة فأرضعتهم، ومات ثانيهما وبقي "

روميولس" فلما نما وترعرع أسس مدينة رومان ومنه جاء ملوكها، فهي مدينة مقدسة وملوكها من سلالة الآلهة، فظل الناس بعد ذلك يعبدون الملوك الرومانيين، فلما ظهرت المسيحية حاربوها حرصاً على مجدهم حتى كان عصر- الإمبراطور البيزنطي ظهرت المسيحية حاربوها حرصاً على مجدهم حتى كان عصر الإمبراطور البيزنطي ظهرت قسطنطين، فوجد أن تيار المسيحية قد أصبح عنيفاً أقوى من أن يحارب، وأن محاربته تهدد سلطانه فأعلن المسيحية ديناً رسمياً لدولته، ولم يكن الناس جميعاً مستعدين لقبولها فأجبرهم عليها بالتعذيب والقتل، وأريق دماء كثيرة وذهبت أرواح وعانى الكثيرون من الإغراق والإحراق والضرب ما أزهق أرواحهم أو تركهم زمنى وعاجزين.

وكانت مدرسة الإسكندرية قد اضطلعت بدرس الفلسفة اليونانية ونشرها، وازدهر فيها الفكر اليوناني مدة طويلة، فلما ظهرت المسيحية وجدت في هذه المدرسة تراثاً وثنياً لم تستطع أن تتخلص منه، بل سيطر هو على المسيحية.

وقد حارب أباطرة الرومان عبادة إيزيس وشق عليهم أماتتها حتى لنجد أحد عشر إمبراطوراً يقيمون على حربها، ومع ذلك لم تمت وإنما ظهرت في صورة أخرى واسم آخر، ظهرت في عبادة ديمتر، يونانية ورومانية، وامتزجت بعبادة (مثرا) واتخذوا لها صورة الأم الحانية فرسموها تحتضن وليدها في مظهر ينم عن الحنان والبر من الأم والبراءة والطهارة من الطفل، وهذه الصورة بكل ما فيها هي الصورة التي يرسمها المسيحيون للسيدة مريم العذراء وهي تحمل طفلها المسيح.

وكما يذكر كارليل في كتاب (الأبطال وعبادة الأبطال) أن الناس كانوا يعظمون البطل ويعظمون أمه وأباه، فجاءت عقيدة التشليث بهذا، وظل الناس

يخلعون على الأبطال صفات الآلهة، حتى كان النبي محمد ﷺ فقضى- على هذه العقيدة بإعلانه أنه بشر.

ويذكر الدكتور سير أرنولد أن ديانة التوحيد هي أرقى الديانات البشرية وهو قول يردده الكثيرون من رجال الديانات والأنثروبولوجي، أمثال جيمس فريزر وبتلر، ذلك أن عقيدة التثليث أو الثنية إنما هي بقايا من الديانات البدائية التي كانت تدين بألهة عديدة لكل شيء إله.

المسيحية إذن في كثير من عقائدها لم تخرج عن نطاق الأديان البدائية، والأساطير التي شاعت في الأمم القديمة، ذلك لأن تلك الأساطير لا تمت إلى المسيح بصلة، وإنما هي شيء معرف ومستحدث من أذهان بشرية، وخرافات موروثة عن أمم شتى.

أنه لمن الصعب جداً" على الإنسان أن يصدف فجأة بواقع يعيشه وقد يحاول أن يواريه عن الآخرين ليعيش في كذبة هو اختلقها لنفسه. والصدمة تكون كبيرة إذا لم يجد حلاً.

ولكن لابد من الصدمة حتى يسأل الإنسان نفسه لماذا يعيش هل لعبادة مخلوق أم لعبادة الخالق. وسوف يبحث كثيراً" عن الحل إذا لم يتجه للإسلام.

متى ولدت الكنيسة؟

نعيش اليوم في زمن انقلبت فيه الموازين، واختلطت المفاهيم، ومن بين المصطلحات التي أسيء فهمها هذه الأيام كلمة "الكنيسة" وهذا ما يؤثر على أسلوب عبادتنا، ونظام خدمتنا. اليوم تسمع من يقول في الغرب: أنا كنيسة "الإنجيلية" وآخر يقول أنا كنيسة "الأرثوذكسية" إلخ.

من يقول أنا كنيسة في الشارع الفلاني، أو الحي الفلاني، وتسمع من يقول أنا
ذاهب إلى كنيسة القس فلان.. إلخ.

وكان الكنيسة الغربية مؤسسة اجتماعية، أو جمعية خيرية، أو مكان لالتقاء
الأصدقاء والأحباء. فهل هذا هو المعنى الكتابي للكنيسة؟ هل الكنيسة مبنى أم
رسالة؟ هل هي حائط أم شعب؟ حظيرة أم رعية؟ ما هو المعنى الكتابي لكلمة
كنيسة؟ ومتى ولدت الكنيسة؟

دعونا قبل أن نجيب على هذه الأسئلة أن نتحدث أولاً عن أصل ومصدر
هذه الكلمة، وما هي المعاني المختلفة لاستخدامها في الكتاب المقدس.

أولاً: تاريخ استخدام كلمة الكنيسة

إن كلمة "كنيسة" في الأصل اليوناني هي αἰσληκκε "إكليسيا" وهي كلمة
كانت مستخدمة من قبل كتابة العهد الجديد، وكانت تعني "جماعة" "Assembly"
أو اجتماع "Meeting" أو "محفل" "Congregation".

وفي القرن الخامس قبل الميلاد كانت هذه الكلمة تستخدم لتشير إلى اجتماع
مألوف من المواطنين القائمين على السياسة في المدينة. وفي "أثينا" كانت هذه الكلمة
تستخدم للتعبير عن المحفل العام للشعب عندما يدعى للاجتماع لسن شرائع البلاد
ودستورها، وكان لكل عضو حق الكلام والاقتراح للمناقشة، وكان القرار لا
يصبح شرعياً إلا إذا صوت عليه، وأخذ أكبر عدد من الأصوات والجدير بالملاحظة
في استخدام هذه الكلمة هو الديمقراطية في اتخاذ القرارات وحرية الرأي، وحق
التصويت.

والكلمة "إكليسيا" تأتي من الفعل (ακ λωε) الذي يعني "دعا" والاسم هو دعوة. والمعنى هنا هو أن الكنيسة هي "الجماعة المدعوة" ونفس اللفظة تأتي من اليونانية (Kyriako) "كرياكو" أي "ما للرب فالكنيسة بهذا المعنى الأخير هي "ما يملكه الرب" (هكذا يقول المسيحيون)

ثانياً: كلمة كنيسة في العهد القديم

وقد تسأل: وهل وردت كلمة "كنيسة" في العهد القديم؟ أقول لك بأن المسيحيين يرون إن كلمة "كنيسة" اليونانية "إكليسيا" استخدمت كترجمة للكلمة العبرية (Ixx) "قحال" وهي كلمة تأتي من فعل يعني "يدعو للجماعة ولأعمالها" ويمكن أن تترجم أيضاً "جماعة" أو "حشد" ونادراً ما استخدمت لدعوة الشعب للحرب. وعندما ننظر نظرة شاملة سنجد أن كلمة "قحال" العبرية استخدمت في العهد القديم للإشارة إلى جماعة الرب المجتمعة لتسمع كلمة الله سواء في سيناء (تث 4:1) أو في بركة موآب إذ يقول: "فنطق موسى في مسامع كل جماعة" "قحال" إسرائيل بكلمات هذا النشيد" (تث: 31:30). وسواء اجتمعت الجماعة بقيادة موسى أو يشوع، "لم تكن كلمة من كل ما أمر به موسى ولم يقرأها يشوع قدام كل جماعة إسرائيل..." (يش 8:35) راجع أيضاً (1 أخ 28:8، نخ 2:8).

ويقولون بأنه عندما أطلقت كلمة "قحال" على بني إسرائيل كانت تعني جماعة الله، أو الشعب الذي دعاه يهوه، ودخل في عهد معه على جبل سيناء (تث 19:4، 10:4) وارتبط باسم يهوه (تث 23:2-4) "لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر، لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب."

المسيحيون يرون بأن الكلمة "قحال" تشير إلى الجماعة التي ارتبطت بيهوه، وبقواعد ووصايا أعطاهم لهم، مثل الشريعة والناموس والطقوس (تث 1:9، 4:10، 3:23 عد 3:16، 4:20، نح 1:3) لذلك يرون أن الجماعة التي تجتمع في الهيكل (مز 6:89، 23:22) وتجتمع للعبادة وتقديم الذبائح، والله يدعوهم باستمرار لطاعته (2 أخ 5:20، 3:30، مز 1:149).

وكلمة "قحال" تعني أيضاً شعب الله المتحرك والمتنقل من مكان إلى آخر، وفي هذا يقول الله لموسى: "اصنع لك بوقين من فضة مسحولين فيكونان لك لمناداة الجماعة ولإرتحال المحلات" (عد 2:10) وكلمة "الجماعة" هنا هي (Ixq) "قحال" و "المناداة" هي الدعوة للعبادة والحركة والديناميكية، فهي جماعة لا تعرف الجمود ولا السكون ولا التوقع.

هكذا يفسر المسيحيون كلمة قحال فيعتقدون بأن العهد القديم قد ذكرت فيه الكنيسة مكان لاجتماع الرعية وعبادة الرب.

ثالثاً: كلمة كنيسة في العهد الجديد

إن تلاميذ المسيح وتابعيه لم يطلقوا على أنفسهم إطلاقاً كلمة "صوناجوجي" والتي تترجم "مجمع" فيما عدا (يع 2:2) ولم يكن يعقوب يتحدث عن الكنيسة بل عن الجماعة كجماعة، وذلك لأن كلمة "مجمع" لها جذور يهودية وهي كلمة خاصة أطلقت على الجماعة اليهودية بوصفهم جماعة دينية مركزها الناموس والذبائح.

يرى المسيحيون بأن الرسل استخدموا كلمة "إكليسيا" "كنيسة" لأنها الأكثر ملائمة، ولأنها عودة إلى الكلمة العبرية "قحال" والتي تعني كما ذكرت سابقاً

"شعب الله"، أو "الجماعة المدعوة" أو "ما يملكه الرب" فهي الجماعة المدعوة من العالم لتتبعي إلى الله وتعبده، وفي نفس الوقت المرسلة إلى العالم لتخدمه وتشهد عنه، فهي مدعوة لتمارس علاقتها بالله وبالأخرين (هكذا المعنى بالأصل).

وقد استخدم كتاب العهد الجديد كلمة (إكليسيا) للإشارة إلى جماعة المؤمنين مجتمعين معاً في مكان واحد للعبادة، مثل كنيسة كنخريا (رو 1:16). لاودكية (كو 4:16) والكنيسة في بيت أكيلابريسكلا (رو 5:16). والكنيسة في بيت فيليمون (فل 10).

واستخدمت لوصف مجموعة كنائس محلية في مدينة واحدة، أو إقليم واحد مثل الكنيسة في أورشليم (أع 1:4، 9:31، 15: كم 1:16).

واستخدمت للتعبير عن الكنيسة في مجموعها، فيقول بولس: "وهو رأس الجسد الكنيسة" (كم 1:18).

وعندما يتحدث العهد الجديد عن الكنيسة سواء في بيت، أو بلد، أو في إقليم معين، فما ذلك إلا مظهر للكنيسة الجامعة التي ارتبطت معاً فكونت كنيسة عامة والكنيسة المحلية تعتبر بمثابة لفرقة مسيحية معينة في المنطقة الموجودة فيها صورة للكنيسة الجامعة في ذلك المجتمع⁽¹⁾.

بحث في تاريخ الكنيسة

وصل اليهود في عهد الاحتلال الروماني لفلسطين وكثير من بقاع الشرق الأوسط، إلى حياة الذل والشقاء، حيث لم يكتف الرومان باضطهادهم بل نصبوا

لهم تماثيل آلهتهم في الأماكن العامة والمقدسة مما أشعر اليهود بانتقاص عقائدهم، ولعل ما زاد في شعور اليهود بالذل رؤيتهم أعضاء مجلسهم الأعلى "السנהدرين" قد اتجهوا لجمع المال وبات الكثير من اليهود ينتظر بفارغ الصبر ظهور الزعيم الذي بشرهم به أشعيا ودانيال ذلك الفارس سليل داود . (ع) ليعيد ملكوت الله فيملاً الأرض عدلاً ويوقظ دولة الأجداد لتمتد من الفرات إلى النيل تحت حكم التوراة. ولقد ظهر النبي يحيى عليه السلام يؤذن في الناس قرب ظهور المسيح وكان يعمد الناس بأن يسكب على رؤوسهم زيتاً وماء ليكونوا صالحين، وقد عمد يوحنا بنفسه شخص المسيح عيسى بن مريم وأعلمه أنه المسيح المنتظر، وراح عيسى يتعلم الديانة اليهودية وتعاليمها وبعد أن أتقنها أخذ يبشر بها بين أصحابه، وأخذ يتحسس مفاصل رجالات الديانة اليهودية فبدأ يقود حربه ضدهم وابتدأ رسالته الجديدة. وقد تبعه في البداية اثنا عشر رجلاً هم الحواريون، فعلمهم تعاليمه وأرشدتهم إلى ما يجب عليهم عمله وراح ينشر دعوته في القرى والمدن الصغيرة فيها أذهان عامة اليهود لتقبل دعوته ونقل دعوته بعد ذلك إلى المدينة المقدسة فأصبح لزاماً عليه أن يواجه السلطتين الدينية وهم الحاخامات أو السנהدرين، والسلطة السياسية وهم الحكام الأجانب، وبعد مجادلات لم تدم طويلاً وبتأثير رجالات اليهودية قبض عليه وصلب ثم قام ورفع إلى السماء كما تقول الأناجيل المسيحية: أو اختفى وتوفي بعد ذلك أو رفع إلى السماء كما يفهم من القرآن الكريم.

ورغم انتظار اليهود للمسيح المنقذ فإنهم وقفوا منه موقفاً سلبياً ولم يدافعوا عن حياته ولعل ذلك يرجع إلى عدة أمور منها:

1- أهم كانوا ينتظرون قائداً قوياً سيأتي على رأس جيش يقارع الأعداء بصلافة ليثبت جدارته بينما جاء المسيح عليه السلام شخصاً مسالماً يدعو إلى تعاليم تناقض ما

عهده اليهود من العنف والوحشية والقوة: وكانوا يتوقعون زعيماً يقودهم ضد الرومان ليؤسس بالقوة ملكوت الله إذا به يدعوهم (أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنكم، أحسنوا إلا مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطرونكم) (متى 5: 44).

2- أنه وقف موقفاً مناهضاً لأعضاء السنهدرين أصحاب السطوة الدينية دون قوة تسنده وهاجم الأغنياء فألبهم على نفسه.

3- إن عامة الناس لم يفهموا منحى تعاليمه بصورة جيدة ولم يدركوا طريقة قلب النظام السياسي القائم آنذاك والذي توقعوا منه القيام به.

4- أنه لم يستمر طويلاً في نشر دعوته، فبينما قضت اليهودية فترة طويلة في التاريخ تكتب وتطور عقيدتها، لم يقض السيد المسيح أكثر من ثلاث سنوات في نشر- تعاليمه قضى معظمها في القرى والأرياف، ولم يأت إلى القدس للدعوة إلا قبيل انتهاء رسالته لفترة قصيرة ومحدودة جداً.

وعلى كل حال فإن النهاية التي انتهى إليها السيد المسيح - والتي صورها لنا الإنجيل - كانت سبباً في هروب أنصاره إلى المدن الكبرى حول العالم لينقلوا تعاليمه إلى شعوبها، فابتدأ عهد جديد في تلك الرسالة بأنها تحولت من رسالة إلى اليهود إلى رسالة إلى بقية الأمم لتكون ديانة عالمية.

ولقد كتب بعضهم مذكراته عن السيد المسيح ضمنها الكثير من أقواله وأفعاله، ولكن (بولص الرسول) جمع الكثير من المعلومات فكتب رسائل وأعمالاً كثيرة يتحدث عنها الكتاب المقدس مما رسم أموراً ميزت ديانة السيد المسيح بميزات جديدة صارت بعد ذلك تدعى ديانة النصارى أو (المسيحية).

وبولص هذا كان يهودياً حارب المسيحية بضراوة وقتل الكثيرين من أتباع السيد المسيح إلا أنه قال بأنه التقى بروح المسيح وهو في طريقه إلى دمشق فهداه المسيح إلى نوره فخصص ما تبقى من حياته في خدمة الدين الجديد.

وكما قلنا فإن بولص الرسول ضمن المسيحية أفكاراً مميزة نسبها إلى شخص السيد المسيح فصار المسيح ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ويصلب تكفيراً عن خطيئته البشر، وعلى كل حال فإن الديانة الجديدة تميزت بمعتقدات مهمة هي:

1- أنها فتحت على بقية الشعوب ولم تبق معلقة لبني إسرائيل كما هو الحال مع اليهودية.

2- أصبح (يهوه) إله بني إسرائيل إلهاً عالمياً متميزاً بشخصياته الثلاث، الله الآب، وابنه المسيح الذي أرسله لتخليص العالم من خطيئة آدم الأولى، والروح القدس.

3- أن السيد المسيح سيعود إلى الأرض مرة أخرى.

ولقد ساعدت أفكار بولص المسيحية على الانتشار بصورة واسعة في البلاد الغربية الأوروبية بينما انحسرت في الشرق، لأن الشرقيين قد تعودوا على الوحداية والنبوات التي دعت لإله واحد بينما جاملت عقيدة بولص التثليثية عقليات الوثنيين في الغرب.

ولم تتمكن المسيحية على كل حال من تثبيت أقدامها بسهولة في بداية الأمر إذ حاربها اليهود بكل ضراوة وألبوا عليهم مختلف الأقوام فمارست معظم الدول ضغطاً على اتباع هذا الدين المتزايد العدد، فحصلت اضطهادات ومذابح قتل

فيها الآلاف منهم وشرد آخرون فكانت تلك الاضطهادات سببا في ظهور زعماء وكتاب دافعوا عن المسيحية بإجلال ومن بين هؤلاء الكتاب ترتوليان وايريانيوس وكثير غيرهما.

وكانت الفضل في انتشار المسيحية في العصور الأولى يعود إلى قسطنطين، القائد العسكري الذي زحف نحو روما يصارع قائدها على السلطة فقد تراءى له أنه يرى الصليب في السماء عندما كان يتهيأ لخوض حربه، فصمم على منح المسيحيين حرية التدين أن غلب فيها، وقد دخل روما فاتحاً سنة 311م، وبعد أن بسط نفوذه على البلاد أصدر مرسوماً سنة 313م أعلن فيه المسيحية ديناً شرعياً.

وبعد أن تنصر قسطنطين، أصبحت المسيحية دين الدولة الرسمي وكان لذلك الأمر نتائج مهمة ومنها:

1- أنها قوت مركز روما حيث أصبحت السلطة السياسية تواكب السلطة الدينية وبذلك أصبح لقادتها الدينيين بعض السطوة على بقية المراكز المسيحية في العالم، علماً بأن الكنيسة قبل هذه الفترة كانت تعتبر السيد المسيح هو سيد الكنيسة ولم تكن البابوية قد ظهرت إلى الوجود حينذاك.

2- أنها بدأت تحرم الديانات الوثنية بل وحاربت الديانات الأخرى وسعت فيما بعد إلى اضطهاد وقتل وتشريد أتباع تلك الديانات بصورة أبشع من تلك التي عانتها هي وذلك تحت شعار: لا إيمان بدون كنيسة.

3- وبعد أن أصبحت الكنيسة سيدة الموقف ولم يعد الخوف يمنع الكثيرين من الانتماء إليها، تسرب إليها الكثير من المنافقين والدجالين والسياسيين ليصل كل إلى مقاصده (حال المسيحية في ذلك حال بقية الأديان والعقائد)، وهكذا

ضعفت عقيدتها وبدأت الأفكار المختلفة تتسرب إليها فانشغل أفرادها بمنازعات فكرية أدت إلى دعوة قادة الكنائس العالمية لعقد مؤتمرات كثيرة للاتفاق على عقيدة ثابتة لأتباعهم.

ونظراً للقوة التي تمتعت بها كنيسة روما والتي ضاهت قوى الكنائس العظمى الموجودة آنذاك في القسطنطينية وإيطاكية والقدس والإسكندرية، فقد بدأت روما تنتعش سياسياً حيث صارت مرجعاً مهماً لتلك الكنائس فأبدل بطريارك روما بلقبه (البابا) ونصب ليو الأول، أول بابا لروما، ودعيت كنيسته الكنيسة الكاثوليكية الرومانية.

ولقد كادت المسيحية إن تسري إلى مناطق أخرى في العالم لولا ظهور الزعامة الجديدة في الصحراء العربية، حيث بشر رسول الله محمد ﷺ العالم بمولد الدين الجديد، فسار الإسلام قدماً يفتح بلدان الشرق والغرب تحت شعار (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وراح الإسلام يهدد أوروبا والعاصمة البابوية فترات طويلة، بل وتمكن أن يصعد إلى القسطنطينية من الجناح الشرقي لأوروبا ومن إسبانيا جناحها الغربي، ولولا الفرع الذي جمع المسيحيين تحت قيادة شارلس مارتيل (المطرقة) وصمودهم في وجه المسلمين لكانت خارطة أوروبا قد تغيرت عما هي عليه الآن.

ولقد انقسمت الكنيسة على نفسها - كما تنقسم معظم الأديان - لتؤسس طوائف جديدة فكانت زعامة روما سبباً في معارضة بعض البطارقة الذين اتجهوا إلى القسطنطينية فحاولوا أن يجعلوا بطرياركها بمنزلة البابا فلما جابهوا رفض البابا أعلنوا انشقاقهم عن البابا، فصارت كنيسة القسطنطينية ملجأً بعضهم حيث دعوا فيما بعد بالشرقيين الأرثوذكس فتبلورت عن طريق هذا الانقسام اختلافات عقائدية لها أهميتها.

ونظراً لفقدان الكثير من أمراء أوروبا لسلطاتهم فقد بدأوا يتحركون ضد سلطة البابا فكانت تحركاتهم سبباً في إقصائهم أو نيل عقوبات شديدة. ولكن مرور الزمن وتبلور المفاهيم القومية بين شعوب أوروبا ولد بعض الانكماش عند الكثير من القادة والشعوب فاضطر فيليب ملك فرنسا القوي إلى نقل مقر الباب إلى أفكنون Avignon في فرنسا سنة 1309-1376م وسميت هذه الفترة بالسبي البابلي، ولم يقبل الإيطاليون بهذا فقاموا بتنصيب بابا خاص بهم سنة 1378م وسميت الفترة التي أصبح فيها أكثر من بابا للكنيسة الرومانية بفترة الانقسام العظيم الذي امتد إلى سنة 1417م واستمر إلى أن انعقد مؤتمر كونستانس Council of constance فأبقى ذلك الانقسام وأعاد البابوية إلى روما، وخاضت الكنيسة كثيراً من الصراعات مع القادة السياسيين فاستشعرت الخطورة منهم مما جعلها تدعو إلى الجهاد المسيحي المقدس لتحرير مدينة القدس من الأتراك السلاجقة المسلمين، فأعلنت الحرب الصليبية كحل لأشغال أولئك السياسيين إلى جانب تحريك الروح العاطفية للمسيحيين في أمور يعتبرونها مقدسة فتكون البابوية في مأمن من خطورتهم، وكانت الحرب الصليبية الأولى سنة 1096م قد لاقت بعض النجاح، إذ احتل المسيحيون القدس وأقاموا مملكة فيها، ولكن هذه المملكة لم تدم أكثر من ثمانية وثمانين عاماً تمكن بعدها المسلمون من استعادة القدس وطرد المحتلين عام 1187م واستمرت بعدها حروب أخرى يحصيها المؤرخون بثماني حروب آخرها حملة الأطفال الصليبية في منتصف القرن الثالث عشر- والتي انتهت بفشل ذريع في احتلال أي من بقاع المسلمين، وبانتهاء الحروب الصليبية ضد المسلمين ابتدأت حرب صليبية ضد المسيحيين أنفسهم داخل أوروبا كانت بسبب ما ذكرناه من نمو الروح القومية وتحسس مظالم البابوية، حيث قد بدأ الناس

يملون حكم البابا الديني وما نتج عنه من ظهور النظام الإقطاعي الظالم إذ بدأت الكنيسة والإقطاع بامتصاص أموال الناس وفرض ضرائب باهظة، وما صكوك الغفران الشهيرة إلا واحدة من تلك الضرائب الثقيلة، وكان شراء تلك الصكوك حسب تفسير الكنيسة آنذاك ضماناً لغفران ذنوب الناس وكان لكل ذنب ثمنه، فراح البابا يجمع الأموال ليبني بها كنائس كثيرة أو يقتني أثاثاً فخماً أو يشتري مزارع واسعة.. فبينما انتعشت مظاهر الترف على طبقة رجال الدين والنبلاء فإن مظاهر الموت والمرض والجوع بدأت تأكل بالطبقات الوسطى والفقيرة مما دعا الناس إلى ابتداء حرب ضد نظام الكنيسة آنذاك وحيث استشعرت الكنيسة خطرهم راحت تشن حملات صليبية ضدهم أدت إلى قتل وحرق وسجن الكثيرين، ولم يكتف البابا بذلك بل أصدر أمراً بتشكيل محاكم التفتيش في كل أوروبا من رجال الكنيسة مهمتها البحث عن أعداء النظام الكنسي والقضاء عليهم فخاضت هذه المحاكم حرباً أدت جرائم لن ينسى التاريخ بشاعتها، فكانت كل تلك الأسباب عاملاً في انتعاش فكرة الإصلاح الديني عند كثير من متعلمي ومثقفي أوروبا آنذاك.

ويمكن تلخيص آثار الفترة الأولى من المسيحية منذ إعلانها الديانة الرسمية في عهد قسطنطين وإلى حين انتشار الأفكار الإصلاحية بما يلي:

- 1- أن الكنيسة قد أعلنت أن لا إيمان بدونها، ولذلك فإنها شنت حرب إبادة على كل الأديان الأخرى في المناطق التي حكمت بها واضطهدت الأقوام الأخرى اضطهاداً لم تعهده الأديان الأخرى من قبل.
- 2- أن الكنيسة قد بدأت تهيمن على السلطة السياسية فلم يعد بمقدور أي قائد سياسي أن يتحرك دونها إشارة منها، فالبابا له الحق المطلق في تعيين الموظفين وعزلهم وتحريك الجيوش للقتال وغير ذلك.

- 3- إن الكنيسة أخذت بالتدخل في شؤون الأفراد والأسر فهي التي تنظم حياتهم فصارت بهذا المرجع الرئيس لتحركات الناس.
- 4- كان لتدخل الكنيسة بالشؤون الدنيوية أن أصبحت لها أملاكها وبقاعها الخاصة فساعدت على نمو النظام الإقطاعي وتسخير الفلاحين الصغار في العمل في تلك المقاطعات بصورة أشبه ما يكونون فيها بالعبيد.
- 5- أنها تبنت نشر- المسيحية في العالم فشنت الحروب الصليبية على البلاد الإسلامية ولكنها فشلت في تحقيق هذا الغرض.
- 6- وتبنت تثبيت النظام البابوي والديني في أوروبا ولذلك فقد شرعت القوانين الصارمة بحق المواطنين وشكلت محاكم التفتيش كمظهر من مظاهر الحرب الصليبية على الخارجين على الكنيسة.
- 7- امتدت سيطرة البابا إلى كل أطراف أوروبا عندما آمنت القبائل الوثنية بالمسيحية.
- 8- كان لخصر البابوية بروما وبشخصية إيطالية أثر في نشوء الفكر القومي والتعصب العنصري مما أدى إلى انقسام عظيم في الكنيسة ترتب عليه تعيين أكثر من بابا واحد في بعض الفترات.
- 9- كان لإصرار بابا روما على زعامة العالم المسيحي أثره على المسيحيين الشرقيين الذين رفضوا الانصياع لذلك فأنشأوا كنيسة مميزة لهم سميت بالكنيسة الشرقية فيما بعد.
- 10- ونظراً لحاجة الكنيسة إلى قادة متخصصين للقيادة الدينية فقد أنشأت الأديرة المسيحية منذ فترة مبكرة من تاريخ المسيحية، حيث يتدرب قادة رجال الدين على مختلف فنون التعبادات فمن كان ينذر نفسه لخدمة السيد المسيح عليه السلام

متشبهاً بعزوبيته طيلة الحياة كان يدعى بالأب، ومن تشبهت بالعدراء لخدمة الدين دعيت بالأخت.

وفي القرن الخامس عشر والسادس عشر انتشرت الجامعات في أوروبا انتشاراً كبيراً فظهرت النزعة المدرسية Scholasticism لتعذب دوراً بارزاً في الإصلاح الديني، وقد كان لمارتن لوثر أثر كبير في الدعوة للإصلاح، إذ كان قد تخرج في إحدى الجامعات الأوروبية ثم انتسب إلى سلك الرهبنة في الكنيسة فوجد نفسه يصطدم مع البابوية في كل تعاليمها فأصدر نشرة علقها على باب كنيسته يعلن فيها رفضه للبابوية ونشر أفكاره الإصلاحية. فكانت تلك النشرة ثورة كبيرة على البابا وجميع أنظمة الحكم المؤيدة له، فقدم لوثر إلى محاكمات كثيرة إلا أنه استطاع أن يفلت من أحكامها وأن يختفي فترة، وفي فترة اختفائه تمكن من ترجمة الإنجيل إلى الألمانية.

ولم يكن لوثر أول من نادى بالإصلاح، فقد سبقه الراهب جون هس John Huss في هنغاريا الذي دعا إلى تخفيف سلطات البابا على الكنيسة فأحرق هذا الراهب في وسط المدينة، ولم يكن مصير المصلحين الآخرين من مصير هس.

وقد ساعدت الظروف السياسيين لوثر في أن يختفي عن عيون السلطات لفترة من الزمن ثم الظهور ليناقش البابا علانية، وقد انتصر لوثر بعد حصوله على تأييد بعض حكام المقاطعات وبعض رجالات الكنيسة، وأدى ذلك إلى ظهور الكنيسة البروتستانتية Protestant أي (الاحتجاجية) وأهم مبادئها:

1- اعتبرت الكتاب المقدس هو المرجع الرئيس للمسيحية ولكافة الأمور والمساكن وترجيح آراء الكتاب على آراء البابا.

2- أصبح من حق أي مسيحي أن يقرأ الكتاب المقدس وأن يفسره بعد أن كان حكراً على القساوسة.

- 3- انتهاء رئاسة البابا على الكنائس وتكوين رئاسة خاصة بكل كنيسة من الكنائس مهمتها الإرشاد والتوجيه.
 - 4- المغفرة تأتي بالإيمان وليست عن طريق بابا الكنيسة ولا عن طريق شراء صكوك الغفران.
 - 5- الإيمان بضرورة ترجمة الكتاب المقدس إلى كل اللغات ليقرأها الناس بعد أن حرمت الكنيسة ترجمته طيلة الفترة التي سبقت الإصلاح.
 - 6- لا بد أن تكون الصلاة والعبادات بلغات الناس الدارجة لا باللغة اللاتينية التي كانت تستخدمها الكنيسة والتي كان يستعص فهمها على الناس.
 - 7- لا بد من زواج القس وإنهاء الرهبانية، وكان لوثر أول قس أعلن ثورة على العزوية فتزوج من إحدى الأخوات.
 - 8- منعت بعض الكنائس الإصلاحية التماثيل والصور والسجود لها.
- وقد أثر لوثر على كثير من المفكرين في أوروبا فنأدى كالفن وزفنجلي وجون نوكس في بقاع كثيرة في أوروبا بضرورة إصلاح الكنيسة لتماشي متطلبات العصر- المذكور.

وعلى كل حال فإن الإصلاح الديني كان إصلاحاً للكنيسة وسلطاتها ولم يكن إصلاحاً جذرياً يشمل العقيدة المسيحية التي كانت بحاجة إلى الإصلاح أكثر من مبانيها وسلطات رجالها فاستمرت الكنيسة وحتى الإصلاحية منها تواجه المتاعب أمام الأفكار الجديدة إلى أن حل القرن التاسع عشر- والقرن الحالي والذي غزته الكثير من الأفكار الإلحادية والمادية وأفكار الرفض الديني والاجتماعي والوجودية وغيرها، فكانت حافزاً لكثير من رجال المسيحية المفكرين Theologians لأن يدرسوا المسيحية على أساس جديد وأن يحاولوا التوفيق بين أفكار السيد المسيح من

جانب وبين أهم الأفكار العصرية المطروحة. فكان الفرد والنزعات الإنسانية أهم القضايا التي بدأ المفكرون المذكورون بمعالجتها فذهبت المسيحية العصرية إلى القول بحرية الإنسان الفرد في الاختيار، وبأن إيمانه بالمسيح معناه وصوله إلى أقصى درجات الكمال الإنساني فتبدلت الكثير من الكنائس وخاصة في أمريكا من أماكن عبادة يلتقي فيها المؤمنون بالسيد المسيح إلى نواد لالتقاء العوائل أو التقاء الجيران حيث أن الظروف الاجتماعية التي تعيشها أوروبا وأمريكا أصبحت لا تسمح للناس بالإكثار من الزاوار أو التعارف فلم يبق أمامهم إلا مبني الكنيسة يلتقون فيه فيدفعون ثمنًا لانتهمائهم لتلك المباني تستخرج منه رواتب العاملين فيه. فالكنيسة الأوربية والأمريكية الحديثة تعاني فراغ العقيدة بعد أن نبذت عقيدة الأجداد ولم تفلح كثيرًا في إحلال المبادئ الوجودية والعصرية محلها، وكذلك فإن الكنيسة القديمة لم تقدم إلى العالم العصري مبررات المعتقدات التي كانت قد طرحها على الناس قبل مئات السنين والتي أصبحت صعبة المذاق لأصحاب العقول في القرن العشرين فساعدت بذلك أكثر فأكثر على تمزيق المجتمع الأوروبي والأمريكي، ونظرة صغيرة إلى المجتمع الأمريكي خاصة قد تكفي لإثبات ذلك فإن في الكنيسة البروتستانتية وحدها توجد إلا أن ما يزيد على ألماتي طائفة ما بين طائفة محافظة وطائفة كنيسة تدعو إلى الإباحة. وكنيسة لهذا التمزق، اتجاهات كل الكنائس قديمها وحديثًا إلى توجيه نشاطاتها في التبشير خارج الأقطار فإنها راحت تخدم أغراض الاستعمار العالمي أكثر من خدمتها عقيدة السيد المسيح.

الفصل الثاني بولس وأثره في النصرانية

بولس وأثره في النصرانية

أولاً: حياته

في سفر الأعمال الفقرة الثالثة من الإصحاح الثاني والعشرين حكاية عنه (أنا رجل يهودي ولدت في طرطوس كيليكية وربيت في هذه المدينة "أورشليم" واسمه الأصلي شاول وكان أبوه من الفريسيين (إحدى الفرق اليهودية الشهيرة)⁽¹⁾. ولقد رباه على مبادئ هذه الجماعة الدينية المتحمسة وكان والده مواطناً رومانياً وأكبر الظن أن بولس اللفظ المرادف لاسمه العبري شاول⁽²⁾.

ثانياً: صفاته

- 1- أنه كان نشيطاً دائم الحركة ذو قوى وذو نفس لا تكل.
- 2- أنه كان شديد الذكاء بارع الحيلة قوي الفكر يدبر الأمور لما يريد بدهاء وذكاء، يسدد السهام لغاياته ومآربه.
- 3- أنه كان شديد التأثير في نفوس من يتحدث معهم قوي السيطرة على أهوائهم على انتزاع الثقة منهم⁽³⁾.

(1) الإمام محمد أبو زهرة، دراسات في الأديان ص 69 وأنظر د. محمد الحاج النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص 142.

(2) د. محمد الحاج من التوحيد إلى التثليث ص 142.

(3) الإمام محمد أبو زهرة، دراسات في الأديان ص 72(73).

- 1- تصاحبه الروح اليونانية حيث أن بولس عاش في وسط يتحدث باليونانية ويستخدم كلمات مثل: الله، عقل منقذ، روح، ضمير. فهذا الوسط كان يهتم بفلسفة معينة في بعض أحكامها والكثير من مصطلحاتها في ذهن داعية مسيحي.
- 2- جنسيته رومانية وهذه أعطته الجرأة، فبينما كان غيره يسجن ويضطهد كانت هذه الجنسية ترفع عنه مثل هذا الأمر.
- 3- تدرج في الديانة اليهودية وبالثقافة اليهودية حتى إذ تربى على أعتاب اليهودية الفيلسوف اليهودي (غما لائيل) كما تأثر فيهم بأسلوب الكيد والعمل في الخفاء⁽¹⁾.

ثالثاً: ثقافته

ومن المدينة التي عاش فيها (بولس) تلقى ثقافته فكانت مدينة (طرسوس) مدينة نشطة وهي حلقة الاتصال بين آسيا الصغرى وبين الشام ومفترق الطرق التجارية التي تجلب سيلاً لا ينقطع من الأفكار والعقائد والتأثيرات المختلفة ولقد انتشرت فيها المدارس اليونانية وقام بين رحابها ما يمكن أن نسميه بالجامعة التي كانت سبباً لشهرة المدينة وعلى الأخص فيما يتعلق بالدراسات الفلسفية، فهذه البيئة الأولى.

أما البيئة الثانية وهي بيئة القدس حيث درس بجوار (غما لائيل) أي بمدرسة من المع المدارس اليهودية في ذلك العصر⁽²⁾.

(1) د. محمد الحاج من التوحيد إلى التثليث ص 144.

(2) شارل جيني بير. المسيحية ص 68.

رابعاً: تحول بولس إلى المسيحية

لقد كان بولس في صدر حياته من أشد أعداء المسيحية وأبلغهم كيداً وأكثرهم إمعاناً في أذى معتنقيها⁽¹⁾. ويذكر الإصحاح التاسع من سفر الأعمال (أما شاؤول فكان لم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه أن يزوده برسائل إلى دمشق إلى الجماعات المسيحية حتى إذا وجد منهم أناساً رجالاً أو نساء ساقهم موثوقين إلى أورشليم⁽²⁾).

وفي ذهابه حدث أنه اقترب من دمشق فبغته برق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً: شاؤول لماذا تضطهني؟

فقال: من أنت يا سيدي؟ فقال: أنا يسوع الذي أنت تضطهده فقال وهو مرتعد متحير: يا رب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل⁽³⁾.

ثم يذكر الإصحاح أنه نهض عن الأرض وهو مفتوح العينين لا يبصر ومكث كذلك ثلاثة أيام ولم يشرب وكان في دمشق تلميذ اسمه (حنانيا) فأوحى إليه الرب أن يلتقي مع شاؤول فوضع يديه عليه فأبصر ووقع من عينيه شيء كأنه قشور فأبصر في الحال وقام واعتمد.

(1) أمين القضاة. أديان وفرق ص 78 وأنظر محمد أبو زهرة دراسات في الأديان ص 71.

(2) د. محمد الحاج النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص 143، وأنظر القصة في الإصحاح التاسع من سفر أعمال الرسل ص 185.

(3) الإمام محمد أبو زهرة دراسات في الأديان ص 71 وأنظر د. الساموك في مقارنة الأديان

ما أحدثه بولس في النصرانية

وينسب إلى بولس أربعة عشر سفر من أسفار العهد الجديد وتسمى (رسائل بولس) وبفضل هذه الرسائل في تاريخ المسيحية وعقائدها وشرائعها أكبر شأنًا حتى أن المسيحية لتنسب إليه أكثر مما تنسب إلى غيره وتستمد معظم أصولها وتعاليمها من رسائله وحتى أن كلمة (الرسول) إذا أطلقت لا يراد بها في اصطلاحهم إلا بولس كما يطلقون عليها لقب (الرسول الكبير)⁽¹⁾.

فيما يختص بعقيدة التثليث قال الدكتور بست في تاريخ الكتاب المقدس (طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية: الله الآب والله الابن والله الروح القدس. فإلى الآب ينتمي الخلق بواسطة الابن وإلى الابن الفداء وإلى الروح القدس⁽²⁾.

وفسر القس بوطر هذا المعنى في رسالة صغيرة سماها (الأصول والفروع) جاء فيها: بعد ما خلق الله العالم توج خليقته بالإنسان لبث حيناً من الدهر لا يعلن له سوى ما يختص بوحدانيته كما تبين ذلك من التوراة (كلمة الله أو حكمة الله أو روح القدس)⁽³⁾.

اللاهوت المسيحي عند بولس:

يقول "ول ديورانت" في قصة الحضارة (لقد أنشأ بولس لاهوتاً لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح أما أسس هذا اللاهوت فأهمها أن

(1) د. أمين القضاة. أديان و فرق ص 78.

(2) الإمام محمد أبو زهرة، دراسات في الأديان ص 94.

(3) المرجع السابق ص 94.

كل ابن أنثى يرث خطيئته آدم ولا شيء ينجيه من العذاب الأبدي إلا موت ابن الله ليكفر بموته عن خطيئته.

وهذه هي فكرة الخطيئة الموروثة التي تعبر إحدى عناصر العقيدة المسيحية الحاضرة وهي فكرة جاء بها بولس من البيئة الفلسفية التي عاشها^(١).

وبناء على ذلك جاء بفكرة فداء الخليقة وصلب المسيح ويقولون في هذا إن الله من صفاته المحبة ومحبة الله ظهرت في تدبيره طريق الخلق للعالم لأن العالم من عهد سقوط آدم في الخطيئة وهبوطه هو وبنيه إلى الدنيا مبتعدا عن الله بسبب الخطيئة ولكن الله من فرط محبته وفيض نعمته رأى أن يقربه إليه بعد هذا الابتعاد فأرسل لهذه الغاية ابنه الوحيد إلى العالم ليخلص العالم وقد جاء في إنجيل لوقا:

(وإن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك) فمحبته ورحمته قد صنعت طريقاً للخلاص ولهذا كان المسيح هو الذي يكفر عن خطايا العالم وهو الوسيط الذي وفق بين محبة الله تعالى وبين عدله ورحمته أن مقتضى العدل أن الناس كانوا يستمرون في الابتعاد عن الله بسبب ما اقترف أبوهم ولكن باقتران العدل والرحمة وبتوسط الابن الوحيد وقبوله للتكفير عن خطايا الخلق قرب الناس من الرب بعد الاعتماد وقد كان التكفير الذي قام به المسيح هو الصلب لهذا صلب ورضي الله وهو ابنه.

ومن أهم الأمور التي أضافها بولس:

أولاً: فكرة التطهير ومفهوم التضحية فقد أصبحت فكرة التطهر بالاعتماد علامة الدخول بالمسيحية وتضحية الرب نفسه لأجل خطايا البشر- توجد بين

(١) د. محمد الحاج. النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص 145.

الأتباع وبين إلههم في نظرهم وتبين أنهم جسم واحد أمامه ومن هذه الطقوس أكل الخبز جماعة والشرب جماعة⁽¹⁾.

ثانياً: شرع بولس قوانين المسيحيين يتبعونها في حياتهم العامة.

أ- فهو الذي أوصى بما نراه في الكنائس من الأغاني والمزامير التراتيل .

ب- قرر عدم وجوب الختان كما هو موضح في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتوس أوصحاح السابع . (ليس الختان شيئاً وليست العزلة شيئاً بل حفظ وصايا الله)⁽²⁾.

ثالثاً: جعلها دعوى مفتوحة لجميع الأمم فبعد أن كانت ديانة لبني إسرائيل أصبحت ديانة عالمية.

رابعاً: نقلها من التوحيد إلى التثليث.

خامساً: قال بالوهمية المسيح وإلهية الروح القدس⁽³⁾.

سابعاً: أهل يوم السبت هو اليوم المقدس عند اليهود وجعل عطلة الأسبوع يوم الأحد⁽⁴⁾.

(1) أديان و فرق القضاة وآخرون ص 84+85 وأنظر محمد الحاج النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص 176 .

(2) سعدون الساموك موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة ص 278 وأنظر سعدون الساموك مقارنة الأديان ص 129 .

(3) سعدون الساموك موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة ص 278 .

(4) القضاة وآخرون أديان و فرق ص 87 .

الفصل الثالث

جوهر

العقيدة

النصرانية

جوهـر العقيدة النصرانية

مفهوم الألوهية في العقيدة النصرانية

سنوضح في هذه السطور القادمة مفهوم الألوهية في العقيدة النصرانية التي تمثل الركن الركين في عقيدتهم وأصل الدين عندهم سنناقش ذلك مراعين اتخاذ كل طرق البحث العلمي حتى يتسنى لنا إظهار هذه العقيدة للناس جميعاً ولإقامة الحجة عليهم ولدحض شبهاتهم التي بها يدافعون عن عقيدتهم.

إن أصول العقيدة النصرانية فيما يسمونها بالأمانة الكبيرة وهذا نصها : (نؤمن بالله الواحد الأب ضابط الكل مالك كل شيء صانع ما يرى وما لا يرى وبالرب الواحد يسوع ابن الله الواحد بكر الخلائق كلها الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها وليس بمصنوع إله حق من إله حق من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت وصار إنساناً وحبل به وولد من مريم البتول وصلب أيام (بيلاطس الملك) ودفن وقام في اليوم الثالث (من هذا المنطلق لهذه العقيدة عندهم عيد يسمى بعيد القيامة أي قيام المسيح بعد صلبه-) وللأسف الشديد أصبح المسلمين يوالون أعداء الله وعقيدتهم تفرض عليهم معاداتهم فالموالاة والمعاداة والحب في الله والبغض في الله هو الركن الركين في العقيدة الإسلامية-) وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه مستعد للمجى تارة أخرى للقضاء بين الأحياء والأموات. ونؤمن بروح القدس المحيي المنبثق من أبيه الذي بموقع الأب والابن يسجد له ويمجد الناطق بالأنبياء وبكنيسة واحدة

مقدسة رسولية وبمعبودية واحدة لمغفرة الخطايا وتترجى قيامة الموتى والحياة والدهر العتيد آمين).

لقد قرر هذه العقيدة (318) أسقفا اجتمعوا بمدينة نيقية في عهد قسطنطين عام 325 م وفي عام 381 م زادوا فيها ما يلي: (الأب والابن وروح القدس هي ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه وثلاثة خواص توحيد في تثليث وتثليث في توحيد كيان واحد بثلاثة أقانيم إله واحد جوهر واحد طبيعة واحدة).

ويجب معرفة أن المسيحية الحقّة لم تستمر إلا ثلاثمائة سنة بعد رفع نبيهم على عقيدة التوحيد الخالص والحنفية السمحة ثم بعد هذه الفترة عقدوا المجمع الأول وأهلوا المسيح عليه السلام وفي المجمع الثاني أهلوا مريم عليها السلام وفي المجمع الثاني عشر منحوا الكنيسة حق الغفران (حق الغفران يذكرنا بصكوك الغفران في القرون الوسطى التي ظهرت في عهد مارتن لوثر أثناء عصور الظلام والفساد والطغيان الذي كان يصدر عن الكنيسة مما أدى إلى تكوين مناخ جيد لميلاد العلمانية اللادينية وانفصال الدولة عن الكنيسة) والحرمان ولها أن تمنح ذلك لمن تشاء من رجال الكهنوت والقساوسة وفي المجمع العشرون قرروا عصمة البابا...

عقيدة الخلاص ولماذا يؤمنون ويقتنعون بها

إن القاعدة التي تنطلق في الكنيسة لعامة الناس أنه لا تسأل فطرّد أو تعترض فتهلك فهم عليهم أن يطبقوا ما يلقنهم به قساوستهم وإن خالف العقل حتى أن بعض القساوسة يرددون دون فهم فكيف يستطيع إقناع النصراني بهذه العقيدة وهو نفسه لم يستطيع إقناع نفسه وهذا نص عقيدة الخلاص التي يسلموا بها.

أن من يؤمن بهذه العقيدة يتخلص من الآثام التي ارتكبها وأن من لا يؤمن بها فهو هالك لا محالة.

ويقولون أن آدم بعد أن أكل من الشجرة صار كل من يموت من ذريته يذهب إلى سجن إبليس في الجحيم وذلك حتى عهد موسى ثم إن الله ﷻ لما أراد رحمة البشرية وتخلصها من العذاب احتال على إبليس فنزل عن كرسي عظمته والتحم ببطن مريم ثم ولدته مريم حتى كبر وصار رجلاً يقصد (عيسى) فمكن أعداءه اليهود من نفسه حتى صلبوه وتوجوا رأسه بالشوك وسمرو يديه ورجليه على الصليب وهو يتألم ويستغيث إلى أن مات ثلاثة أيام ثم قام من قبره وارتفع إلى السماء وبهذا يكون قد تحمل خطيئة آدم إلا من أنكر حادثة الصلب أو شك فيها.

لماذا قررت المجامع ألوهية عيسى؟

إن المجامع النصرانية التي ظهرت بعد ثلاثمائة سنة من رفع المسيح ما كانت إلا هيئة ومصنعا لإصدار الأوامر وتأليه عيسى وأمه وعصمة البابا ورجال الكنيسة كما تقدم ولقد وضعوا أسباباً بها يبررون ألوهية عيسى وسند عليها إن شاء الله في حينه وهي:

1- ورود نصوص في أناجيلهم المحرفة التي تتوافق مع عقيدة بولس.

2- إحياء الموتى.

3- ولادته من غير أب.

ويجب ملاحظة أن إنجيل يوحنا قد كتب بعد حوالي ستين عاماً من رفع المسيح فكيف يحفظ ما قاله المسيح مع العلم بأن كتبه قد أخذوا أغلب ما في إنجيل

يوحنا من رسائل بولس، وجاء في دائرة المعارف الكبرى التي اشترك في تأليفها أكثر من 500 باحث من غير المسلمين أنهم أكدوا وقوع التحريف والتزوير في الأناجيل واعتبروا قصة الصلب وما فيها من تعارض وتناقض أكبر دليل على ذلك كما أكدوا أن كاتبها هذه الأناجيل قد تأثروا بعقائد البوذية والوثنية القديمة.

لقد أخطئوا في فهم فقرات من الكتاب المقدس مثل ما جاء في سفر إرمياء النبي وهو يتحدث عن ولادة المسيح (في ذلك الزمان يقوم لداود ابن هو ضوء النور.. إلى قوله ويسمى الإله).

فإنهم يفهمون من ذلك أن هذا النبي أقر بالوهية المسيح ومثل هذا النص أن صح عن نبي من الأنبياء إنما يقصد بذلك أن يحكي عن شيء سوف يقع في المستقبل (من الغيبات) ولا يقصد أنه يقر بذلك، ومعنى النص أنه سيقوم ولد من نسل داود يدعو الناس إلى الدين ويؤيده الله بالمعجزات (كأحياء الموتى وإبراء الأعمى والأبرص بإذن الله) فيطلق عليه اسم الإله!! فهذا مجرد تنبؤ بشيء سيحدث في المستقبل، ولقد حدث فعلاً فأرسل الله هذا الولد من نسل داود وأيده بالمعجزات ولقد سمي بالإله بعد ذلك مما يدل على تحقق النبوة، وليس دليلاً على ألوهيته، ومما يؤيد ذلك ما جاء في مزمور داود أن الله عز وجل قال لداود عليه السلام: (سيولد لك ولد ادعى له أب ويدعى لي ابن، اللهم ابعث جاعل السنة) (أي محمد صلى الله عليه وسلم كي يعلم الناس أنه بشر). فإنهم يستدلون بذلك على أن الكتب المقدسة أشارت إلى أن المسيح ابن الله، وإنما المراد منها الأخبار عما سيقع في المستقبل، وفعلاً بعث الله هذا الولد من نسل داود وادعى الناس أنه ابن الله ثم أرسل صاحب السنة وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي بين لهم أنه بشر وأقام الحجة عليهم وبهذا تحققت النبوة فأرسل الله

خاتم النبيين الذي وضع لهم أن الباطل ما كانوا يفعلون وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

نموذج لقرارات أصحاب المجمع

نما يدل على جهلهم ما نقله سعيد بن البطريق عما حدث في المجمع الثالث حيث اجتمع الوزراء والقواد إلى الملك وقالوا: أن ما قاله الناس قد فسد وغلب عليهم (آريوس) و (اقدانيس) فكتب الملك إلى جميع الأساقفة والبطارقة فاجتمعوا في القسطنطينية فوجدوا كتبهم تنص على أن الروح القدس مخلوق وليس بإله فقال بطريق الإسكندرية: ليس روح القدس عندنا غير روح الله، وليس روح الله غير حياته فإذا قلنا أن روح الله مخلوقة فقد قلنا أن حياته مخلوقة وإذا قلنا حياته مخلوقة فقد جعلناه غير حي وذلك كفر.

فاستحسنوا جميعاً هذا الرأي ولعنوا (آريوس) ومن قال بقولته هذه، وأثبتوا أن (روح القدس إله حق من إله حق ثلاثة أقانيم بثلاثة خواص).

وقد قام علماء من المسلمين بتوضيح هذه النصوص لإزالة ما يلبس من الخطأ في الفهم، فقالوا: أن الله ﷻ منزه عن الامتزاج بأي مخلوق.

وتضاف كلمة روح القدس وروح منه إلى الله ليس لاتحادها به، وإنما نسبة تشريف فهي إضافة تشريف وليست تبعية (أي جزء منه) كما يقال ناقة الله وبيت الله.. الخ. فمن المعلوم أنه ليس المراد من ناقة الله: الناقة التي يركبها الله، وبيت الله ليس بمعنى البيت الذي يسكنه الله. فروح الله أي روح من الأرواح التي خلقها

الله، وأضيفت إليه بقصد التشريف كقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ يقصد به إضافة تشريف .

حول حادثة الصلب

مما تقدم علمنا أن دائرة المعارف الكبرى التي قام بتأليفها علماء غير مسلمين أكدت على وجود التحريف في الأناجيل، فصاغت حادثة الصلب.

جاء في الإنجيل أن عيسى عندما وثب اليهود عليه ليقتلوه قال: (قد جزعت نفسي الآن فماذا أقول يا أبنائه سلمني من هذا الوقت) كما جاء أنه عندما رفع على خشبة الصلب صاح صياحا عظيما وقال: (يا إلهي لم سلمتني)؟.

يقول عثمان القطعاني: إن هذه النصوص تلزم النصارى بخيارين لا ثالث لهما: أما أن يكون حادث الصلب غير صحيح وبالتالي تكون الأناجيل ليس كل ما فيها صحيح ويترتب على ذلك إبطال خرافة الفداء. وهي الأصل لدين النصارى. وأما أن تكون حادثة الصلب صحيحة فيكون المسيح ليس باله لأنه جعل يصيح صياحاً عظيماً مستغيثاً ويقول: يا إلهي. فكيف يكون إلهاً ويستغيث بإله آخر؟ وكيف يكون خالقاً ويغلبه مخلوق؟ وإذا كان إله فمن هو الإله الآخر الذي يدعوه؟ وإذا قالوا أن الذي قتل هو الجزء البشري "الناسوت" فكيف يعيش الإله بجزء واحد فقط فأصبح الإله غير كامل.

وإذا اعترف النصارى ضمناً بتكذيب حادثة الصلب في الأناجيل عندما عقدوا مجمعاً في سنة 1960م قرروا فيه تبرئة اليهود من دم المسيح؟ مع أن الأناجيل تذكر أنهم وثبوا على المسيح كما تقدم! فهل تريد تناقضاً بعد كون المسيح قادراً على كل شيء وكونه عاجزاً عن حماية نفسه؟

موقف القرآن الكريم من هذه العقيدة

إن القرآن الكريم أثبت بطلان ما عليه النصارى من عقيدة التثليث وتأليه المسيح وقولهم أنه ابن الله وغير ذلك الكثير كما تقدم.

فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ وقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾.

وقال تعالى في نسب عيسى إلى الله وجعله ابناً لله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ {88} ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ {89} ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ {90} ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ {91} ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ {92} ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ {93} ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾.

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. ورد القرآن على اعتقادهم أن خلق عيسى من أم بلا أب دليل على ألوهيته فقال القرآن أن عيسى مثل آدم قد خلقه الله من تراب بدون أب ولا أم كما خلق حواء من آدم بدون أم، فالله إذا أراد أن يخلق شيئاً إنما يقول له كن فيكون: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

كما رد القرآن الكريم على ألوهية عيسى وأمه وأثبت أنه لا دخل لعيسى وأمه فيما يدعونه عليهما فقال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنَ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي

نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ { 116 } مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.

فيعيسى وأمه لم يطلبوا من النصارى عبادتهم وقد تبرأ منهم عيسى وأمه كما تقدم. فقد قال رسول الله ﷺ : (من رضي أن يعبد من دون الله دخل النار) ولكن عيسى ابن مريم وأمه لم يرضيا بعبادتهما من دون الله كما ذكرت الآيات.

كما أن عيسى ﷺ تبرأ من قومه ووكّل أمرهم بعد رفعه إلى الله فهو الشهيد عليهم: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ* رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ*﴾ والشاهدين هم المسلمون أتباع خاتم الأنبياء لكونهم أقاموا الحجة عليهم وبرءوا عيسى من هذه المفتريات ودعوا إلى عبادة الله وحده وبغض ما سواه من الآلهة الباطلة وأتباع الحق.

كما أن الله ﷻ أثبت بنفسه عدم ألوهية عيسى بالإضافة إلى ما سبق من الأدلة وأنه ناقص وبشر يرتفع ويرقى إلى مرتبة الألوهية فهذا إنسان يخضع لما يخضع له الإنسان فهو يأكل ويشرب وبالتالي فعليه أن يلبي نداء الطبيعة ويتغوط وغير ذلك مما يلزم الإنسان في معيشته.

ومن كان حاله هذا فلا يرقى لأن يكون إله لأن الله لا يأكل ﴿وهو يطعم ولا يطعم﴾. قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾.

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٩٠﴾

الفصل الرابع المجامع الكنسية

المجمع الكنسيّة

أ- مجمع نيقية:

وقد عقد هذا المؤتمر سنة 325 بأمر من قسطنطين. وكان أريوس يقول بأن المسيح ليس إلهاً وإنما مخلوق عظيمًا يفوق الآخرين وأن المسيح لم يكن أزلياً وليس هو الجوهر كالأب الإله (راجع عقائدنا- الدكتور محمد الصادق ص 109) وكان اثنيسيوس Athanasius أحد المفكرين المسيحيين يرد على أريوس بأن المسيح يعتبر إلهاً أزلياً وهو من نفس جوهر الإله الأب وهو ابن الله. وبعد أن عقد المؤتمر لفض النزاع توصل المؤتمر إلى القول بعقيدة اثنيسيوس المؤيدة لأقوال بولص الرسول في أن المسيح هو ابن الله وأنه إله وقد خلق منذ الأزل. فها دام المسيح منقذاً فلن تكون منزله أقل من منزلة الإله.

وعلى أثر هذا المؤتمر أعلن أريوس وأتباعه ملاحدة فطوردوا واضطهدوا وتمثل نتيجة مؤتمر نيقية عقيدة الكنائس الكاثوليكية والشرقية والإصلاحية فيما بعد جميعاً.

ب- مجمع القسطنطينية:

وفي 381م عقد هذا المؤتمر ليؤكد من جديد رفض الكنيسة لعقيدة الوحداية التي دعا لها أريوس وتثبيت عقيدة الأناجيل القائلة بالتثليث وهي الإيمان بالأب والابن والروح القدس. ولما كان مؤتمر نيقية قد ثبت ألوهية الابن وجعله إلهاً من إله، إلا أنه قد أغفل ذكر الروح القدس وهي السر الذي يربط الأب بالابن فجاء

هذا المؤتمر إلى تثبيت ألوهية الروح القدس حيث أن الله الواحد يتخذ له ثلاث أقاليم أو صفات فهو الأب الخالق وهو الابن المنقذ وهو السر الذي يربط بينهما أو الروح القدس، وألوهية القدس والتثليث هو عقيدة الكنائس التي مررنا على ذكرها سابقاً.

ج- مجمع افيسوس:

عقد هذا المؤتمر في سنة 431م لفض النزاع بين البطريرك أو أغسطين وبين القس الإنجليزي بيلاغوس Pelagius حيث أعلن الأخير أن الإنسان لم يبدأ بآدم ولم تكن هنالك خطيئة عن طريق آدم إلى الإنسان ولذلك فإن الطفل يبدأ حياته بريئاً لا مخطئاً وأن الأعمال الطالحة هي التي تجعل الإنسان مذنباً ولا تمحى الذنوب إلا برحمة ومغفرة الله.

وقد تصدى له بالنقد والتجريح البطريرك أو أغسطين تثبيتاً لعقيدة الأناجيل التي تقول أن الإنسان ولد عن طريق آدم وسرت الخطيئة الأولى في دمه، وقد صلب السيد المسيح حسب عقيدة الإنجيل - وتعذب من أجل إزالة الخطيئة الأولى عن البشر، ولن تزول تلك الخطيئة إلا عمن يؤمن بالكنسية والسيد المسيح وقد عقد المؤتمر المذكور للنظر في جملة الأمور هذه فانتهى إلى إدانة بيلاغوس واعتبار كلامه هرطقة أو كفراً وثبتت الكنيسة معتقدات أو غسطين.

د- مجمع خلقدونية:

لم تكن الكنيسة قد توصلت إلى فهم كامل لشخص المسيح حيث أن الكتب المقدسة قد وصفت المسيح بالألوهية إلى جانب كونه إنساناً فإنه لكي يكون منقذاً فلا بد أن تكون إنسانيته ضرورية كضرورة كونه إلهاً حسب المعتقد المسيحي

وكانت هنالك اختلافات كثيرة هي وجهات النظر في علاقة كل طبيعة من طبيعتي السيد المسيح مع الأخرى.

ولأجل التوصل إلى خطوط عامة مشتركة فقد عقد مؤتمر خلقدونية سنة 451م وقد توصل المجتمعون إلى القول بأن للمسيح طبيعتين ومشيتين أحدهما إلهية والأخرى بشرية وأنهما يجتمعان في شخص المسيح دون اضطراب أو تغيير أو انفصام أو تفرقة وقررت الكنيسة أن الطبيعتين في شخص واحد وليس شخصين.

هـ- مجمع روما:

عقد هذا المجمع في روما سنة 869 وقد اتخذ عدة قرارات منها:

- 1- أن المؤتمرين اعتبروا الروح القدس منبثقاً عن الأب والابن.
- 2- أن تكون الكنيسة في روما هي الحكم الفاصل في المنازعات المسيحية.
- 3- أن البابا في روما هو صاحب الكلمة التي يخضع لها مسيحيو العالم.

وقد كان هذا المؤتمر سبباً في انقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية إذ أن الكنيسة الشرقية ترفض تحكيم روما في أية قضية ولذلك اعتبرت القسطنطينية موازياً لشخص بابا روما، وقد عقد مجمع آخر في القسطنطينية سنة 897م عدلوا فيه انبثاق الروح القدس فقالوا بأنه انبثق عن الأب فقط.

وفي روما عقد مجمع آخر سنة 1215 أعلن المجتمعون فيه أن الباب يحق له منح الغفران من الذنوب لأتباع الكنيسة وفي سنة 1869 قرر مؤتمر روما عصمة البابا (أنظر المسيحية، أحمد شلبي ص 1166 - 1967).

الحروب الصليبية

عوامل قيام الحروب الصليبية :

أ- العامل الديني :

وهو العامل الرئيس الذي كان وراء الدعوة إلى الحروب الصليبية، إذ أن الإسلام كان خطراً يهدد أوروبا دائماً لذلك فإن إرسال المسيحيين إلى العالم الإسلامي وأشغال المسلمين بهذه الحملات سيوقف من توجيهات المسلمين نحو احتلال أراضٍ أوروبية ويساعد في استعادة الأقطار التي كانت تدين بالمسيحية سابقاً ودخلت الإسلام.

والعامل الديني يتمثل في الحقيقة بسببين رئيسين :

الأول: أن بني إسرائيل واليهود الذي يعتقدون أن أرض الميعاد بحدودها التوراتية التي أعطاها ربهم بعهود ومواثيق توراتهم وإنكارهم لنبوة السيد المسيح عليه السلام. لذا فإن تلك العهود صارت إلى المسيحيين الذين صدقوا المسيح عليه السلام فصارت أرض الميعاد (ومنها فلسطين) ملكاً لهم أبدياً لهم (فإن كنتم للمسيح فأنتم إذا نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة) أي ورثة اليهود في أحقية تملكهم لأرض الميعاد.

فالمسيحيون من كل أمة ولسان يعتقدون أن فلسطين لهم وحدهم دون اليهود ودون المسلمين كدين ودون العرب كقوم. ولهم وعدهم الإلهي والحق الإلهي في تملك فلسطين.

وأن إنكار اليهود للمسيح عليه السلام يخرجهم من الإيمان إلى الكفر كما يخرجهم من أبوة إبراهيم عليه السلام لأن النسب المسيحي هو نسب العقيدة. مهما كان القوم والوطن وكانت اللغة.

ذلك أن إبراهيم عليه السلام أب لكل مؤمن (....أجابوا (اليهود) وقالوا له (السيد المسيح): أبونا هو إبراهيم. قال لهم يسوع، لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم. ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونني .. الذي من الله يسمع كلام الله، لذلك أنتم لستم تسمعون. لأنكم لستم من الله) ⁽¹⁾.

وتعتبر المسيحية أن الأرض الموعودة قد تحققت تماماً، بمجيئ المسيح، أي أن فلسطين تكون حقاً مقدساً مشروعا للمسيحيون وحدهم، لذا كانت الحروب الصليبية المقدسة أما القدس فحسب العقيدة المسيحية لا تكون لليهود ولا للمسيحيين ولا للعرب، وإنما تكون دولة، أي لجميع الأمم، ولقد أقر البابا (بولص السادس) بوجوب تدويلها، اعتماداً على نص الإنجيل (تكون مدروسة من قبل الأمم، حتى تكتمل أزمنة الأمم) أي حتى نزول المسيح ثانية قبل قيام الساعة وفناء العالم.

ب- العامل الاقتصادي:

فلقد كانت أوربا تعاني من الكساد التجاري، وهو الذي دفعهم نحو الشرق لفتح طرق تجارية جديدة لهم، ورغم أن قسماً ممن شارك في هذه الحروب قد جاء لأهداف دينية، إلا من بين من جاء كان مجرماً عريقاً أو سياسياً أو سجيناً ⁽²⁾ وكانت

(1) العهد الجديد: إنجيل يوحنا 8 / 37 / 39.

(2) جواهر لانهر (المصدر السابق ص / 50-53).

خزائن أوروبا تعاني من كثرتهم، فلذلك بادرت البابوية إلى إرسالهم في تلك الحملات تخلصاً من أعبائهم الاقتصادية مقابل حريتهم في الشرق.

ج- العامل السياسي:

إذ كادت الثورة القومية في كل أوروبا أن تنهي سلطة البابا، وكانت هناك صراعات سياسية بين الحاكم والمحكوم، وكان نداء البابا في هذه الفترة قد ركز من سلطته أولاً وتخلص بذلك من منافسيه السياسيين.

وقد كان مجموع الحملات الصليبية الرئيسة ثمانية هي:

الحملة الأولى: (1096 - 1099) أرسلت إلى الشرق تحت عذر حماية الحجاج المسيحيين إلى الأراضي المقدسة حيث اعتدى على بعضهم من قبل الجند السلاجقة، وقد تطوع لهذه الحملة الكثيرة من الفقراء والمعدمين طمعاً في أن يجدوا أرضاً تؤيهم ويرتزقون منها. كذلك ضم إليها مجرموا أوروبا الذين كانت السجون تعج بهم، إضافة إلى الجند الرسميين للبابا والممالك الأوروبية الخاضعة لحكمة.

انقسمت هذه الحملة إلى قسمين، اتجهت الأولى منها نحو القسطنطينية واصطدم جنودها بأهالي المدن التي مروا بها إضافة إلى صدام آخر مع الجند السلاجقة أبادها عن آخرها، أما القسم الثاني فقد وصلت إل نيقية والرها وأنطاكية والقدس وأسقطوا الأخيرة بعد حصار دام أربعين يوماً. فذبحوا سبعين ألفاً من أهاليها العرب ونصبوا ملكاً من بينهم على القدس وغيرها من البقاع.

الحملة الثانية: (1147 - 1149) تمكنت هذه الحملة من إخضاع عسقلان ودمشق ومصر إلا أن مصر سرعان ما ردتهم وأخرجتهم.

الحملة الثالثة: (1189 - 1192) قامت على أثر استرداد المسلمين لمدينة القدس فترغم هذه الحملة ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا وفيليب أوجست ملك فرنسا إلا أنها فشلا أمام صلاح الدين الأيوبي في الاحتفاظ بمدينة القدس واكتفيا بمعاهدة ضمن حمايته للحجاج المسيحيين.

الحملة الرابعة: (1202 - 1204) وفيها عدد كبير من الفتيان، لم يستطيعوا الوصول إلى الأرض المقدسة، حيث قضى معظمهم نحيبه جوعاً وفكت بهم الذئاب وسرقهم اللصوص قبل وصولهم مدينة جنوا الإيطالية، أما بقية الفتيان فقد باعهم قائدهم الملك فردريك الثاني عبيداً في أسواق الرقيق بمصر وتونس.

الحملة الخامسة: (1219 - 1221) قادتها إيطاليا لتوسيع تجارتها مع الشرق ودخلت إلى مصر بدلاً من فلسطين إلا أنها ما لبثت أن فشلت ورجعت من حيث أتت.

الحملة السادسة: (1228 - 1229) وقد خالف قائدها فريدريك الثاني أوامر البابا فعقد صلحاً مع السلطان الكامل فحرم البابا على المسيحيين زيارة القدس طالما كان فيها فريدريك، ولكن الأتراك تمكنوا من احتلالها وقتل من فيها.

الحملة السابعة: (1248 - 1254) قادها لويس التاسع ملك فرنسا دخلوا مصر فأسر المصريون قائدها، ثم عقدوا معه معاهدة إطلاق الأسرى بموجبها لقاء فدية ورحلوا إلى أوروبا بعد ذلك.

الحملة الثامنة: (1297 - 1270) قادها لويس التاسع ملك فرنسا إلا أنه مات قبل الوصول إلى الأرض المقدسة وبفشل هذه الحملة أجلى الصليبيون عن كل الأراضي العربية الإسلامية وصور وصيدا وبيروت وطرطوس.

وكانت حملات أخرى قد حصلت كحملات سيجفارد جور سلفار ملك النرويج (1107-1111) وحملة يوحنا هوتبادي (1443)^(١). إلا أن جهودهم ذهبت أدراج الرياح ولو يتصروا في أي منها.

وكان العثمانيين فضل كبير في رد حملات الصليبية المتأخرة وتطهير الأراضي العربية والإسلامية من خطرهم.

ومن الطريف أن نذكر أن قائد الحملة الفرنسية على الشام حين دخلها بعد سقوط الدولة العثمانية وهي الامتداد الطبيعي للحروب الصليبية، اتجه نحو قبر صلاح الدين الأيوبي ورفس قبره برجله ثم ناداه:

(قم يا صلاح الدين وأنقذ أمة محمد).

المعتقدات الكنسية

أولاً: تجسيد السيد المسيح:

أن الأساس العام للعقيدة المسيحية أن الله ثلاث إقنيم كما سيأتي ذكر ذلك. الأقانيم الثلاثة الآب والابن والروح القدس. كلها واحدة. فالله قد حل في مريم وتجسد إنساناً بشكل يسوع كما تذكر الأناجيل، والآراء في تصوير جسده كثيرة متضاربة فقيل أن المسيح لم يكن إلهاً بل كان إنساناً ولد بالطبيعة من يوسف النجار ومريم^(٢). نادى بذلك (أبيون) في أورشليم في القرن الأول، وكذلك (كيرنثوس) و

(1) ؟؟؟، "المستشرقون تأليف نجيب العقيقي، ط3، دار المعارف - مصر.

(2) أن نسبته إلى يوسف النجار غير مقبولة من الوجهة الإسلامية إضافة إلى أن الإنجيل ينسبه بنسب يمتد ستة وستين نساً إلى آدم ﷺ ويمر بفارض ولد الزنا من يهوذا بكتته، وهذا مرفوض كذلك في العقيدة الإسلامية، والمفروض أن والده في هذا النسب هو (الله) حسب العقيدة المسيحية (إنجيل متى/ الإصحاح الأول 17/1).

القرن الثالث نادى بذلك (بولص السيمساطي) الذي أضاف إلى هذا القول أن المسيح قد جلت فيه الحملة الإلهية.

أما (فاليتينوس) فقال، إن المسيح نزل من السماء بجسد واجتاز من العذراء كما يجتاز الماء من القناة وقال (مركيون) أن المسيح أتى إلى عالمنا بهيئة جسد وقال (ماني) بأن المسيح ليس جسداً خيالياً. وعندما صلبه اليهود صلبوا الجسد الخيالي. وقال (أبو ليناريوس)⁽¹⁾. وفي القرن الرابع بأن مارس اللاهوت وظيفه الروح وامتزج بالناسوت واحتمل معه الصلب والموت، وقال أتباع (أبو ليناريوس) من بعده أن جسد المسيح كان مساوياً في الجوهر للاهوت. الكلمة. وعبد البعض مريم العذراء لحلول الروح القدس عليها وتجسد الكلمة فيها.

وهناك رأي يمزج الطبيعتين، فاستحال الناسوت وتلاشى في اللاهوت. ورأي آخر يفصل طبيعته اللاهوتية عن الناسوتية (وهذه هي العقيدة النسطورية) كفرةً وهرطقة، فالمسيح أقنوم واحد وليس أقنومين. وهناك رأيان آخران حول تجسد المسيح وألوهيته، أحدهما يقول به الكاثوليك وهو إتحاد الطبيعتين لفظاً وفصلهما فعلاً وأخذت به الكنائس اليونانية والبروتستانتية. أي أن المسيح إله تام وإنسان تام، مولود بحسب اللاهوت من الأب وبحسب الناسوت من مريم العذراء. وهو معروف واحداً بطبيعتين متحدين بلا اختلاط ولا ابتذال ولا انقسام.

أما الرأي الثاني فهو قول الأرثوذكس الذي ينادون باتحاد الطبيعتين لفظاً وفعلاً وتنادي بهذا الرأي الكنيسة القبطية والسريانية والأرمنية وجميع الكنائس

(1) كان كل منهم يمثل طائفة له أتباع.

الأرثوذكسية. ويختصر ذلك بالقول (وجود طبيعة واحدة للكلمة المتجسدة) مستفيدين إلى قول بولص الرسول: (يسوع هو هو، أمس واليوم وإلى الأبد) وقول البابا كيرلوس الأسطندري إلى ثيودوسيوس الملك: (أنا لا نعري الناسوت من اللاهوت، ولا نعري الكلمة من الناسوت بعد ذلك الإتحاد الغامض الذي لا يمكن تفسيره، بل نعترف بأن المسيح الواحد هو من شيئين اجتماعاً إلى واحد مؤلف من كليهما لا يهدم الطبيعتين ولا باختلاطهما بل إتحاد شريف في الغاية)⁽¹⁾.

والمسلمون يختلفون في نظريتهم إلى المسيحية عن اليهود. فالمسيحية الأصل في نظرهم دين توحيد مطلق وأنها تعترف أن الله وحده السمة العامة للأديان السماوية جميعاً، وعيسى عليه السلام هو رسول الله ليس غير واعتقاد المسلمين هذا ما جاءهم من الأدلة القرآنية، ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾⁽²⁾.

وكما ذكرنا أن حكماء اليهود قد عادوا المسيح ولم يستمعوا له فخافوا من تقوض سلطاتهم على يديه، فأغروا به الحاكم الروماني، ولكن الرومانيين لم يكونوا على استعداد للدخول في الخلافات الدينية بين اليهود ولم تكن دعوة المسيح عليه السلام التي أعلنها إلا إصلاحاً خلقياً ودينياً فلم تتصل دعوته بالسياسة، ولم يمس الحكومة من قريب أو من بعيد.

(1) قصة الديانات، ص 380-384.

(2) سورة آل عمران: 49.

ولكن اليهود تتبعوا عيسى عليه السلام لعلمهم يجدون منه سقطة تثير غضب الرومان. فلما لم يجدوا تقولوا عليه وكذبوا فأغضبوا الحاكم الروماني على عيسى عليه السلام فأصدر أمره بالقبض عليه وحكم عليه بالإعدام صلباً، فأخذ جند الرومان يبحثون عنه لتنفيذ الحكم فيه، وأخيراً عرفوا مكانه فأحاطوا به ليقبضوا عليه، وكان من أصحابه رجل منافق يشي به، فألقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام وصوته، فقبض عليه الجنود فنفذ فيه حكم الصلب، المسيح عليه السلام فلم يستطع الكفار ولا اليهود أن يمسكوه. قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ هُمْ﴾⁽¹⁾.

يؤمن المسلمون بأن المسيح عليه السلام قد رفع إلى السماء وقد قال تعالى: ﴿أني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا﴾⁽²⁾.

ولكن بعض المسلمين يعتقدون أن برفعه جسداً⁽³⁾ روحاً اعتقاد متأثر بالاتجاه المادي في الإنسان ومتأثر كذلك بالفكر المسيحي فكيف يوفقون بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِيَشْرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾⁽⁴⁾. وكانت دعوة عيسى عليه السلام كما يقول الشهرستاني - ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام⁽⁵⁾.

(1) سورة النساء: 158.

(2) سورة آل عمران: 55.

(3) للدكتور أحمد شلبي بكتابه المسيحية، ص 52، مناقشة مهمة في الموضوع ننصح بالرجوع إليها.

(4) سورة الأنبياء: 34.

(5) الشهرستاني: الملل والنحل، ج 1، ص 209.

المسيح في اليهودية

أما المسيح عند اليهود فقد ورد ذكره في التوراة، ولا يزال اليهود ينتظرون ظهوره إذ هو في رأيهم غير المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فكما ذكرنا فإن التوراة تبشر بظهور فارس قوي من نسل داود يملكونه عليهم وأنه سيجعل لهم السلطان على الأرض فيجعل كلمتهم هي العليا، وجنسهم هو الجنس الأعظم بين أجناس البشر، أما المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فهو عندهم رجل عادي ثار عليهم فلقي جزاء ثورته، وهو لا يستحق في نظرهم أن يذكر في تاريخهم، إذ أن موقعه في الديانة اليهودية هو موقع رجل منشق في ديانتهم عاقبوه بالقتل، ويقال بأن مسألة قتل المسيح كانت موجودة في التلمود. ولكن اليهود أخرجوها حتى لا يعثر عليها أحد من الأمم المسيحية التي كان يقيم بها اليهود⁽¹⁾ وعلى كل حال فإنه لا يوجد في تاريخ اليهود الديني ولا في كتبهم المقدسة أي ذكر لعيسى بن مريم عليه السلام ولا لدعوته ولا لأحداث القبض عليه، والمسيحية عندهم شأنها شأن الإسلام، هي أديان أهمية لا يعيرونها أهمية، لأن دينهم - حسب معتقداتهم هو دين الشعب المختار، وأن المسيح الذي تحدثهم به التوراة هو غير عيسى بن مريم عليه السلام ولا يزالون ينتظرونه ليملكهم الأرض ويجعلهم سادة الأرض، فاليهود إذن لم يعترفوا بأن عيسى عليه السلام وهو ذلك المسيح، فهم يعتبرونه يهودياً مرتداً دائماً للأوثان ويقول التلمود عنه أن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين القار والنار، وقد أتت به أمة من العسكري باندرا عن طريقة الخطيئة أما الكنائس النصرانية فهي قاذورات، الواعظون فيها أشبه بالكلاب النابحة وقتل المسيحي من التعاليم المأمور بها، والعهد مع المسيحي

(1) أنظر قصص القرآن، عبد الوهاب النجار ص 430.

لا يكون عهداً صحيحاً يلزم اليهود القيام به، ومن الواجب أن يلعن اليهود ثلاث مرات رؤساء المذاهب النصرانية وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة لبني إسرائيل.

أما المسيح الذي ينتظره التلمود فيقول فيه (عندما يأتي المسيح تطرح الأرض فطيراً وملابس من الصوف وقمحاً حبه في حجم كلاوي الثيران الكبيرة، وحينئذ ترجع السلطة لليهود، وكل الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له، وفي هذا الوقت يكون لكل يهودي الفان وثمانائة عبد يخدمونه وعشرة أكوان تحت سلطته).

(ولكن المسيح لن يأتي إلا بعد القضاء على حكم الأشرار من الخارجين على دين بني إسرائيل، لذلك يجب على كل يهودي أن يبذل جهده لمنع اشتراك باقي الأمم في الأرض كي تظل السلطة لليهود وحدهم، ويستمر ضرب الذل والمسكنة على اليهود حتى ينتهي حكم الأجانب من غير بني إسرائيل، وقبل أن يحكم اليهود نهائياً باقي الأمم يجب أن تقوم الحرب ويهلك العالم الثالث، ويبقى اليهود سبع سنوات متواليات يحرقون الأسلحة التي كسبوها بعد النصر، في ذلك الوقت تكون الأمة اليهودية غاية في الثراء لأنها تكون قد ملكت كل أموال العالم، وستملأ كنوزهم بيوتاً كبيرة لا يمكن حمل مفاتيحها وأقفالها إلا على ثلاثمائة حمار ويدخل الناس كلهم أفواجا في دين اليهود يقبلون جميعاً عدا المسيحيين فإنهم يهلكون لأنهم من نسل الشيطان)^(١).

الفصل الخامس عقيدة التثليث و الفرق المسيحية

عقيدة التثليث

معاني التثليث

يرى ابن عاشور أن "التثليث أصل في عقيدة النصارى كلهم، ولكنهم يختلفون في كيفيته" ولذلك جاء في القرآن "ثلاثة" في صيغة خبر مبتدأ محذوف ليصلح لكل ما يصلح تقديره من مذاهبهم في التثليث، سواء أكانت الآلهة ثلاثة ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ أو أن عيسى وأمه إلهين مع الله ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فالمجموع ثلاثة "كل واحد منهم إله، ولكنهم يقولون: إن مجموع الثلاثة إله واحد أو اتحدت الثلاثة فصار إلهاً واحداً"، فمعاني التثليث إذن مختلفة، فمنهم من يرى أن هناك ثلاثة آلهة، ومنهم من يرى أن الثلاثة إله واحد، ومنهم من يرى أن الله جوهر واحد بثلاثة أقانيم⁽¹⁾.

من أين جاءت فكرة التثليث؟

يرى ابن عاشور التأثير اليوناني على مفهوم التثليث، حيث أنه نشأ من اعتقاد قدماء الإلهيين من نصارى اليونان أن الله تعالى (ثالوث)، أي أنه جوهر واحد، وهذا الجوهر مجموع في ثلاثة أقانيم أقنوم الأب (الوجود أو الذات)، وأقنوم الابن (العلم)، وأقنوم الروح القدس (الحياة).

(1) ابن عاشور - التحرير والتنوير.

فأقنوم الذات هو أصل الموجودات، ومن أقنوم العلم كان تدبير القوى العقلية، ومن أقنوم الحياة كان إيجاد عالم المحسوسات، غير أن ذكر ثلاث صفات وإهمال الباقي على تقدير اعتبارهم لها صفات، يؤدي إلى التشابه مع ما كان يقول به الأفلاطونيون الجدد من فكرة التولد والفيض، إذ كأن الأقنومين الآخرين فيض من الأقنوم الأول.

ثم أن النصراني - كما يرى ابن عاشور - فسروا هذه الصفات تفسيرات أخرى، إذ سموا أقنوم العلم بالكلمة باعتبار أن الأناجيل أطلقت لفظ الكلمة على المسيح، فأرادوا أن المسيح مظهر عام الله، غير أنهم زادوا غلوا "فتوهما أن علم الله اتحد بالمسيح فقالوا: أن المسيح صار ناسوته لاهوتا، باتحاد أقنوم العلم به، فالمسيح جوهران وأقنوم واحد، ثم نشأت فيهم عقيدة الحلول، أي حلول الله في المسيح بعبارات متنوعة، ثم اعتقدوا اتحاد الله بالمسيح فقالوا: الله هو المسيح" كما أن ابن عاشور يورد الصراع الذي حدث بين دعاة التوحيد (آريوس) وأتباعه، وبين دعاة التثليث خلال القرن الرابع الميلادي، ثم مؤتمر نيقية الذي جمع فيه قسطنطين الرهبان، وأصدروا قانون الإيمان المسيحي الذي قرر: "أن كلمة الله اتحدت بجسد عيسى وتقمصت ناسوته، أي إنسانيته، فصارت الكلمة ذاتا في بطن مريم، وصارت تلك الذات ابنا لله تعالى، فالإله مجموع ثلاثة أشياء: الأول الآب ذو الوجود، والثاني الابن ذو الكلمة، أي العلم، والثالث روح القدس".

بعد ذلك تطورت النصرانية وتشعبت إلى فرق اليعقوبية وهم الأرثوذكس الآن والنسطورية، والجالثقية وهم الكاثوليك، بناء على اختلاف مذاهبهم في التثليث، مع اتفاقهم بالقول به^(١).

التثليث ليس أصيلاً في ديانة المسيح

يقول الباحث ويلز "لقد مزق الشقاق حول مسألة الثالوث فيما بعد العالم المسيحي بأسره، وليس هناك من دليل واضح على أن الحواريين اعتنقوا ذلك المبدأ، كذلك لا يبرز المسيح دعواه أنه "المسيح" ولا يضيفي على إشراكه مع الله في الربوبية أي ثوب بارز لم يكون ليفوته أن يضيفه لو كان يراه أمراً في الدرجة الأولى من الأهمية ومن أشد ما يحير اللب قوله "حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد أنه يسوع المسيح" فمن العسير أن يفهم الإنسان السر في هذا المنع.

وعندما صرح بولس وأتباعه بأنه أكثر من إنسان وأنه إله كما جاء في غلاطية 4 / 4 "وماء جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة" وفي أثيموثاوس 3 / 16 "وبالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر في جسد" وفي يوحنا 1 / 14 "والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده كمل وحيد من الأب" فإنهم أخطأوا أم أصابوا قد فتحوا ميداناً من الجدل⁽¹⁾.

نشأة التثليث في النصرانية

والحق أن كل ما يقوله النصارى من أدلة على التثليث لا يسوغ الاستدلال بها، لأن من تنسب إليهم هذه الأسفار لم يعلموا عن التثليث شيئاً.

فأول من أدخل (تعبير) الثالوث إلى النصرانية ترتوليان (200 م تقريباً)، كما ذكر ذلك قاموس الكتاب المقدس، وقد خالفه كثيرون من آباء الكنيسة حينذاك

(1) التوراة والأنجيل بين التناقض والأساطير، السيد سلامة غنمي 288.

منهم سبيلوس وغيره، وقد انتصر التثليث على التوحيد بعد تنصر- قسطنطين في القرن الرابع، وأما ما قبل ترتوليان فليس للتثليث أي ذكر.

وقد أصبح التثليث عقيدة رسمية للنصرانية في أعقاب مجمعين قرر في الأول منهما تأليه المسيح، وفي الثاني تم تأليه روح القدس.

أولاً: مجمع نيقية:

انعقد مجمع نيقية عام 325م بأمر من الإمبراطور الوثني قسطنطين الذي كان قد أعلن قبل بضع سنوات قانون التسامح الديني في الإمبراطورية كما سبق أن ذكرنا.

ورأى قسطنطين أن النزاعات بين الكنائس النصرانية تفتت شعب الإمبراطورية، وتزعج كيان الدولة، قرر الدعوة إلى مجمع عام تحضره الطوائف النصرانية المختلفة، وقد عقد المجمع بإشرافه الشخصي، وقام بافتتاحه، وحضره 2048 أسقفاً من مختلف الكنائس المسيحية، واستمرت المداولات ثلاثة أشهر من غير أن يصل المجتمعون إلى رأي موحد.

وقد كان المجتمعون على ثلاثة محاور رئيسة:

أ- موحدون منكرون للإلهية المسيح يتزعمهم أريوس الاسكندراني وأوسابيوس ومعهم زهاء ألف من الأساقفة.

ب- القائلون بأن للمسيح وجوداً أزلياً مع الأب وأنه من ذات جوهره وإن مثل أقنوماً مستقلاً عنه، وذكر هؤلاء بأن المسيح لو لم يكن كذلك لما صح أن يكون

مخلصاً، ومن القائلين بهذا الرأي بابا روما الإسكندروس، والشاب الوثني أثناسيوس الذي يقول عنه كتاب التربية الدينية المسيحية:

"كلنا يعلم ما للقديس أثناسيوس الرسول من مكانة ممتازة في الكنيسة المقدسة على مر العصور.. لقد حضر هذا القديس مع البابا الإسكندروس مجمع نيقية .. فكان القديس أثناسيوس هو الجندي الصالح ليسوع المسيح، وكان للقديس أثناسيوس أيضاً الفضل في صياغة قانون الإيمان. وعين في أواخر سنة 329م بطريكاً خليفة للبابا الكسندروس".

ج- وأراد بعضهم التوفيق بين الرأيين ومنهم أوسايوس أسقف قيسارية حيث قال بأن المسيح لم يخلق من العدم، بل هو مولود من الآب منذ الأزل، وعليه ففيه عناصر مشابهة لطبيعة الآب.

ولا يخفى أن هذا الرأي الذي زعم التوفيق لا يكاد يختلف عن رأي أثناسيوس، وقد مال الملك إلى هذا الرأي الذي مثله ثلاثمائة وثمانية عشر- قساً، وخالف بقية المجتمعين الذين كانوا يشايعون آريوس أو مجموعات تتبنى آراء أضعف في المجتمع كالقائلين بألوهية مريم أو أن الآلهة ثلاثة صالح وطالح وعدل أو غير ذلك.

وقد أصدر القسوس الثلاثمائة والثمانية عشر قرارات مجمع نيقية والتي كان من أهمها إعلان الأمانة التي تقرر ألوهية المسيح، كما أمر المجمع بحرق وإتلاف كل الكتب والأنجيل التي تعارض قراره.

ثانياً: مجمع القسطنطينية:

انعقد المجمع عام 381م للنظر في قول مكدونوس أسقف القسطنطينية الأريوسي والذي كان ينكر ألوهية الروح القدس ويقول: "إن الروح القدس عمل إلهي منتشر في الكون، وليس أقنوماً متميزاً عن الأب والابن".

وقد أمر بعقد المجمع الإمبراطور تاؤديوس (ت395)، وحضره مائة وخمسون أسقفًا قرروا فيه: أن روح القدس هو روح الله وحياته، وزادوا في قانون الإيمان فقرة تؤكد ذلك، وبذلك أصبح التثليث ديناً رسمياً في النصرانية، وقد ذكر القائلون بألوهية روح القدس في المجمع بأنه: "ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، وليس الله شيئاً غير حياته، فإذا قلنا أن روح القدس مخلوق، فقد قلنا أن الله مخلوق"⁽¹⁾.

النصوص الانجيلية وعقيدة التثليث

ويرى النصارى أن ثمة أدلة على التثليث في أسفار العهد الجديد صريحة وواضحة منها أنه لما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة، وآتياً عليه، وصوت من السماء قائلاً: هذا هو ابني الحبيب والروح الذي سررت به" (متى 3/ 16-17).

فقد جمع النص الآب والابن الحبيب والروح النازل مثل الحمامة، ومثله يقول بولس: "بنعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله، وشركة الروح القدس مع جميعكم آمين" (كورنثوس 2/ 13/ 14).

لكن المتأمل في نص متى يرى ثلاث ذوات تمايزت بالأسماء والأعمال فكيف بعد ذلك يقال عنها بأنها وحدة واحدة.

ثم أن النصارى يقولون بحلول الابن في عيسى، وهنا يتحدث النص عن حلول الروح عليه، وفي مواضع أخرى أكد ذلك (أنظر لوقا 3 / 22، متى 12 / 18) فيما جاءت مواضع أخرى تتحدث عن حلول الله الأب فيه (أنظر يوحنا 17 / 21، 14 / 9-10)، فأى الأقانيم إذا الحال في المسيح.

وليس في الكتاب المقدس سوى نصين فقط ذكر فيهما عناصر التثليث جنباً إلى جنب، وهما نص الشهود الثلاثة في رسالة يوحنا الأولى وخاتمة إنجيل متى.

❖ الاستدلال بنص الشهود الثلاثة على التثليث:

وهو أول النصين وأصرحهما، وهو ما جاء في رسالة يوحنا الأولى في وقول يوحنا: "فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الأب والكلمة والروح القدس. وهؤلاء الثلاثة هم الواحد" (يوحنا 1 / 5 / 7).

فهذا النص صريح في جعل الثلاثة إلهاً واحداً، غير أنه غير موجود في سائر المخطوطات القديمة للكتاب المقدس، بل وغير موجود حتى في أول نص مطبوع، فقد أضيف لاحقاً، وقد اعترف بإضافته علماء النصرانية ومحققوها ومنهم هورن، وجامعوا تفسير هنري واسكات، وآدم كلارك، وفنדר، وخلت ردود القديس أكستين (ق 4) من هذا النص على الرغم من مناظرته لفرقة إيرين المنكرة للتثليث، كما قد كتب عشر رسائل في شرح رسالة يوحنا لم يذكر في أيها هذا النص.

وقد حذفته النسخة القياسية المنقحة من نسختها الإنجليزية، كما حذفته بعض التراجم العالمية، وما يزال موجوداً في غالب التراجم، ومنها العربية، يقول بنيامين ولسن مترجم المخطوطات اليونانية:

"إن هذه الآية التي تشتمل على الشهادة بالألوهية غير موجودة في أي مخطوط إغريقي مكتوب قبل القرن الخامس عشر، إنها لم تذكر بواسطة أي كاتب إكليريكي (إغريقي) أو أي من الآباء اللاتينيين الأولين حينما يكون الموضوع الذي يتناولونه يتطلب بطبيعته الرجوع إليها، لذلك فهي بصرحة مختلفة"⁽¹⁾.

❖ نقد الاستدلال بخاتمة متى على التثليث:

وأما النص الثاني فهو ما جاء في خاتمة متى من أن المسيح قبيل صعوده إلى السماء "كلمهم قائلاً: فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر. آمين" (متى 28 / 18-20).

وأول نقد يتوجه لهذه الفقرة أنها رغم أهميتها لم ترد في الأناجيل الثلاثة الأخرى التي اتفقت على إيراد قصة دخول المسيح أورشليم راكباً على جحش فهل كان ركوبه على جحش أهم من ذكر التثليث فلم يذكره سوى متى .

هذه الفقرة دخيلة بدليل قول علماء الغرب أيضاً، يقول ويلز: ليس دليلاً على أن حواربي المسيح اعتنقوا التثليث".

(1) التوراة والأناجيل بين التناقض والأساطير - سلامة غنمي - 303.

ويقول أدولف هرنك: "صيغة التثليث هذه التي تتكلم عن الآب والابن والروح القدس، غريب ذكرها على لسان المسيح، ولم يكن لها وجود في عصر- الرسل، كذلك لم يرد إلا في الأطوار المتأخرة في التعاليم النصرانية ما يتكلم به المسيح وهو يلقي مواعظ ويعطي تعليمات بعد أن أقيم من الأموات، إن بولس لا يعلم شيئاً عن هذا: "إذ هو لم يستشهد بقول ينسبه للمسيح يحض على نشر- النصرانية بين الأمم.

ويؤكد تاريخ التلاميذ عدم معرفتهم بهذا النص، إذ لم يخرجوا لدعوى الناس كما أمر المسيح، ثم لم يخرجوا من فلسطين إلا حين أجبرتهم الظروف على الخروج" وأما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذي حصل بسبب استفانوس فجازوا إلى فينيقية وقبرص وأنطاكية وهم لا يكلمون أحداً بالكلمة إلا اليهود فقط" (أعمال 19/11).⁽¹⁾

نقد عقيدة التثليث

وإذا لم نجد للتثليث دليلاً صريحاً واحداً ينهض للاستدلال، فهل ترانا نجد لنقيضه، وهو التوحيد دليلاً في ثنايا الكتاب المقدس؟

إن المتأمل في الأسفار المقدسة يرى بوضوح غرابة دعوى التثليث وتسطع أمامه أصالة التوحيد في النصرانية وبهاؤه، فقد دلت عليه عشرات النصوص الصريحة الناصعة في وضوحها، والتي تؤكد بأن معتقد المسيح وتلاميذه، ومن قبلهم أنبياء الله هو توحيد الله ﷻ.

(1) د. منقذ السقار- مقالات في المسيحية- موقع أنصار العقيدة.

النصوص الموحدة في العهد الجديد:

جاءت أسفار العهد الجديد تؤكد تفرد الخالق بالألوهية والربوبية وتذكر ذلك على لسان المسيح وحوارييه.

❖ يقول المسيح: "ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد، الذي في السماوات. ولا تدعوا معلمين، لأن معلمكم واحد، المسيح" (متى 22 / 9-10).

❖ ومن ذلك أيضاً ما جاء في متى: "وإذا واحد تقدم وقال له: أيها المعلم الصالح، أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعوني صالحاً، ليس أحد صالحاً إلا واحد، وهو الله" (متى 19 / 17).

❖ وكذا قول يوحنا "كلم يسوع بهذا، ورفع عينيه نحو السماء وقال: أيها الآب قد أتت الساعة، مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضاً، إذ أعطيته سلطاناً على كل جسد ليعطي حياة أبدية لكل من أعطيته، وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يوحنا 17 / 2-3)، فليس من إله على الحقيقة إلا هو تعالى، سبحانه .

❖ والتوحيد معتقد تلاميذ المسيح وتلاميذهم، فهاهم عن بولس ينقلون "المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب، الذي وحده له عدم الموت، ساكناً في نور، لا يذني منه، الذي لم يره أحد من الناس، ولا يقدر أن يراه، الذي له الكرامة والقدرة الأبدية". (تيموثاوس (1) 6 / 15-16).

❖ ومما جاء على لسان تلاميذه قول يعقوب "أنت تؤمن أن الله واحد. حسناً تفعل" (يعقوب 2 / 19).

❖ ويقول يهوذا: "الإله الحكيم الوحيد مخلصنا" (يهوذا 25).

❖ بل وحتى بولس نجد له بعض النصوص التي تعترف لله بالوحدانية، ومن ذلك قوله "يوجد إله واحد ووسيط بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح" (تيموثاوس (1) 2 / 5).

❖ ويقول: "لكن الله واحد" (غلاطية 3 / 20).

فهذه النصوص وكثير مثلها تتحدث عن الإله الواحد، وليس في واحد منها أو غيرها حديث عن الإله المتعدد⁽¹⁾.

عقيدة الفداء والصلب

عقيدة الفداء في المسيحية تقوم أساساً على مبدأ الخطيئة الموروثة التي قام بها أبونا آدم.

وأنه لا يوجد طريق إلا الفداء للتكفير عن هذه الخطيئة وإعادة الجنس البشري مرة أخرى للارتباط بالله. وهذه هي الحياة.

أولاً: فلسفة عقيدة الفداء والصلب:

إن الغرابة واضحة في فلسفة تلك الحادثة التي تحولت في نظر النصارى من مصدر للألم، إلى مصدر للفرح والسرور، إذ يعتقد النصارى أن المسيح عليه السلام ابن الله سبحانه وهو في ذات الوقت إله مساو لله أو دونه - على خلاف بينهم في ذلك - وهنا

(1) التوراة والأنجيل بين التناقض والأساطير - سلامة غنمي - بتصرف.

مصدر تنفطر له الأكباد؟! فلاي شيء يترك الإله ابنه، بل كيف للابن - الذي له صفات الإله في نظرهم - أن يترك حفنة من اليهود التعساء تفعل به هذه المهانة، بل وتسخر منه أمام الملائكة: كيف لا تستطيع أن تخلص نفسك؟ كل ذلك وابن الإله: "فالإله عاجز عن دفع الضر عن نفسه فضلاً عن أن يوقع الضر - بغيره ممن صلبه⁽¹⁾."

ويذكر النصارى في أنجيلهم أن المسيح صاح جزعاً: "إيلي إيلي، لم شبقثاني؟" أي: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" (متى الإصحاح (27) رقم (46-47)، ويجب النصارى على هذه التساؤلات الجوهرية - التي تبين فساد وبطلان معتقدهم - بقولهم: إن الخلق ومنذ أن أكل آدم - عليه السلام - من الشجرة وهم يعيشون تحت وطأة الخطيئة، فالمولود يولد مخطئاً ويعيش مخطئاً بعيداً عن الله تعالى جراء تلك الخطيئة الأولى، فلما أراد الله أن يغفر لهم أخرج ابنه وأسكنه في بطن مريم العذراء عليها السلام يتغذى مما في بطنها، ثم أخرجه مولوداً، وترعرع كما يتربع الصبيان، حتى إذا شب وكبر، سلمه لأعدائه ليصلبوه، فيكون ذلك كفارة عن خطيئة آدم عليه السلام التي لحقت سائر الناس، ويذهب النصارى إلى أبعد من ذلك في تفسير حادثة صلب الإله - في نظرهم - إذ يعتقدون أن المسيح - ويسمونه المخلص لم يخلصهم من خطيئة آدم لأولى فحسب، بل خلصهم من جميع الخطايا التي ارتكبوها والتي سيرتكبوها، إذ يكفي في نظرهم أن يؤمن النصارى بالمسيح لينال رضا الله، وليفعل بعد ذلك ما يشاء.

هذه هي فلسفة النصارى بما يفسرون به قصة صلب إلههم.

(1) د. منقذ السقار - مقالات في المسيحية - موقع أنصار العقيدة.

ثانياً: حزقيال 18 ينسف عقيدة الفداء بالإله المصلوب وعقيدة الخطيئة الأصلية الموروثة:

جاء في حزقيال نص طويل ينفي أن يؤخذ الإنسان إلا بما عمل، فقد جاء ما نصه: "... وأنتم تقولون لماذا لا يحمل الابن من إثم الأب. أما الابن فقد فعل حقاً وعدلاً حفظ جميع فرائضي وعمل بها فحياة يحيا.

النفس التي تخطئ هي تموت. الابن لا يحمل من إثم والأب لا يحمل من إثم الابن بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون.

فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياہ التي فعلها وحفظ كل فرائضي وفعل حقاً وعدلاً فحياة يحيا. لا يموت".

وأنظر ترى أن المسيح ﷺ لم يقدم لمن جاء يسأله عن كيف ينال الحياة الأبدية وصفة الفداء بإله مصلوب لمحو أثر الخطيئة الأصلية ولكن بمتهى البساطة والواقعية قال له ما معناه أحفظ الوصايا تكن لك الحياة الأبدية. وأحفظ هنا بمعنى التزم العمل بها والحفاظ على عملها.

شعر علماء النصرانية بما تحويه عقيدة وراثۃ الخطيئة من ظلم للإنسانية، فعملوا على تبريرها لتقبلها العقول وعقوبتها من دون اعتراض ولا إحساس بالظلم، فيقول ندرۃ اليازجي: "آدم هو مثال الإنسان، الإنسان الذي وجد في حالة النعمة وسقط، إذن سقوط آدم من النعمة هو سقوط كل إنسان، إذن خطيئة آدم هي خطيئة كل إنسان، فليس المقصود أن الخطيئة تنتقل بالتوارث والتسلسل لأنها ليست تركة أو ميراثاً.

إنما المقصود أن آدم الإنسان قد أخطأ، فأخطأ جميع البشر إذن، كل واحد قد أخطأ، وذلك لأنه إنسان".

يرى جويل بويد أن لا ظلم في صلب المسيح، إذ أن المسيح بتجسده الإنساني قد أصبح خاطئاً متقصصاً شخصية الإنسان المجرم الخاطيء، وعليه فقد استحق قول التوراة: " النفس التي تخطئ هي تموت."⁽¹⁾

ثانياً: الفرق القائلة بالتثليث:

أ- الفرق الكنيسة القديمة:

والفرق القديمة المشهورة في الديانة المسيحية هي (اليعقوبية) أصحاب يعقوب و (السنطورية) أصحاب سنطوريوس أونسطور و (الملكانية) أي الذين كانوا على دين الملوك الرومانيين.

وقد اتفقت هذه الفرق الثلاث على (أن الخالق الإله جوهر واحد ثلاثة أقانيم. وأن أحد هذه الأقانيم أب والآخر ابن والثالث روح القدس).. وهي نفس عقيدة الفرق الكنيسة المعاصرة.

تقول اليعقوبية والنسطورية بأن الأقانيم الثلاثة هي الجوهر والجوهر هو الأقانيم. أما الملكانية فتقول أن القديم جوهر واحد ذو ثلاثة أقانيم وأن الأقانيم هي الجوهر. والجوهر غير الأقانيم.⁽²⁾

(1) المرجع السابق.

(2) المسيحية والحضارة العربية / 28-31، 30-32.

واختلفوا في المسيح والاتحاد، فزعمت النسطورية أن المسيح إله وإنسان (أي ماسح وممسوح) اتحداً فصار مسيحاً واحداً ومعنى اتحداً أن صار من اثنين واحداً. والمسيح عندهم على الحقيقة جوهران أقنومان، جوهر قديم لم يزل وهو الكلمة التي هي أحد أقانيم الإله. وجوهر محدث كان بعد أن لم يكن وهويسوع المولود من مريم. ويقال بدل كلمة (اتحد) تجسد أو تأنس أو تركب.

وذهب الملكانية إلى أن المسيح جوهران أحدهما قديم والآخر محدث، وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد إلا أنه من جوهرين أحدهما جوهر الإله القديم والآخر جوهر الإنسان فاتحداً وصارا جوهرًا واحدًا أقنومًا واحدًا وقال بعضهم صار طبيعة واحدة، أي أن الجوهر العام اتحد بالإنسان الكلي.

واختلفوا في الصلب والقتل بعد اتفاقهم على وقوع الصلب والقتل ذاته فزعمت النسطورية أن الصلب وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لا هوته (أي من صلب هو الإنسان لا الإله).

وزعم أكثر الملكانية أن الصلب وقع على المسيح بكماله. والمسيح هو اللاهوت والناسوت. كذلك ذكرت أكثر اليعقوبية أن الصلب والقتل في الجوهر الواحد وقد اتفقت الفرق الثلاثة أن المسيح يعبد ويستحق ذلك فمنهم من قال بأنه يعبد بكماله ومنهم من قال بأنه يعبد من جهة لاهوته.

ب - الفرق المعاصرة:

ويمكن اختصارها بما يلي:

- 1 - الكاثوليك: والكنيسة الكاثوليكية هي الكنيسة الغربية أو اللاتينية أو البطرسية أو الرسولية ومعناها (الكنيسة العالمية) ويقول قاداتها بأنهم المسئولون عن

نشر الدين والتبشير به بين الناس وتتبع هذه الطائفة النظام البابوي الذي يرأسه البابا وهناك مجلس أعلى يضمه النظام البابوي يسمى (مجلس الكرادلة) له حق إصدار أنظمة الكنيسة، وأصبح البابا ممثلاً للسيد المسيح أو لله في الأرض. وفي نهاية القرن التاسع عشر، صدر مرسوم عن المؤتمرات الكنيسة يقول بعصمة (بابا روما) لذلك أصبحت كلمته ملزماً.

2- الكنيسة الشرقية أو (الأرثوذكس): أتباعها من البلدان الشرقية كروسيا واليونان ومسيحيو البلاد العربية والشرقية، انفصلت عن كنيسة روما منذ عام 1054 م. ولها عدة كنائس في إدارتها وهناك أسباب كثيرة لنشوء هذه الكنيسة منها: أ- محاولة الشرقيين الحفاظ على عدم الامتزاج بأفكار الوثنيين في أوروبا والتي جاملتهم فيها الكنيسة الكاثوليكية، إلا أنها لم تنتج منها وبقيت خلافاتها شكلية وسياسية (أي إدارية لشؤون الكنيسة) فقد كان الغرض تثبيت سلطة الدولة البيزنطية التي انفصلت عن الإمبراطورية الرومانية، أي أن إحدى أسباب نشوء هذه الكنيسة كان سبباً سياسياً.

ب- وكان من أسباب بقاء وتوسع الكنيسة الشرقية هو عدم رغبتهم في الخضوع إلى إرادة بابا في روما والذي كان يصر على أن يتبعه كل المسيحيين في العالم.

ج- ومن الأسباب العقائدية أن الكنيسة الغربية كانت تقول أن روح القدس قد نشأ عن الآب والابن معاً بينما ترى الكنيسة الشرقية أنه نشأ من الآب وحده، كذلك فإن الكنيسة الشرقية تجعل الآب أفضل من الابن بينما كانت الكنيسة الغربية على أن له طبيعتين ومشيتين^(١).

3 - الكنيسة البروتستانتية (الاحتجاجية):

أو الكنيسة الإنجيلية، أي الذين يعتبرون الإنجيل هو المصدر الوحيد للديانة المسيحية، وبمعنى آخر فإنها تستغني عن القرارات التي يصدرها البابا وقد تأسست هذه الكنيسة بعد الثورة الإصلاحية، ولهذه الكنيسة أتباع كثيرون في إنجلترا وهولندا وألمانيا وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية والدانمارك⁽¹⁾.

الفرق الموحدة

والفرق التي اتسمت أفكارها وعقائدها بالتوحيد هي فرق آييون وفرقة بولص السيمساطي وفرقة آريوس.

أ- أما فرقة آييون Ebion فكانت تقر جميع شرائع موسى عليه السلام وتعتبر عيسى عليه السلام هو المسيح المنتظر الذي تحدث عنه أسفار العهد القديم وتنكر ألوهية المسيح وتعتبره مجرد بشر رسول وكانت لها إنجيل خاص مدون باللغة الآرامية، وتم انقراض هذه الفرقة⁽²⁾.

ب- وأما فرقة السيمساطي Paul de Somosate والذي كان أسقفا لأنطاكيا سنة 260م، أنه أنكر ألوهية المسيح وقرر أنه مجرد بشر رسول وقد عقد بأنطاكيا من سنة 264 - 269 ثلاثة مجامع للنظر في شأنه وانتهى الأمر بحرمانه وطرده. وقد بقى لمذهبه أتباع على الرغم من ذلك حتى جاء القرن السابع الميلادي

(1)

(2) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص / 108.

وبذكر ابن حزم في كتابه (الفصل في المل والأهواء والنحل) عن بولص هذا أنه كان بطرياركياً وكان التوحيد المجرد الصحيح وأن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام ، خلقه الله في بطن مريم من غير ذكر، وأنه إنسان لا ألوهية فيه وكان يقول: لا أدري ما الكلمة (أي الابن) ولا (روح القدس). ويقول ابن البطريق في بيان مذهبه: (أن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره وأن ابتداء الابن من مريم (أي أنه محدث وليس قديماً). ويقول أن الله جوهر وأقنوم واحد ولا يؤمن بالكلمة (أي الابن) ولا (بروح القدس)... قال ذلك بولس السيمساطي وقد يدعي أتباعه (البوليقانيون)⁽¹⁾.

ج- وأما الأريوسيون، فهم أتباع (أريوس) Arius - الذي سبق لنا ذكره وكان قسيساً في كنيسة الإسكندرية. وداعياً قوي التأثير واضح الحجة جريئاً في المجاهرة برأيه، وقد أخذ على نفسه في أوائل القرن الرابع الميلادي مقاومة كنيسة الإسكندرية فيما كانت تذهب إليه من القول بالوهية المسيح وبنوته للأب، فقام بقرر أن المسيح ليس إلهاً ولا أبناً لله وإنما هو بشر مخلوق، وأنكر جميع ما جاء في الأناجيل من العبارات التي توهم ألوهية المسيح. ويلخص ابن البطريق مذهبه فيقول (كان يقول أن الأب وحده الله والابن مخلوق مصنوع وقد كان الأب حيثما لم يكن الابن) وقد تبعه مشايعون كثيرون. فقد كانت كنيسة أسبيوط على هذه الرأي وعلى رأسها (ميليوتس) وكان أنصاره في الإسكندرية نفسها كثيرون في العدد أقوياء في المجاهرة بما يعتقدون. كما تبعه خلق كثير في فلسطين ومقدونيا والقسطنطينية. وذلك على الرغم من حكمها عليه بالطرد من الكنيسة. وقد

(1) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص/ 108.

أصبح مذهباً لدول مسيحية قوية في شمال إفريقيا وجنوب أوروبا. إلا أن المذهب هذا اضمحل وتناقص عدد أتباعه أواخر القرن الخامس الميلادي .

تطابق عقيدة الثالوث المسيحي مع معظم الوثنيات القديمة:

"إن المتبع لعقائد المسيحية يجدها مطابقة لمعظم الديانات الوثنية القديمة، ولا يكاد يوجد فرق بين هذه الديانات وبين المسيحية سوى فروق شكلية بسيطة في الاسم والصورة".

فهناك ثالوث عند قدماء المصريين أشهرها "أوزيرس" وهو الإله الأب "وإيزيس" وهي الإله الأم و "حورس" وهو الإله الابن، وقد عبد هذا الثالوث في لا هوت عين شمس.

وهناك الثالوث البرهمي في الهند، وأشهر وأعظم عبادتهم اللاهوتية هي التثليث، وهذا الثالوث هو (برهما - فشنو - سيفا) ثلاثة أقانيم في واحد:

فالرب: برهمة.

والمخلص: فشنو.

والمهلك: سيفا.

وهناك ثالوث بوذي، أنتشر- في الهند والصين واليابان ويسمى مجموعهم الإله "فو" ، وأيضاً الثالوث الروماني ويتكون هذا الإله من "الله - الكلمة - الروح" إذن فليست عقيدة التثليث في المسيحية إلا فكر وثني عاش في خلد الوثنيات القديمة، وبالمقارنة بين الثالوث المسيحي والثالوث الفارسي يتضح لنا مدى التشابه الكبير بينهما:

الديانة الميثراسية	الديانة المسيحية (عند المسيحيين)
1 - ميثراس وسيط بين الله والناس	1 - المسيح وسيط بين الله والناس .
1 - مولده في كهف	2 - ولد في مذود البقر .
3 - مولده في يوم 25 ديسمبر	2 - يحتفل الغربيون بمولد المسيح في يوم 25 ديسمبر
3 - كان له اثنا عشر حوارياً .	4 - كان له اثنا عشر حوارياً
4 - مات ليخلص العالم .	5 - مات ليخلص العالم .
5 - دفن ولكنه عادة للحياة	6 - دفن وقام في اليوم الثالث .
6 - صعد إلى السماء أمام تلاميذه	7 - صعد إلى السماء أمام تلاميذه
7 - كان يدعى مخلصاً ومنقذاً	8 - خلع عليه بولس لقب المخلص والمنقذ .
8 - ومن أوصافه أنه حمل الله الوديع .	9 - وصفه يوحنا المعمدان بحمل الله الوديع
9 - رسم العشاء الرباني	10 - رسم بولس العشاء الرباني
10 - رسم المعمودية	11 - رسم المعمودية، بدأت بداية صحيحة: "وأمر بطرس أن يعتمدوا باسم الرب" وانتهت بالتثليث " وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس " .
11 - تقديس يوم الأحد	12 - تقديس يوم الأحد

يقول (روبتسون) إن ديانة ميثراس لم تنته في روما إلا بعد أن انتقلت عناصرها الأساسية إلى المسيحية على هذا النحو وليس التشابه فقط مع الديانة الميثراسية بل

تتشابه مع عدد من الديانات الوثنية القديمة التي كانت سائدة في ذلك الزمن وما تزال البعض قائماً حتى اليوم، وحتى يتضح لك أيها القارئ الكريم قوة الاقتباس - الذي يكاد يكون حرفياً - في الديانة المسيحية لما أخذته من الديانات الوثنية القديمة نقوم بنقل بعض المقارنات بينهما.

أقوال الهنود الوثنيين في كرشنا ابن الله	أقوال النصارى المسيحيين في يسوع المسيح ابن الله
➤ كرشنا هو: "المخلص والفادي، والمعزي الراعي الصالح، والوسيط، وابن الله والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس، وهو الآب والابن وروح القدس.	➤ يسوع المسيح هو: "المخلص، والفادي، والمعزي، والراعي الصالح، والوسيط، وابن الله، والأقنوم الثاني. من الثالوث المقدس، وهو الآب والابن وروح القدس.
1 - ...ولد كرشنا من العذراء ديفاكي	1 - ولد يسوع من العذراء مريم.
2 - عرف الناس ولادة كرشنا من نجمه الذي ظهر في السماء	2 - لما ولد المسيح ظهر نجمه في المشرق وبواسطة ظهور نجمه عرف الناس محل ولادته.
3 - كان كرشنا من سلالة ملوكية، ولكنه ولد في غار بحال الذل والفقر.	3 - كان يسوع المسيح من سلالة ملوكية ولكنه ولد في حالة الذل والفقر بغار.
4 - لما ولد كرشنا أضيء الغار بنور عظيم.	4 - لما ولد يسوع المسيح أضيء الغار بنور عظيم، أعيا بلمعانه عيني القابلة وعيني خطيب أمه يوسف النجار.

5- وآمن الناس بكرشنا واعترفوا بلاهوته وقدموا له هدايا من صندل وطيب.	5- وآمن الناس بيسوع المسيح وقالوا بلاهوته. وأعطوه هدايا من طيب ومر.
6- ولد كرشنا بحال الذل والفقر مع أنه من عائلة ملوكية.	6- ولد يسوع المسيح بحالة الذل والفقر مع أنه من عائلة ملوكية.
7- وسمع حاكم البلاد بولادة كرشنا الطفل الإلهي، وطلب قتل الولد، وكى يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا في الليلة التي ولد فيها كرشنا.	7- وسمع حاكم البلاد بولادة يسوع الطفل الإلهي، وطلب قتله، وكى يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل الأولاد الذكور الذين ولدوا في الليلة التي ولد فيها يسوع المسيح.
8- كانت ولادة القديس راما قبل ظهور كرشنا في الناسوت بزمان قليل وقد سعى قانسا ملك البلاد في إهلاك راما، وإهلاك كرشنا أيضاً.	8- وكانت ولادة يوحنا المعمدان قبل ولادة يسوع المسيح بزمان قليل، وقد سعى الملك في إهلاك الطفل يسوع المسيح، وكان يوحنا مبشراً بولادة يسوع المسيح.
9- وفي أحد الأيام لسعت الحية بعض أصحاب كرشنا الذين يلعب معهم فماتوا فأشفق عليهم لموتهم الباكر، ونظر إليهم بعين ألوهيته فقاموا سريعاً من الموت وعادوا أحياء.	9- وبينما كان يسوع يلعب لسعت الحية أحد الصبيان الذين كان يلعب معهم فلمس يسوع ذلك الصبي بيده فعاد إلى حال صحته.
10- وأول الآيات والعجائب التي عملها كرشنا شفاء الأبرص.	10- وأول الآيات والعجائب التي عملها يسوع المسيح هي شفاء الأبرص.
11- كرشنا صلب ومات على الصليب.	11- يسوع صلب ومات على الصليب.

12- لما مات كرشنا حدثت مصائب وعلامات شر عظيم وأظلمت الشمس	12- لما مات يسوع حدثت مصائب متنوعة وأظلمت الشمس.
13- وقال كرشنا للصيد الذي رماه بالنبلة وهو مصلوب: اذهب أيها الصيد محفوظاً برحمتي إلى السماء مسكن الآلهة.	13- وقال يسوع لأحد اللصين الذين صلبا معه: " الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس".
14- ومات كرشنا ثم قام من بين الأموات.	14- ومات يسوع ثم قام من بين الأموات.
15- ونزل كرشنا إلى الجحيم.	15- ونزل يسوع إلى الجحيم.
16- وصعد كرشنا بجسده إلى السماء وكثيرون شاهدوه صاعداً.	16- وصعد يسوع بجسده إلى السماء وكثيرون شاهدوه صاعداً.
17- ولسوف يأتي كرشنا إلى الأرض في اليوم الأخير ويكون ظهوره كفارس مدجج بالسلاح، وراكب على جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض، وتهتز وتساقط النجوم من السماء.	17- ولسوف يأتي يسوع إلى الأرض في اليوم الأخير كفارس مدجج بالسلاح، وراكب جواداً أشهب، وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر أيضاً، وتزلزل الأرض، وتهتز وتساقط النجوم من السماء.
18- كرشنا هو إبراهيم العظيم القدوس وظهوره بالناسوت سر من أسرار العجبية الإلهية.	18- يسوع هو يهوه العظيم القدوس وظهوره في الناسوت سر من أسرار العظيمة الإلهية.
وقال كرشنا: " أنا النور الكائن في الشمس والقمر، وأنا النور في اللهب وأنا نور كل ما يضيء ونور الأنوار ليس في ظلمه".	م كلمهم يسوع قائلاً: " أنا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة.

أقوال الهنود الوثنيين في بوذا ابن الله	أقوال النصارى المسيحيين في يسوع المسيح ابن الله
1- ولد بوذا من العذراء مايا بغير مضاجعة رجل.	1- ولد يسوع المسيح من العذراء مريم بغير مضاجع رجل.
2- كان تجسد بوذا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا.	2- كان تجسد يسوع المسيح بواسطة حلول روح القدس على العذراء مريم.
3- لما نزل بوذا من مقعد الأرواح، ودخل في جسد العذراء مايا، صار رحمها كالبلور الشفاف النقي، وظهر فيه كزهرة جميلة.	3- لما نزل يسوع من مقعد السماوي، ودخل في جسد مريم العذراء صار رحمها كالبلور الشفاف النقي، وظهر فيه يسوع كزهرة جميلة.
4- ولد بوذا ابن العذراء مايا التي حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد "أي في 25 كانون الأول".	4- ولد يسوع ابن العذراء مريم التي حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد "أي في 25 كانون الأول".
5- وعرف الحكماء بوذا وأدركوا أسراراً لا هوته ولم يمض يوم من على ولادته حتى حياة الناس ودعوه إله الآلهة.	5- وقد زار الحكماء يسوع
6- كان بوذا ولداً مخيفاً، وقد سعى الملك بمبسارا وراء قتله لما أخبروه أن هذا الغلام سينزع الملك من يده إن بقي حياً.	6- كان يسوع ولداً مخيفاً، سعى الملك هيرودوس وراء قتله، كي لا ينزع الملك من يده.
7- لما صار عمر بوذا اثنتي عشرة سنة دخل أحد الهيكل، وصار يسأل أهل العلم مسائل عويصة، ثم يوضحها لهم حتى فاق مناظريه كافة.	7- لما صار عمر يسوع اثنتي عشرة سنة جاؤوا به إلى "الهيكل" أورشليم، وصار يسأل الأحرار والعلماء مسائل مهمة، ثم يوضحها لهم وأدهش الجميع.

8- وكان يسوع ماراً قرب حاملي الأعلام فأحنت الأعلام رؤوسها سجوداً له.	8- ودخل بوذا مرة أحد الهياكل، فقامت الأصنام من أماكنها وتمددت عند رجله سجوداً له.
9- لما شرع يسوع في التبشير، ظهر له الشيطان كي يجربه.	9- لما عزم بوذا على السياحة، قصد التعبد والتنسك، وظهر عليه (ماراً) أي الشيطان كي يجربه.
10- فأجابه يسوع، وقال: " اذهب يا شيطان".	10- فلم يعبأ بوذا بكلام الشيطان، بل قال له: " اذهب عني".
11- وصام يسوع وقتاً طويلاً.	11- وصام بوذا وقتاً طويلاً.
12- ويوحنا عند يسوع بنهر الأردن، وكانت روح الله حاضرة، وهو لم يكن الإله العظيم فقط، بل والروح القدس الذي فيه تم تجسده، عندما حل على العذراء مريم، فهو الآب والابن والروح القدس.	12- وقد عمد بوذا المخلص وحين عمادته بالماء كانت روح الله حاضره، وهو لم يكن الإله العظيم فقط، بل وروح القدس الذي تم تجسده حالما حل على العذراء.
13- وعمل يسوع عجائب وآيات مذهشة لخير الناس وكافة القصص المختصة فيه حاوية لذكر أعظم العجائب مما يمكن تصويره.	13- وعمل بوذا عجائب وآيات مذهشة لخير الناس، وكافة القصص المختصة فيه حاوية لذكر أعظم العجائب مما يمكن تصويره.
14- لما مات يسوع ودفن أنحلت الأكفان، وفتح القبر بقوة غير اعتيادية، أي بقوة إلهية.	14- لما مات بوذا ودفن أنحلت الأكفان، فتح غطاء التابوت بقوة غير طبيعية (أي قوة إلهية).
15- وصعد يسوع بجسده إلى السماء	15- وصعد بوذا إلى السماء بجسده لما

16 - ولسوف يأتي بوذا مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها.	من بعد صلبه لما كمل عمله على الأرض.
17 - بوذا الألف والياء ليس له ابتداء ولا انتهاء وهو الكائن العظيم والواحد الأزلي.	17 - يسوع الألف والياء، ليس له ابتداء ولا انتهاء، وهو الكائن العظيم، والواحد الأبدي.
18 - قال بوذا: "فلتكن الذنوب التي ارتكبت في هذه الدنيا علي لأخلص العالم من الخطيئة."	18 - يسوع هو مخلص العالم، وكافة الذنوب التي ارتكبت في العالم تقع عليه عوضاً عن الذين اقترفوها ويخلص العالم.
19 - قال بوذا إنه لم يأت لنقض الناموس كلا، بل أتى ليكمله وقد سره عد نفسه قد خلق في سلسلة المعلمين الحكماء.	19 - وقال يسوع: "لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل."
20 - وكان قصد بوذا تشييد مملكة دينية أي مملكة سماوية.	20 - ومن ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرر ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات."
21 - وقال بوذا: "الرجل العاقل الحكيم لا يتزوج قط، ويرى الحياة الزوجية كأتون ناره متأججه ومن لم يقدر على العيشة الرهبانية يجب عليه الابتعاد عن الزنا."	21 - فحسن للرجل أن لا يمس امرأة ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا لأن التزوج أسلم من التحرق.
22 - كان بوذا يعلم أفكار الناس عندما يدير تصوراتهم، ويقدر على معرفة	22 - كان يسوع يعلم أفكار الناس عندما يدير تصوراتهم ونحوهم وأنه قادر

أفكار المخلوقات كلها.	على معرفة أفكار المخلوقات كلها.
➤ ومن جملة الألقاب والأسماء التي يدعون بها بوذا " والواحد السعيد- والمعلم، والغالب، والواحد المبارك- ورب العالمين- والحاضر- وإله الجميع- والعظيم- والأبدي، ومزيل الآلام والألقاب- وحافظ العالم- والإله بين الآلهة والمولود الوحيد- وطريق الحياة.. الخ.	➤ ويدعون يسوع المسيح عليه السلام بمثل الأسماء والألقاب التي دعي بها بوذا، ومنها أسد سبط يهوذا- المخلص- المولود البكر- إلهاً مباركاً، قدوس الله، إلهاً مباركاً إلى الأبد- ملك الملوك- حمل الله- رب المجد- رب الأرباب- الفادي- المخلص- الوسيط- الكلمة- ابن الله- المولود البكر- حامل الآثام.. الخ ^(١) .

إبطال عقيدة التثليث بأقوال المسيح عليه السلام

- 1- يقول عيسى عليه السلام في إنجيل يوحنا: " وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته فالله سبحانه وحده هو الإله الحقيقي وكل آلهة غيرة باطلة، أما يسوع فهو رسول من عند الله عليه السلام .
- 2- وعندما سأله أحد الكتبة عن أعظم الوصايا: "... فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد..." فهذه هي أعظم وأول كل الوصايا التي جاء بها عيسى من عند الله، لأنها هي وصية جميع الأنبياء عليهم السلام.

3- وفي إنجيل متى: " وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية، فقال له لماذا تدعوني صالحاً، ليس أحد صالحاً إلا واحد هو الله " فالمسيح عليه السلام يرفض أن ينادي بالصالح، وذلك تواضعاً منه عليه السلام كأن تقول لأحدهم أيها الرجل العظيم فيقول لك لست عظيم العظيم هو الله، فنجد عيسى عليه السلام نفى عن نفسه الصلاح وهو نبي فكيف تقولون إنه زعم بأنه إله. هذا أمر لا يستقيم.

إبطال عقيدة التثليث بالدليل العقلي:

1- لقد قال عيسى عليه السلام أنه ليس إلهاً، ونفي الألوهية عن نفسه يترتب عليه، بطلان الثالوث لأن أحد أركان الثالوث هو عيسى عليه السلام وعيسى يقول إنه إنسان وليس إلهاً فكيف يكون ركن من أركان الثالوث الإلهي ثم " ماذا حدث للثالوث عند موت عيسى عليه السلام لمدة ثلاثة أيام كما يذكر الإنجيل " متى (17 / 22)؟! لقد مات أحد أركان الثالوث، فهل صار الثالوث ثلثي إله في تلك المدة أم صار الثالوث ثنائياً؟! !

2- ينقل لنا الشيخ " رحمة الله الهندي " في معرض حديثه عن إبطال التثليث بالأدلة العقلية: " أنه تنصر- ثلاثة أشخاص وعلمهم أحد القسيسين العقائد الضرورية، سيما عقيدة التثليث، فقال إنك علمتني أن الآلهة ثلاثة أحدهم: الذي هو في السماء، والثاني تولد من بطن مريم العذراء، والثالث الذي نزل في صورة الحمام على الإله الثاني بعدما صار ابن ثلاثين سنة، فغضب القسيس وطرده وقال: هذا مجهول " ثم طلب الآخر منهم وسأله، فقال " إنك علمتني أن الآلهة كانوا ثلاثة وصلب واحد منهم، فالباقى إلهان، فغضب عليه القسيس أيضاً وطرده ثم طلب

الثالث وكان ذكياً بالنسبة إلى الأولين، وحريصاً في حفظ العقائد، فسأله فقال " يا مولاي حفظت ما علمتني حفظاً جيداً، وفهمت فهماً كاملاً بفضل الرب المسيح " أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد، وصلب واحد، منهم ومات فمات الكل لأجل الاتحاد، ولا إله الآن، وإلا يلزم نفي الاتحاد".

نعم إن اتحاد ثلاثة أقانيم مختلفة الأشخاص أمر غير منطقي ولا يستطيع العقل فهمه أو إدراكه، فكيف يمكن اتحاد ملاك هو جبريل مع إنسان هو عيسى مع إله هو الله ليكونوا الثالوث النصراني، إن اتحاد ثلاثة مختلفي الذوات والماهيات أمر مستحيل لا يقبله عقل ولا نقل " فهذه العقيدة توجب على المسيحي أن يكتفم أنفاس عقله، ويلجم بصيرته ويلغي كل حق للمنطق عليه.

ونوه هنا إلى أن المسيحيين مختلفون في طبيعة عيسى عليه السلام وفي الروح القدس، فيقولون عن عيسى عليه السلام أنه:

1- ذو طبيعة واحده لأنه إله.

2- ذو طبيعة إلهية + طبيعة إنسية، لأنه ابن الله وابن الإنسان معاً؟! فقد جاء من مريم، ومريم من البشر ويقولون عن الروح القدس:

■ أنه منبثق من الله فقط " وتأخذ بهذا الكنيسة الأرثوذكسية والذي كان هذا سبباً في انفصالها عن الكنيسة الكاثوليكية.

■ أنه منبثق من الله وابن الله، وتأخذ به الكنيسة البروتستانتية، والكاثوليكية.

جميع الأنبياء لم يأتوا بعقيدة التثليث:

إن جميع الأنبياء عليهم السلام قبل عيسى وبعده لم يأت أحد منهم بمثل هذه العقيدة، وإنما جميعهم جاءوا بعقيدة واحدة في الله ﷻ، وهو أن الله إله واحد لا شريك له، فلم يقل أحد بغير ذلك، ولم يذكر أحد شيئاً عن التثليث، فكيف يخفي الله ﷻ هذه الحقيقة العظمى عن أنبيائه ويرسلهم بعقيدة مخالفة لها لماذا يكذب الله تعالى عن ذلك على الأنبياء جميعهم ويقول لهم أنه إله واحد؟! لماذا لم يخبرهم بأنه ثلاثة في واحد؟! لماذا لم يوضح لهم خصوصاً وأن الثالث جميعهم أُرسلوا كانوا قبل إرسال الأنبياء؟!، فالله "الآب" أُرسل، والله "الابن" أُرسل، والله "الروح القدس" أُرسل أيضاً. لماذا عيسى ﷺ وحده الذي جاء بهذه العقيدة؟! كيف يخالف عيسى ﷺ جميع الأنبياء وهو الذي قال: "ما جئت لأنقض الناموس والأنبياء قبلي بل جئت لأكمل؛ كيف يقول هذا ثم يأتي لينقض أصل العقائد وأساسها التي جاء بها جميع الرسل والأنبياء والتي كانت محور دعوتهم جميعاً دعوة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فإما أن يكون عيسى قد قال هذا الكلام وهو ليس صادقاً فيه - ومعاذ الله أن يكون نبي الله غير صادق - وإما أن تكون هذه العقيدة دخيلة على العقيدة السماوية الأصلية التي جاء بها عيسى ﷺ، فنحن نوجه دعوة إلى جميع المسيحيين بأن يقفوا وقفة قصيرة للتفكير في عقيدة التثليث، لأنه لا بد لكل إنسان أن يفهم عقيدته حتى يستطيع عبادة الله على بصيرة.

"فإذا كانت عقيدة التثليث هي أساس الإيمان بالله تعالى في المسيحية وإذا كان المسيح قال حقاً عمدوا باسم الآب والابن والروح القدس، ويريد بذلك ما تعتقده الكنيسة أن الله واحد في ثلاثة أشخاص الإله الآب، الإله الابن، الإله الروح

القدس !! فلماذا تفرد متى فقط بتلك الحقيقة التي هي أساس الإيمان منذ البدء دون سائر كتبة الإنجيل الأخرى " وقد كتبوا من الأمور ما هو أقل شأنًا وأقل قيمة من عقيدة الثالوث؟!

ألم يسمعوا بهذا القول عن المسيح؟!

أم أنهم خانوا المسيح ﷺ ولم يبلغوا !!

أم أن المسيح لم يقل هذا ؟

حركات توحيدية مسيحية حديثة:

تطورت حركات مسيحية توحيدية نبذت عقيد الثالوث ورفضت تأليه المسيح وأعلنت أن الله واحد أحد، وأصرّت على وجوب استخدام العقل والمنطق السليم في الدين، وقد كان ذلك بمثابة عودة إلى فكر النصارى الأوائل ومن خلفهم والذين كانوا قد زالوا من الوجود بنتيجة قمع الكنيسة المسيحية لهم. ففي أمريكا على سبيل المثال تطورت الحركة التوحيدية التي رأى زعمائها أنه يجب الاعتدال وأتباع الفكر السليم، إذ تؤكد على وحده الخالق، وأنه يمكن قبول الكتاب المقدس، شريطة تفسيره بصورة منطقية، وفي العام 1825 م أسسوا ما أسموه الجمعية التوحيدية الأمريكية، ومع نهاية القرن التاسع عشر تبنت الجمعية سياسة التسامح والاعتراف بأنه ثمة حقيقة في الأديان غير المسيحية، ثم في العام 1961 م اتحدت مع الكنيسة الأمريكية العالمية، وأصبح اسمها الجمعية العالمية التوحيدية، وهي ترفض العقائد المتوارثة عن طريق الكنائس، وتؤكد على وحدانية الخالق، وإنسانية المسيح، ومسؤولية الناس عن أعمالهم وإمكانية تحقيق النجاة ليس بالضرورة فقط عن طريق الدين المسيحي، بل بأديان أخرى أيضاً.

الفصل السادس الكتب المقدسة عند المسيحيين

الكتب المقدسة عند المسيحيين

للمسيحيين ثلاثة مصادر رئيسية لعقيدتهم الكنيسة، تتمثل في الكتب المقدسة التالية:

أ- **العهد القديم**: وقد سبقت الإشارة إليه في دراستنا لليهودية. فمن المعروف أن السيد المسيح عليه السلام ما جاء إلا لإصلاح بني إسرائيل أولاً، ولم يبلغ قدسية العهد القديم، فباعثار المسيحيين خلفاء اليهود في العقيدة وطوروا كثيراً من المفاهيم وألغوا مفاهيم أخرى، فإن الكتاب اليهودي المقدس قد جعل مصدر عقائدي من مصادر المسيحية وفي هذا الكتاب (الذي دعى بالعهد القديم تفريقاً له لمجموعة الأنجيل المسيحية والتي دعيت بالعهد الجديد) اختلافات بسيطة في قبول بعض الأسفار أو رفضها أو عدم الاعتراف بشرعيتها .. ولكن مع ذلك فإن نظرهم إليه وإن كانت مقدسة اعتقاداً، إلا أن الكتاب لا يعني شيئاً عند الكثيرين منهم، وعبر عنه البروفيسور (باتهوف) فيلسوف الكنيسة البرتستانتية الميثودية في أمريكا الشمالية، بأن هذا الكتاب ليس إلا كتاباً أدبياً، يعتبر أدبه مقدساً حتى لا يجري تغيير فيه من جانب ومن الجانب الآخر فإن الكتاب جاء على لسان أشخاص أرسلهم الله إلى أرضه، إلا أن الأنجيل هي كتاب المسيح عليه السلام والذي يعتبر في الديانة المسيحية (إلهاً) أو (أقنوماً).

ب- **العهد الجديد**: وهو كتاب المسيحيين المهم لأنه يحوي ماله علاقة بالعقيدة الجديدة التي جاء بها المسيح موجودة بنصها فيه وإن كان قد روي عن

طريق أشخاص روحانيين لهم كراماتهم وينقسم هذا الكتاب إلى أناجيل أربعة قانونية وشرعية معترف بها من قبل كل المسيحيين.

وكان مجمع نيقية المنعقد سنة 325 م قد أقر هذه الأناجيل وحرّم ما يربو على الثلاثمائة إنجيل آخر.

ثم أقرت الكنيسة عام 374 م مجموعة من رسائل الحوارين لتطلق عليها اسم رسائل الرسل وتضمها إلى الأناجيل الأربعة ليتشكل منها العهد الجديد من الكتاب المقدس.

تاريخ كتابة الأناجيل

من العسير جداً تحديد تاريخ كتابة الأناجيل، ومن الصعب أيضاً معرفة كتابها الحقيقيين رغم أنها اعتمدت الكنيسة الأناجيل الأربعة في مجمع نيقية دون غيرها.

1- إنجيل متى:

أما (إنجيل متى) فإنه ينسب إلى القديس متى، وهو أحد تلامذة السيد المسيح، وكان يهودياً يعمل عشاراً يجبي الضرائب للحاكم الروماني كلوديوس، آمن بالمسيح ^{عليه السلام}، واتبعه، وترك وظيفته.

بالتحقيق عندي أن هذا الإنجيل ليس لمتى الحواري، ويدل على ذلك أمور:

الأول: إن ترجمات (العهد الجديد) التي وضعت باللغة الإنجليزية، وخاصة ترجمة الملك (جيمس) والتي تعتبر من أوثق الترجمات في الغرب، هذه الترجمة

تشرع بهذه الكلمة في بداية كل إنجيل (The Gospel according to St. matthew) ومعنى هذه الجملة (الإنجيل كما رواه القديس متى). ويعني ذلك أن نسبة الإنجيل لمتى الحواري، نسبة مشكوك فيها فكيف ينسب كتاب مجهول المؤلف إلى الوحي والمسيحيون الغربيون أكثر تحريماً للحقيقة، وأقوى على النطق بها، وهذا لا نجده في الترجمات العربية، إلا ما شذ.

ومن صرح بذلك الترجمة المطبوعة في (بيروت 1989 لجمعية الكتاب المقدس في المشرق)، وهو (الكتاب المقدس الكاثوليكي) فقد كشف المحققون فيها الحقيقة، فقالوا: أما المؤلف فالإنجيل لا يذكر عنه شيئاً، وأقدم تقليد كنسي- باباياس - أسقف (هيرابوليس)، في النصف الأول من القرن الثاني، ينسبه إلى الرسول متى - لاوي وكثير من الآباء (أوريجينس وهيرونيمس وأبيغانيوس) يرون ذلك الرأي. وهناك بعض المؤلفين الذين يستخلصون من ذلك أنه يمكن أن تنسب إلى الرسول صيغة آرامية أولى، أو عبرية، لإنجيل متى اليوناني، لكن البحث في الإنجيل لا يثبت هذه الآراء دون أن يطلها، مع ذلك على وجه حاسم، فلما كان لا نعرف اسم المؤلف معرفة دقيقة، يحسن بنا أن نكتفي ببعض الملامح المرسومة في الإنجيل نفسه⁽¹⁾.

الثاني: إن الإنجيل نفسه صريح بأنه لشخص ثالث، وليس للحواري متى. ففي الإصحاح التاسع منه عند الحديث عن أول لقاء للمسيح بمتى العشار يقول:

(1) الكتاب المقدس: مقدمة إنجيل متى: ص 35.

(ومضى يسوع فرأى في طريقه رجلاً جالساً في بيت الجباية يقال له متى، فقال له اتبعني ! فقام فتبعه)⁽¹⁾.

وهذا النص صريح من أن كاتب الإنجيل شخص ثالث غير المسيح، وغير متى، وهذا الأمر واضح لمن كان له أدنى فهم للغة. وقد كتب السيد (ج. ب. فيلبس) وهو أستاذ في علم اللاهوت بالكنيسة البريطانية، كتاباً، وبين فيه هذه الحقيقة، وأن هذا الإنجيل ليس لمتى الحواري، وهذا يفهم أيضاً من الإصحاح العاشر عند سرده لأسماء التلاميذ حيث قال: (ومتى العشار) ولم يقل وأنا متى.

الثالث: السرقات الهائلة التي أخذها متى من مرقس الذي هو أول الأناجيل. فإذا كان متى العشار هو كاتب الإنجيل، فكيف يسرق ستمائة آية من الستمائة والإحدى والستين التي يشتمل عليها (إنجيل مرقس)، هذا مع أن متى هو تلميذ المسيح بينما مرقس ليس هو من التلاميذ وربما لم يشاهد المسيح في حياته فكيف يسرق التلميذ هذا العدد الضخم من الآيات من شخص لم يكن من التلاميذ، ولا من الذين سمعوا من المسيح.

تاريخ كتابة إنجيل متى:

اختلف علماء النصارى في تاريخ كتاب (إنجيل متى) فقليل إنه كتبه ما بين (سنة 60-79 ميلادية). قال (ول ديورانت)، ويعتقد (إيريونس) أنه كتب في الأصل باللغة العبرية - أي الآرامية - ولكنه لم يصل إلينا إلا باللغة اليونانية، وإن كان النقاد يميلون إلى القول بأنه من تأليف أحد أتباع متى، وليس من أقوال العشار

نفسه، وحتى أكثر العلماء يرجعون به إلى تلك الفترة البعيدة المحصورة بين (عامي 75 - 90 ميلادية)⁽¹⁾.

وهذا الاختلاف في كتاب الإنجيل، وتاريخ كتابته، وضياح النسخة الأصلية التي كتبت باللغة الآرامية، وعدم معرفة المترجم الذي ترجمه إلى اللغة اليونانية، وعدم معرفتنا بمقدار تضلعه باللغتين العبرية واليونانية، وانقطاع سند هذا الإنجيل، كل ذلك يوجب ضعف هذا الإنجيل، وسقوطه عن الحجية.

وقد وصف (نورثن) مترجم (إنجيل متى) الكاتب بأنه لا يميز بين الخبيث والطيب، وهو كخاطب ليل، لا يميز بين الرطب واليابس، وليس من البعيد أن يكون أحد أعداء المسيحيين - الذين حاربوا المسيح وأتباعه - قاموا بالدرس فيه، ويقوي هذا الاحتمال ما نقله صاحب كتاب (الفارق) عن (نورثن) أحد علماء النصارى عند تفسيره للفقرة الثانية والخمسين من الإصحاح السابع والعشرين منه، وهو قوله:

(الأرض تزلزت، وتشققت الصخور، وتفتحت القبور، وكثير من أجساد القديسين الراقدين قاموا وخرجوا من قبورهم بعد قيامته، ودخلوا إلى المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين، والآية تحكي أن المسيح قام من الموت بعد الصلب كما يزعمون).

قال نورثن: إن هذه الفقرة مناقضة لقول بولس بأن عيسى أول القائمين، وباكورة الراقدين، ثم قال: هذه الرواية كاذبة، والغالب أن أمثال هذه الحكايات

(1) قصة الحضارة: 11 / 208. وقد تردد في هذا أيضاً صاحب قاموس الكتاب المقدس في مادة متى: ص 832 -

كانت رائجة عند اليهود، بعدما صارت أورشليم خراباً، فلعل أحداً كتب في حاشية النسخة العبرانية لإنجيل متى هذه الجملة، وأدخلها الكتاب في المتن، وهذا المتن وقع في يد المترجم، فترجمها على أنها من الأصل⁽¹⁾.

وقال (جرجس زوين) الماروني اللبناني في كتاب له طبع في بيروت (سنة 1873) والمترجم من اللغة الفرنسية:

إن متى كتب بشارته، أي إنجيله في أورشليم (سنة 39) للمسيح على ما ذهب إليه القديس (إيرونيوس) والسبب في ذلك على ما ذهب إليه القديس "أبيفانوس"، إما إجابة لليهود الذين آمنوا بالمسيح، أو إجابة لأمر الرسل، ولم يكتب إنجيله باليونانية بل بالعبرية على زعم "أوسيبيوس" في تاريخه، وقد وافق "أوسيبيوس" القديس "إيرونيوس" أن (بانيوس) إذ كان قد ذهب ليكرز بالإيمان المسيحي في الهند، وجد إنجيلاً لمتى الرسول مكتوباً بالعبرانية، فجاء به إلى الإسكندرية، وبقي محفوظاً في مكتبة قيصر في أيامه، لكن هذه النسخة العبرانية قد فقدت، وبعد فقدتها ظهرت ترجمتها في اليونانية، ولم يعرف الذي ترجمها⁽²⁾.

2- إنجيل مرقس:

كان مرقس يهودياً من بيت لاوي، وقد ولد في إقليم الخمس مدن، تتلمذ على يد بطرس الرسول، وقتل في الإسكندرية - كما في أعمال الرسل (عام 68م) على يد الوثنيين في عهد (نيرون) وقد كتب إنجيله بناء على طلب أهل رومية، ما بين (عامي

(1) الفارق بين المخلوق والخالق: ص 21.

(2) نقل ذلك النجار في كتابه (قصص الأنبياء). وصاحب كتاب (الفارق بين المخلوق والخالق: ص 21).

60-70 ميلادية)، ونقل فيه نظريات أستاذه بطرس، وكان بطرس يقول بإنسانية المسيح، وعدم لاهوته بالمعنى الذي أراده بولس، كما جاء في أعمال الرسل⁽¹⁾.

قال (ول ديورانت) نقلاً عن (بياس): "إن مرقس ألف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس، وقال: ويتفق الناقدون الثقة بوجه عام على أسبقية (إنجيل مرقس) في الزمن، على سائر الأناجيل، وفي تحديد تاريخه بين (عامي 65-70م)"⁽²⁾.

ويذهب ابن بطريق في تاريخه، إلى أن بطرس هو الذي كتب (إنجيل مرقس) بالرومية في مدينة رومية، ونسبه إلى مرقس⁽³⁾.

3- إنجيل لوقا:

هو من أوضح وأصرح الأناجيل دلالة على عدم كونه من كتب الوحي، وذلك لأنه يحمل دليله بنفسه: ففي افتتاحية الإصحاح الأول منه، يصرح لوقا بأنه كتب إنجيله لصديق له:

(إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتينة عندنا كما سلمها إلينا الأولون الذين كانوا من قبل معاً بنين وخداماً للكلمة رأيت أنا أيضاً- إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق- أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به).

(1) أعمال الرسل: 22/2.

(2) قصة الحضارة: 207-208/11.

(3) تاريخ ابن بطريق: 44/1.

وكفى بهذا الكلام دليلاً على أن الأناجيل من وضع أناس عاديّين وليست بكتب وحي.

وقد اختلفت كلمات الباحثين حول لوقا، والأغلب على أنه من أهل (أنطاكية)، وأنه تلميذ بولس الذي كان عدواً لدوداً للنصارى، وقد آمن بالمسيح بعد موته، وهو الذي شيد أركان النصرانية، وأحل الكثير مما حرّمته التوراة، وهو الذي أدخل العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، وسوف نفصل هذه المسألة في الصفحات القادمة.

وقد اتفقت كلمات العلماء على أن لوقا لم ير السيد المسيح، وقد كتب إنجيله باللغة اليونانية بين (عامي 60-70 ميلادية) على أشهر الأقوال.

قال (ول ديورانت): "والإنجيل حسب نص القديس لوقا - وهو النص الذي يعزى عادة إلى العقد الأخير من القرن الأول - يعلن أنه يرغب في تنسيق الروايات السابقة عن المسيح، والتوفيق بينها، وأنه يهدف إلى هداية الكفرة، لا اليهود، وأكبر الظن أن لوقا نفسه كان من غير اليهود، وأنه كان صديقاً لبولس، مؤلف (سفر أعمال الرسل)، وهو يقتبس كثيراً من كتابات مرقس، كما يقتبس منها متى، فإنك لتجد في (إنجيل متى) ستمائة آية من الستمائة والإحدى والستين، التي يشتمل عليها النص المعتمد لإنجيل مرقس، وتجد منها ثلاثمائة وخمسين في (إنجيل لوقا) تكاد تكون هي بنصها، وفي (إنجيل متى) كثير من الفقرات التي توجد في لوقا، ولا توجد في (إنجيل مرقس)⁽¹⁾.

و(إنجيل لوقا) هو الإنجيل الوحيد الذي له مقدمة، وهذه المقدمة موجهة إلى رجل اسمه (ثاوفيلس)، وهو بنفسه صاحب المقدمة في (أعمال الرسل)، ومن هنا يرى الكثيرون أن مؤلف (إنجيل لوقا)، و(أعمال الرسل) واحد.

4 - إنجيل يوحنا

يرى الكثير من علماء النصارى أن يوحنا صاحب الإنجيل هو يوحنا أحد تلاميذه المسيح الإثني عشر ابن زبدي الصياد، وكان من المقربين إليه.

وقبل أن يؤمن يوحنا بالمسيح، كان يعمل صياداً كأبيه، وبعد أن آمن بالمسيح ترك مهنته. وقد ألف إنجيله باللغة اليونانية، وهو يختلف عن الأناجيل الثلاثة الأخرى، فقد ركز فيه على لاهوتية المسيح باعتباره كلمة الله، وخالق العالم، ومنقذ البشرية.

فهو يناقض الأناجيل الأخرى في التفاصيل والصورة العامة التي يرسمها للسيد المسيح.

تاريخ تأليف إنجيل يوحنا:

اختلفت كلمات الباحثين حول تاريخ تأليفه، فزعم بعض العلماء أنه كتبه (سنة 65 ميلادية) قبل خراب أورشليم، وذهب آخرون إلى أنه كتبه (سنة 98 ميلادية). ومن سبر غور هذا الإنجيل يجد أنه كتب في القرن الثاني، لأن فكرة لاهوتية المسيح ظهرت في نهاية القرن الأول، ولم تكن معروفة عند المسيحيين قبل ذلك، ولذا لم يتعرض لها أصحاب الأناجيل الثلاثة، وإلا لكان ذلك خيانة للأمانة، والعجب من الكنيسة كيف تركت العقيدة حول المسيح كما تصورها الأناجيل

الثلاثة، وتبنت فكرة ألوهية المسيح التي طرحها يوحنا في إنجيله، فتركت الأناجيل الثلاثة، وتبنت فكرة يوحنا في إنجيله، وهذا خلاف موازين العلم والمنطق .

والحاصل أن يوحنا حينما اختلف الأساقفة في حقيقة المسيح، وطلبوا منه أن يبين لهم ذلك، فكتب لهم إنجيله، فكانوا السبب في كتابته، وبإحياء منهم، لا من روح القدس.

هذا وذهب فريق آخر من علماء النصارى ومفكرهم إلى أن هذا الإنجيل ليس ليوحنا بن زبدي الصياد، ففي (دائرة المعارف البريطانية) التي شارك في تأليفها أكثر من خمسمائة عالم من النصارى الغربيين، في مادة (إنجيل) ما هذا نصه:

أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية، ولا شك، كتاب أراد صاحبه مضادة حواريين لبعضهما، وهما القديسان يوحنا ومتى، ولقد أدعى هذا الكاتب في متن الكتاب أنه هو الحوارى الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علامتها، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى، ووضعت اسمه على الكتاب، مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً.

ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه، وإنا لنشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا - ولو بأوهى رابطة - ذلك الرجل الفلسفى الذي ألف الكتاب في الجيل الثانى، بالحوارى يوحنا الصياد الجليلي، فإن أعمالهم تضع سدًى، لخطبهم على غير هدى.

وذهبت جماعة ثالثة إلى أن هذا الإنجيل تأليف طالب من طلاب مدرسة

وقالت جماعة رابعة: إن إنجيل يوحنا ورسائله ليست من تصنيفه. بل صنفها بعضهم في بداية القرن الثاني، ونسبها ليوحنا، ليتقبلها الناس، ويأخذوا بها.

وقالت جماعة خامسة: إن هذا الإنجيل كان في الأصل عشرين باباً، فألحقت كنيسة (أفاس) الباب الحادي والعشرين بعد موت يوحنا.

وبالتحقيق فإن هذا الإنجيل ليس ليوحنا تلميذ المسيح، ويدل على ذلك أن مرقس ولوقا ذكراً معجزة للسيد المسيح، وقالوا: إن يوحنا الصياد كان شاهداً عليها معها⁽¹⁾.

وهذه المعجزة لم يذكرها يوحنا في إنجيله فلو كان الكاتب هو يوحنا الحواري، لما فاتته هذه المعجزة التي كان شاهداً عليها هذا أولاً.

ثانياً: لم يذكر يوحنا العشاء الرباني - (أفخار ستيا) الذي ذكره أصحاب الأنجيل الثلاثة، الذي قدم فيه (يسوع نفسه عشية موته لتلاميذه ليأكلوه، فقدم جسمه مأكلاً، ودمه مشرباً، تحت أشكال الخبز والخمر الملموسين، والعشاء الرباني هذا من أهم الأسرار المقدسة في الديانة النصرانية، فكيف لم يذكره يوحنا في إنجيله مع أنه كان حاضراً ذلك العشاء. فلو كان كاتب الإنجيل هو يوحنا الحواري لما غفل عن هذا الحدث العظيم، الذي هو من أهم الأسس التي بنيت عليها النصرانية.

ثالثاً: بالإضافة إلى ما تقدم فإنه من غير المعقول أن يكون كاتب (سفر الرؤيا) هو نفسه كاتب (إنجيل يوحنا)، وذلك لأن منهج (سفر الرؤيا) منهجاً دينياً، بينما

(1) مرقس: 9/ 1-8. لوقا: 9/ 28-36.

إنجيل يوحنا فإن الفلسفة اليونانية غالبية عليه، وبدايته تدل على أن الكاتب كان متأثراً بالفلسفة، أو فيلسوفاً.

(في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله.. كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان، فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس، والنور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه)⁽¹⁾.

رابعاً: خاتمة هذا الإنجيل دليل صريح على أن كاتبه غير يوحنا التلميذ، ففي الآية الرابعة والعشرين من الإصحاح الواحد والعشرين، وهي آخر فقرة في هذا الإنجيل، يقول الكاتب: (هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا، وكتب هذا، ونعلم أن شهادته حق، وفي طبعة (سنة 1823 م، و 1844 م): (هذا هو ذلك التلميذ الذي شهد بهذه، وكتب هذه، ونحن نعلم أن شهادته هي حق). وفي طبعة (سنة 1825 م و 1826 م): (وهذا هو التلميذ الثاني يشهد بهذه الأشياء، ويكتبها، ونحن نعلم أن شهادته صادقة، وفي طبعة (سنة 1882 م) (وهذا التلميذ هو الشاهد بهذه الأمور، وهو الكاتب لها، وقد علمنا أن شهادته حق).

فجميع هذه النصوص تستخدم ضمير الغائب، بينما الكاتب يقول في حق نفسه: (علمنا ونعلم)، بصيغة المتكلم، وهذا مما يدل على أن الكاتب هو غير يوحنا، وقد وجد شيئاً من مكتوبات يوحنا، فنقل عنها في كتابه الذي سماه (إنجيل يوحنا).

خامساً: تفرد (إنجيل يوحنا) بلاهوتية المسيح، وأنه كلمة الله، وخالق العالم، ومنقذ البشرية، وهو دليل لا يقبل الشك على أن هذا الإنجيل كتب بعد القرن الثالث المسيحي، وبعد ان انعقد (مجمع نيقية)، وذلك بعد أن بعث الملك

(قسطنطين) إلى جميع البلدان، فجمع من البطارقة والأساقفة في مدينة (نيقية) 2048 رجلاً، وبعد الاختلاف والتناحر بينهم في حقيقة المسيح، عمد الإمبراطور (قسطنطين)، وهو الوثني الذي لم يتخل عن وثنيته وإنما تعمد في آخر لحظات حياته وهو على فراش الموت. وبما أن الإمبراطور كان يميل إلى القول بالوهية المسيح، طبقاً لما زعمه (بولس) فاختار من المجتمعين (318 أسقفاً)، من أشد المتعصبين لرأيه، وألف منهم مجلساً خاصاً، خوله إصدار ما يراه من قرارات.

وفي هذا الصدد يقول المؤرخ المسيحي (ابن البطريق): "وضع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفًا مجلساً خاصاً عظيماً، وجلس في وسطهم، وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه، فدفعه إليهم، وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على مملكتي، لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين، وصلاح المؤمنين. فباركوا الملك، وقلدوه سيفه، وقالوا له: أظهر دين النصرانية، وذبح عنه. ووضعوا له أربعين كتاباً في السنن والشرائع".

ومن أهم القرارات التي اتخذوها في ذلك المجتمع:

- 1 - القول بإثبات ألوهية المسيح وإقرار عقيدة التثليث.
- 2 - تكفير من يقول بإنسانية المسيح.
- 3 - إحراق جميع الكتب التي لا تقول بالوهية المسيح، أو تحريم قراءتها، ومن هذه الكتب أناجيل فرق التوحيد التي تقرر بشرية المسيح، وأنه رسول فقط ومنها (إنجيل برنابا).*

(إن الجامعة المقدسة، والكنيسة الرسولية. تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجوداً فيه، وأنه لم يوجد قبل أن يولد، وأنه وجد في الإثنين، أو من يقول إن الابن وجد من مادة، أو جوهر غير جوهر الله الأب. وكل من يؤمن أنه خلق، أو يقول أنه قابل للتغيير، ويعتريه ظل دوران)⁽¹⁾.

موضوع إنجيل يوحنا:

ونحن نعرف رأينا في النقاط التالية:

- 1 - كان لدى يوحنا بن زبدي بعض من مذكراته المكتوبة على عادتهم.
- 2 - طلب منه تأليف إنجيل فلسفي لإثبات لاهوت المسيح وللرد على إتباع الممعدان والاتجاهات المضادة لاتجاه الكنيسة في تأليه المسيح الكلمة.
- 3 - مات يوحنا قبل تحقيقه لرغبة الكنيسة. فلم تسمح ظروف حياته بتحقيقها ولم ينقل أنه سلم الإنجيل لطالبيه. ولم يشهد أحد تلاميذه بذلك، فقد مات في نهاية القرن الأول تقريباً.
- 4 - كان يوحنا الشيخ موجوداً فقام بالتأليف مستعيناً بمذكرات يوحنا المكتوبة وذاكراته المروية المسموعة إلا أنها حولها عن مضمونها وحررها لتكون شهادة للإله الكلمة وكان ذلك في الربع الأول من القرن الثاني، وبمعاونة مجموعة من فلاسفة الشتات الوافدين من الإسكندرية مثل أبوليس الذي كان مقتدرًا على ذلك.

(1) النصرانية والإسلام: ص 32-33. راجع أيضاً قاموس الكتاب المقدس: ص 232-233.

* هنا تخصيص لانجيل برنابا لانه انجيل مطبوع

5- عندما ظهر الإنجيل حمل اسم "يوحنا" ليروج وكان ذلك بعد الفراغ من التأليف. ولم ينظر أحد نسبتة رغبة لحاجة الكنيسة الملحة في مواجهة الفلسفة والاتجاهات المناهضة.

6- ملامح يوحنا الشيخ ظاهرة في طابع الإنجيل اليهودي الفلسفي الاسكندراني اليوناني البليغ.

7- وهي غير ملامح يوحنا بن زبدي عديم العلم، العلمي، صاحب الأسلوب الركيك المملئ بالأخطاء اللغوية التي لا يقع فيها تلميذ مبتدئ في مدرسة يونانية.

يتمسك المقلدون مع أنه ينفي بطابعه الفلسفي أن يكون ابن زبدي هو مؤلفه ولم يعتر بابن زبدي بل تحدث عنه بأسلوب الغائب.

الفصل السابع موقف القرآن من الإنجيل

موقف القرآن من الإنجيل

موقف القرآن من الكتب المقدسة

أولاً: نلاحظ أن القرآن يطلب من أتباعه أن يؤمنوا بجميع الكتب التي نزلت قبله على أنبياء الله ورسوله:

صحف إبراهيم، وتوراة موسى، وزبور داود، وإنجيل عيسى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 84].

ثانياً: يقابل هذا الموقف الإيجابي موقف آخر سلبي إذ إننا نقع على آيات عديدة يهاجم فيها أهل الكتاب فيقول: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: 15].

وهناك آيات يوبخ فيها اليهود والنصارى لأنهم حرفوا وزوروا كتبهم المقدسة ملبسين الحقيقة ثوب الباطل: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 42].

كما أنه يتهمهم بتحريف ألفاظ كلمات الكتاب ليبرهنوا للناس أن ما يقولونه موجود حقيقة: ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونَهُ لَيَسْتَنْتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ

وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ [آل عمران: 78].

نكتفي بالإشارة إلى هذين الموقفين المتناقضين في القرآن وننتقل إلى موقف المسلمين من الإنجيل لنفهم أيضاً كيف يفسرون هذا التناقض الظاهر في موقف القرآن.

موقف المسلمين من الإنجيل

مما لا شك فيه أن موقف المسلمين من الإنجيل لا يمكن أن يكون مخالفاً لموقف القرآن ولكنهم في معظم الأحيان يعتمدون على المفسرين الذين بدورهم يستندون إلى الأحاديث النبوية ومصادر أخرى لشرح هذه المواقف التي تتأرجح بين التشدد والاعتدال، ولكنها تلتقي في المواضيع الجوهرية.

نكتفي بعرض المبادئ دون الدخول في النقاش:

1 - الإنجيل هو كتاب النصراني. ويفسر المسلمون معنى كلمة "كتاب" شرعاً بأنه كلام من كلام الله تعالى فيه هدى ونور يوحي الله به إلى رسول من رسله ليلبغه للناس. فكلمة كتاب تشمل إذن كل ما أوحى به الله لفظاً ومعنى وكتابة مهما اختلفت اللغات التي نزل فيها.

2 - إلا أن جميع هذه الكتب كانت تستمد معلوماتها من نبغ واحد هو الكتاب الكبير أو اللوح الكبير المحفوظ في السماء. وليس هذا اللوح المحفوظ في الحقيقة سوى القرآن ذاته: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ* فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروح 21 - 22].

3- يميز المسلمون بوضوح بين كتاب يسمونه "إنجيل عيسى" والأنجيل الأربعة المتداولة في الأوساط المسيحية. فهم يؤكدون بالإجماع أن هذا الإنجيل قد نزل على عيسى من عند الله، فهو كتاب الوحي الإلهي إذ لا بد لكل مرسل أو نبي من كتاب: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: 213].

4- ويؤكدون أيضاً إن إنجيل عيسى المذكور في القرآن، وهو لأصل الإلهي، قد ضاع فهم يطالبون دائماً وتكراراً "بإنجيل عيسى". ولا يصح بنظرهم الاعتقاد بأي كتاب من العهدين القديم والجديد على أنه كتاب من عند الله أو أنه يحوي الوحي الإلهي.

5- يفهم المسلمون دعوة القرآن إلى الإيمان بالكتب التي سبقته فقط من حيث العقيدة ذاتها التي يعترف بها القرآن، وتلخص بتوحيد الله والإخلاص له وبآيات الأخلاق "فهذه الأسس لا تختلف باختلاف الرسل والأمم".

6- أما سبب رفض المسلمين للأنجيل الأربعة فيستند على رأيهم بأنها غير منزلة من الله بل هي تأليف الحواريين. والحواريون هم الصالحون وأنصار المسيح ولكنهم ليسوا من الأنبياء، لذلك فهم ليسوا بمعصومين وليسوا أيضاً رسل الرب، بل تلاميذ أرسلهم لكي يمشروا بها ورد في إنجيله. لذا فهذه الأنجيل هي عبارة عن ذكريات أو كتب تتحدث عن حياة وأعمال وتعاليم المسيح، فهي ليست سوى أعمال بشرية محضة، وليست كما يدعى المسيحيون كتباً دونت بإلهام الله، ولا تحوي كل ما ورد في إنجيل عيسى.

7- كما يشكك معظم المسلمون بصحة وتاريخية الأناجيل الأربعة وخاصة إنجيل يوحنا. وإذا اعتمدها بعضهم فما ذلك إلا للكشف عن الآيات التي بحسب رأيهم، تشير إلى أن المسيح ليس إلهاً، أو إلى أن الروح القدس "الفرافيط" هو محمد.

8- إن تشكيك المسلمين بالأناجيل الأربعة يستند أيضاً إلى انقطاع التواتر بين الإنجيليين (مرقس ولوقا) والمسيح، وعلاوة على ذلك يقولون إن هذه الأناجيل ملأى بالاختلافات والتناقضات من حيث المكان والزمان ورواية الحدث الواحد وللبرهان على أقوالهم يعمدون إلى مقارنة النصوص الإنجيلية فيما بينها.

9- هذا ويتهمون المسيحيين بأنهم حرفوا زوروا وبدلوا الكتب المقدسة كما يؤكدون أنهم قد محوا وأخفوا وحوروا كل ما يتعلق برسالة محمد: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: 15].

ولكي تعبر هذه الكتب مقبولا، لابد من أن تشمل نبوءة محيى محمد المرسل إلى الناس كافة كما ذكر القرآن: ﴿الذي تجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر﴾ [الأعراف: 157].

10- إن معظم المسلمين يثقون بإنجيل برنابا أكثر من الأناجيل الأخرى لأنه يذكر محمداً ويتمشى مع الأفكار الواردة في القرآن، رغم أن المسلمين لا يعترفون إلا بالإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام.

11- ولكننا نجد بعض المسلمين المعتدلين الذين قبلوا بتاريخية الأناجيل واعتمدوا النصوص باحترام بالغ، ولكنهم ظلوا في نطاق علم التاريخ أو التأمل

الشخصي، ولم يقبلوا بأنها ملهمة أو أنها تحوي الوحي الإلهي. (أمثال عباس محمود العقاد وخالد محمد خالد).

12- إن جميع المفسرين ينتهون إلى اعتبار القرآن الكتاب الأوحى لأنه يحوي الوحي الإلهي بأجمعه الذي أعطى إلى الأنبياء لأن دين الله واحد، وهو يفوق جميع الكتب السابقة، لا بل ينسخها لأنه (خاتم النبوة).

13- وبالنسبة لهم يبقى القرآن الميزان الثابت والمعياري الأوحى لقبول أو رفض أي نص من الكتاب المقدس، وإليك القاعدة التي يتبناها المسلمون: "إن مضمون كل نص من نصوص كتب أهل الكتاب الحالية سواء أكانت خبراً تاريخياً أو حقيقة علمية أو حكماً شرعياً، إن صدقة القرآن أو صدقة السنة فهو مقبول عندنا يقيناً، وإن كذبه القرآن أو كذبه السنة فهو مردود عندنا يقيناً، وإن سكت القرآن وسكت السنة عن تصديقه أو تكذيبه فإننا نسكت عنه، فلا نصدق ولا نكذب لاحتمال الصدق والكتب فيه إلا إذا دلت دلائل العقل أو دلائل الواقع على تصديقه أو تكذيبه فإننا نتبع حكم هذه الدلائل من تصديق أو تكذيب⁽¹⁾.

البشارة بالنبي محمد في التوراة والإنجيل

(ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد)

هناك ثلاث نسخ للتوراة: العبرانية، واليونانية، والسامرية، وكل قوم من أهل الكتاب يدعون أن نسختهم هي الصحيحة، وهناك فروق واضحة بين طبعات التوراة وترجماتها. وقد أدى هذا التحريف إلى ذهاب كثير من البشارات أو طمس

(1) حنكه: ص 296.

معالمها، ومع ذلك فقد بقي من هذه البشارات شيء كثير، ولا تخفى هذه البشارات على من يتأملها، ويعرضها على سيرة رسول الله ﷺ متجردا من الهوى.

لقد صرحت بعض هذه البشارات باسم محمد ﷺ وقد أطلع بعض العلماء المسلمين على هذه النصوص، ولكن التحريف المستمر لهذا الكتاب أتى على هذه النصوص، فمن ذلك ما ورد في سفر أشعيا: (إني جعلت أمرك محمدا، يا محمد يا قدوس الرب، اسمك موجود من الأبد)، وقوله إن اسم محمد موجود من الأبد موافق قول الرسول ﷺ: (كنت نبيا وإن آدم لمجندل في طيته).

وفي التوراة العبرانية في الإصحاح الثالث من سفر حقوق: (وامتلات الأرض من تحميد أحمد، ملك يمينه رقاب الأمم).

وفي النسخة المطبوعة في لندن قديماً سنة 1848، والأخرى المطبوعة في بيروت سنة 1884، والنسخ القديمة تجد في سفر حقوق النص في غاية الصراحة والوضوح: (لقد أضاءت السماء من بهاء محمد، وامتلات من حمده، زجرك في الأنهار، واحتدام صوتك في البحار، يا محمد أدن، لقد رأتك الجبال فارتاعت).

ومن المراجع التي ذكرت هذه البشارات:

- 1- الجواب لمن بدل دين المسيح لابن تيمية.
- 2- الرسل والرسالات للدكتور عمر الأشقر.
- 3- نسخة من التوراة والإنجيل المترجمة إلى اللغة العربية واللغة الألمانية.

في بعض الأحيان يذكر مكان مبعث النبي ﷺ ففي سفر التشية الإصحاح الثالث والثلاثون: (أقبل الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتجلى من جبل

فاران). وسيناء هي الموضع الذي كلم الله فيه موسى، وساعير الموضع الذي أوحى الله فيه لعيسى، وفاران هي جبال مكة، حيث أوحى الله لمحمد ﷺ وكون جبال فاران هي مكة، دلت عليه نصوص من التوراة. وقد جمع الله هذه الأماكن المقدسة في قوله: ﴿والتين والزيتون وطور سينين، وهذا البلد الأمين﴾. وذكرت التوراة مكان الوحي إليه ففي سفر أشعيا الإصحاح الواحد والعشرون وهي من جهة بلاد العرب في الوعر وقد كان بدء الوحي في بلاد العرب في الوعر في غار حراء.

وفي هذا الموضع من التوراة حديث عن هجرة الرسول ﷺ وإشارة إلى الجهة التي هاجر إليها: (هاتوا ماء لملاقة العطشان يا سكان أرض تيماء، وافوا الهارب بخبزة فإنهم من من أمام السيوف قد هربوا، من أمام السيف المسلول، ومن أمام القوس المشدودة، ومن أمام شدة الحرب)، وتيماء من أعمال المدينة المنورة، وإذا نظرت في النص ظهر لك بوضوح أنه يتحدث عن هجرة الرسول ﷺ.

وتكملة النص السابق يقول: (فإنه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيذار، وبقية قسي أبطال بني قيذار تفل، لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم). وهذا النص يتحدث عن معركة بدر، فنه بعد سنة كسنة الأجير من الهجرة كانت وقعة بدر، وفني مجدر قيذار، وقيذار من أولاد إسماعيل، وأبنائه أهل مكة، وقد قلت قسي أبناء قيذار بعد غزوة بدر.

وأشارت بعض نصوص التوراة إلى مكان هجرة الرسول ﷺ ففي سفر أشعيا الإصحاح الثاني والأربعون: (لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قيذار، لترنم سكان سلع من رؤوس الجبال ليهتفوا ليعطوا الرب مجداً..). وقيذار

أحد أبناء إسماعيل كما جاء في سفر التكوين الإصحاح الخامس والعشرون العدد الثالث عشر. وسالغ جبل سلع في المدينة المنورة.

والترنم والهتاف ذلك الأذان الذي كان ولا يزال يشق أجواء الفضاء كل يوم خمس مرات، وذلك التحميد والتكبير في الأعياد وفي أطراف النهار وآناء الليل كانت تهتف به الأفواه الطاهرة من أهل المدينة الطيبة الرابضة بجانب سلع.

الفصل الثامن المسيح المنتظر والمسيح الدجال

المسيح المنتظر

مَهَيَّدٌ

أصل فكرة المسيح العالمية، ترجع إلى عهد إبراهيم عليه السلام نحو سنة 2066 ق.م بني الإسلام بحساب التواريخ عند النصارى فإنه لما دعى قومه إلى ترك عبادة الأصنام وأرادوا إحراقه بالنار، طلب من الله أن ينجيه من شرهم، فنجاه وحفظه من الشر، وقال له: ستكون مباركاً وستبارك في نسلك جميع أمم الأرض ففي سفر التكوين: أن الله قال لإبراهيم: (سر أمامي وكن كاملاً) أي أمش بالدعوى إلى معرفتي وإسلام الوجه إلى فاجعل عهدي بيني وبينك.

وفي سفر التكوين: (ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء وقال: بذاتي أقسمت يقول الرب: إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك. أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثير الحوم ويرث نسلك باب أعدائه ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض).

وشاءت إرادة الله أن تكون بركة إبراهيم في الأمم: محصورة في نسل ولديه إسماعيل وإسحاق ومن هذا النص تبين على أن بركة إسماعيل عليه السلام تدل على مجيء نبي عظيم في المستقبل من نسل إسماعيل عليه السلام، ليكون معه شريعة إلهيه يهدي الأمم واسمه لحيان الجمل (محمد ﷺ) وهذا النبي العظيم الذي تبدأ من جوده بركة

إسماعيل في الأمم وتنتهي بمجيئه بركة إسحاق في الأمم، أطلق عليه اليهود والناس لقب (المسيح).

أصل كلمة المسيح:

- 1- في اللغة العبرانية (هاماشيح) نجد الهاء والميم مفتوحتين مفخمتين.
 - 2- وفي اللغة الآرامية (مشيخ) والآرامية هي السريانية وجاءت هكذا في كتب تفسير القرآن الكريم.
 - 3- وفي اللغة اليونانية (مسيح).
 - 4- وفي اللغة العربية تنطق الشين سينا، ولذلك نطقوا الكلمة الآرامية (مشيخ) نطقوها مسيحاً Messiah وفي دائرة المعارف اليهودية تحت كلمة مسيا (المسيح بالعبري هاماشياح) Ha- Mashah وبالآرامي "ماشيا" Meshih ومعناها الممسوح وتأتي الكلمة بدون الألف واللام كإسم ماشياح".
- وفي إنجيل يوحنا:

أ- مسيا الذي تفسيره المسيح.

ب- قالت له امرأة: أنا أعلم أن مسيا الذي يقال له المسيح يأتي، فمتى جاء ذلك يخبرنا بكل شيء.

ويقول الدكتور/ عبد الوهاب محمد المسيري في كتابه (موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية) تحت عنوان (الماشيح) والماشيحانية The Messiah and Messaih مشتقة من الكلمة العبرية "مشح" أي مسح بالزيت المقدس وكان

اليهود يمسحون رأس الملك والكاهن بالزيت قبل تنصيبها علامة على أنه أصبح ملكاً والآخر كاهناً.

ولكن المعنى تطور ومعنى الكلمة تجدد فيما بعد فأصبحت تشير إلى ملك من نسل داود سيأتي بعد ظهور النبي (إلياس عليه السلام) ليجمع شتات المنفيين ويعود بهم إلى (صهيون) ويعيد بناء الهياكل ويحطم أعداد إسرائيل، ويتخذ أورشليم، عاصمة له ويحكم بالشرعة المكتوبة والشفوية والسلام سيعم العالم عند مجيء المسيح وسيكون في الأرض رخاء وسعة رزق.

يتساءل البعض من هو المسيح؟

إن المسيح هو المنتقذ أو المخلص الذي ينتظره اليهود وقد ظل اليهود الذين لم يعترفوا بيسوع المسيح واستمروا ينتظرون قدوم المسيح وأخذ أحبارهم ورهبانهم يحددون تاريخ وصوله وفشلت كل هذه التنبؤات. وكان التلمود قد تنبأ بميلاد المسيح لحظة تدمير المعبد الثاني ومن المعروف أن المعبد الأول تم تدميره على يد بختنصر البابلي أما الثاني فكان على يد أنطوخنس الإغريقي أما الثاني على أيدي الرومان .

ومنذ قرن ونصف تقريباً ظهر الأصوليون المسيحيون ليؤكدوا أن المسيح يسوع سيعود ثانية وسيكون هو مسيح اليهود الذي ينتظرونه فيعترفون به ويدخلون في الديانة المسيحية! بينما رأت طائفة أخرى أن المسيح سيعود فعلاً ولكن ليس عليهم سوى الانتظار والصلاة بينما رأت فئة أخرى أن عودة المسيح رمزية فهناك آيات تشير بخراب الكون وآيات أخرى تشير لخلوده.

وفكرة مجيء المسيح لم تكن عقيدة أساسية عند اليهود في الأسفار الخمسة الأولى التي يرد اليهود أنها نزلت على موسى ولم تظهر إلا أثناء الاضطهاد، أي أن فكرة مجيء مسيح منقذ مرتبطة بالحاجة إليه وليست عقيدة مؤكدة.

المسيح الدجال

وبين سطور هذا الكتاب سأتناول موضوع ظهور المسيح الدجال ومعركة هرمجدون بشيء من الاختصار:

- الدجال والناس:

بلغ الحديث عند الدجال حد التواتر، وكذلك الأحاديث التي رويت عنه، وظهوره يعتبر واحداً من أشراط الساعة ونظراً للفساد والخوف الذي يحدث عند مجيئه في الأرض فقد حث أهل العلم على راوية ما قيل في الدجال من أحاديث حتى يعلمها الناس. قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر: الدخان، الدجال، الدابة، طلوع الشمس، من مغربها، نزول عيسى ابن مريم، يأجوج ومأجوج، ثلاثة خسوف: بالشرق، المغرب، وجزيرة العرب، آخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم).

علامات تظهر قبل ظهوره:

1- معسكر الإيمان ومعسكر الكفر:

حيث سينقسم العالم إلى معسكرين الإيمان، والكفر ويمثل معسكر الإيمان المسلمون الذين يعبدون الله وحده ويؤمنون أن محمداً آخر الأنبياء وأنهم جميعاً

دعوتهم واحدة. (لا إله إلا الله) وأنهم إن حاربوا فهو أمر من الله تعالى، أما معسكر الكفر فهم الكافرون المشركون بالله وأن الله كغيره من البشر - ومنهم اليهود وهم أصحاب الدجال والنصارى.

2- ظهور القحط:

قبل خروج الدجال بثلاث سنين تتوالى على الأمة سنوات القحط والجوع وانحباس المطر، فيأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس 1/3 مطرها ويأمر الأرض فتحبس 1/3 نباتها وفي السنة الثانية أن تحبس 2/3 مطرها والأرض 2/3 نباتها وفي الثالثة يأمرها أن تحبس كل مطرها والأرض كل نباتها.

3- انتشار الآثام والمعاصي:

وهي موجودة منذ الأزل إلا أن ظهور الإسلام خففها وأخفاها ولكن قبل مجيء الدجال ستعود إلى الظهور وبكثرة وبشكل واضح فينتشر - الربا، الزنا، والقمار، الخمر، وتشبه الرجال بالنساء والعكس. وهذه الظاهرة قد بدأت بالظهور وبتشجيع من قبل أهل الحل والعقد.

4- انتشار الظلم:

حيث يعم الظلم ويصبح الغني والقوي هما أسياد الأرض وقد بدأت أيضاً بالظهور كما حصل مع أمريكا اليوم فالظلم هو أقرب الطرق إلى الدمار والخراب .

5- ادعاء النبوة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول عليه الصلاة قال: (لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كل يزعم أنه رسول الله..)

6- فتح القسطنطينية :

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الملحمة العظمى، وفتح القسطنطينية، وخروج الدجال في سبعة أشهر).

7- نخل بيسان يصبح غير مثمر.

8- بحيرة طبرية سوف يجف ماؤها.

9- عين زغر في شمال فلسطين تفيض بالماء.

متى يخرج الدجال:

يروى أنه سيكون للمسلمين شأن كبير وقوة هائلة وسيقاتلون أعداءهم ويتصرون عليهم قبل ظهور الدجال، لذلك يغضب فيظهر فقد رواه مسلم في صحيحه (إنما يخرج الدجال من غصبة يغضبها).

من أين سيخرج:

جاء في صحيح مسلم عن الرسول قال قوله هذا وهو مستقبل المشرق يقول ألا إن الفتنة ههنا ألا أن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان).

وقد أجمعت الأحاديث عن الرسول أن خروج الدجال سيكون من المشرق ولكن من أين؟ فقد ورد في الأحاديث 3 أماكن:

1- خراسان

2- أصبهان

3- بين الشام والعراق.

صفات الدجال:

وردت أوصاف الدجال كاملة في عدة أحاديث متواترة ومتفق عليها وهي لا تخفى على أي إنسان يراه ومن هذه الأوصاف:

1 - أعور.

2 - مكتوب بين عينيه كافر.

3 - جفال الشعر:

أي شعره كثيف كثير. قال عليه الصلاة (الدجال أعور العين اليسرى، جفال الشعر رجل شاب قصيرا فحج).

أعمال الدجال

سوف يبعث الله الدجال يعطيه من الوسائل والأسلحة التي يستطيع بها أن يضل الناس ويغويهم ويخدعهم ويصفهم إلى صفه.

كم يمكث الدجال في الأرض؟

رويت عدة أحادث عن الرسول تبين لنا المدة التي سيمكث بها الدجال في الأرض وفي خلال هذه المدة، سيخوض الدجال عدة حروب مع المؤمنين المسلمين ومع المسيح عيسى بن مريم، وستكون الغلبة لمعسكر الإسلام حيث قال عليه الصلاة: (قلت: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهريوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم). قلت: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال لا: أقدروا له قدره...)

أماكن لا يدخلها الدجال:

عن أنس بن مالك قال وقال رسول الله ﷺ: (ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق).

وروى عن أبي بكر أن النبي ﷺ قال: (لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان).

وري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال (على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال).

المؤمن والدجال:

يستطيع المسلم أن يعصم نفسه عن فتنة الدجال من خلال طرق بينها الرسول ﷺ:

1 - قراءة أول سورة الكهف: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال).

2 - الإيمان بالله، سكنى المدينة المنورة، ومكة: لأنه لا يمكن دخولها من قبله وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات).

■ قال الرسول ﷺ: (قولوا اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات).

■ قال الرسول ﷺ: (من سمع بالدجال فليأمن عنه فو الله أن الرجل ليأتيه، وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات).

وتكون نهاية الدجال على يد عيسى عليه السلام فيقتله ويريح الناس من فتنته..

الفصل التاسع النصرانية من خلال نقد أبنائها لها

النصرانية من خلال نقد أبنائها لها

أقول العلماء والمفكرين والفلاسفة من المسلمين وغيرهم في تحريف الكتاب المقدس

إن من الثابت أن التحريف بالزيادة والنقصان وتناقض المعلومات أمر ثابت في الكتاب المقدس وقد عمل علماء الإسلام على جمع صور التناقضات والزيادات ومن العلماء الذين ذكروا هذا:

- ❖ ابن تيمية في الجواب الصحيح، وابن القيم في هداية الحيارى.
- ❖ والقوافي في الأجوبة الفاخرة، أبو زهرة في محاضرات النصرانية وإظهار الحق لرحمة الله الهندي.
- ❖ د. صابر طعيمه في الأسفار المقدسة و د. رفقي زهر قصة الأديان.
- ❖ و د. محمد وصفي في حقيقة المسيحية تقديم د. زغلول النجار.
- ❖ وموريس بوكاي في دراسة في الكتب المقدسة وغيرهم كثير.

ولكننا في هذه الوريقات سوف نسرد أقوالاً لعدد من علماء المسيحية والمفكرين والفلاسفة الذي يؤكدون ما قلناه من تحريف وتغيير في الكتاب المقدس.

1 - يذكر أحمد ديدات أقوالاً لعلماء مسيحيين تشير أن الكتاب المقدس تأليف بشري.

▪ يقول د. جراهام سكروجي عضو معهد مودي للكتاب المقدس بشيكاغو في جوابه على سؤال هل الكتاب المقدس كلام الله تحت موضوع الكتاب المقدس تصنيف بشري ومع ذلك فهو كتاب سماوي ص 17 (نعم أن الكتاب المقدس تصنيف بشر وقد مر من خلال أذهان البشر وكتب بلغة البشر وبأقلامهم كما أنه يحمل صفات تتميز بأنها من أسلوب البشر).

▪ ويقول العالم كينيث كراج أسقف بيت المقدس من الطائفة الإنجيليكانية البريطانية في كتابه (دعوة المئذنة) ص 277 (أن الأناجيل إنتاج الذهن الكنسي- من وراء المؤلفين فهي تمثل الخبرة والتاريخ).

المرجع: أحمد ديدات، هل الكتاب المقدس كلام الله، دار المنار، ط 1 1989 القاهرة ترجمة الشيخ إبراهيم خليل أحمد.

▪ يقول العالم أستاولن (إن كافة إنجيل يوحنا مشكوك في صحته تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية في ذلك الوقت، تلك المدرسة التي اعتنقت مبادئ الثالوث و ألوهية المسيح وروح القدس وبشرت به).

▪ تقول دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها 500 عالم من علماء النصرانية ما نصه: (أما إنجيل يوحنا فإنه لا شك كتاب مزور... إلخ).

ويقول اكهارت (عالم مسيحي ألماني) (إن كثيراً من القدماء كانوا شاكين في الأجزاء الكثيرة من أناجيلنا).

المرجع: محمد عزت الطهطاوي الميزان في مقارنة الأديان ص 99.

▪ يقول شارك جينبر (أن أغلب الفقرات التي يظهر فيها أنها من الأناجيل وأنها صدرت عن محرري الأناجيل لا عن عيسى أما التي ترجع أنها مبينة على حديث صحيح له فلا تعدو الأربع أو الخمس فقرات...).

المرجع: المسيحية نشأتها وتطورها ص 40، شارل جينبر، المكتبة العصرية بيروت.

▪ يقول إبراهيم خليل أحد القس الذي سلم في كتابه (الغفران بين الإسلام والمسيحية): "الذين كتب من أجلهم... ولكن لم يكن هناك أي تردد في التغيير أو الإضافة أو إسقاط ما لا يناسب الكاتب.

▪ يقول : Dummelow في ص 16 في كتابه Commentary on the Holy Bible أن الناسخ (في الأناجيل) في بعض الأحيان قد يضع في النص ما لم يكن فيه ولكن ما يظنه أنه لا بد أن يتضمنه فهو قد يثق بذاكرة مترددة يجعل النص يتطابق مع وجهات نظر المدرسة التي ينتمي إليها).

▪ العالم الألماني (دي يونس) في كتابه الإسلام: إن روايات الصلب الفداء من مخترعات بولس ومن شابهه خصوصاً وقد اعترف علماء النصرانية قديماً وحديثاً بأن الكنيسة العامة كانت منذ عهد الحواريين إلى سنة 325 سنة بغير كتاب معتمد وكل فرقة كان لها كتابها الخاص بها).

▪ أعلن سلوس وهو من العلماء الوثنيين في القرن الرابع الميلادي (أن تغيير الديانة النصرانية كان أمراً محققاً وإن هذا العهد الجديد المتداول حالياً بين

النصارى ما صنعه السيد المسيح ولا الحوار بين تلامذته بل صنعه رجل مجهول الاسم ونسبة إلى الحواريين.

المرجع: (المسيحية الحق التي جاء بها المسيح علاء أبو بكر مكتبة وهبة القاهرة ط 1 1997).

▪ يقول يوسف الدين ألخوري في مقدمة تفسيره من تحفة الجليل (أن يوحنا صنف إنجيله في آخر حياته بطلب من أساقفة آسيا والسبب أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح فطلبوا منه إثباته وذكروا ما أهمله متى ومرقس ولوقا في أناجيلهم).

▪ يتساءل موريس بوكاي عن الاختلافات الصارفة الواضحة بين الأنجيل قائلاً إذن فمن يجب أن نصدقه؟ أنصدق متى أم مرقس أم لوقا أم يوحنا.

▪ صرح Znecher Bibel في طبخته الشعبية ص 19 أن بعض الكتب خاصة في أقدم العصور قد قاموا عن عمد بإضافة بعض الكلمات وبعض الجمل كما قاموا بحذف البعض الآخر أو قاموا بتغييره تماماً.

▪ ويعترف (Knierim) أن علماء الدين اليوم على اتفاق واحد يقضي- بأن الكتاب المقدس وصل إلينا منه أجزاء ضئيلة جداً فقط التي لم يتم تحريفها.

▪ يعلق د. روبرت (لا يوجد كتاب على الإطلاق به من التغيرات والأفكار والتحريفات مثل ما في الكتاب المقدس).

(1-5) المرجع: المسيحية التي جاء بها المسيح علاء أبو بكر مكتبة وهبة القاهرة ص 1، 1997.

يقول موريس بوكاي عن إنجيل لوقا (أنه عمل أدبي كتب بلغة يونانية كلاسيكية راقية لا تخلو من حواشي الكلام.

المرجع: دراسة فالكتب المقدسة موريس بوكاي ص 87.

يقول باركر أن عدد أخطاء الكتاب المقدس 30000

ويقول القسيس (ميل) أنها 100000 ونيفا في دائرة المعارف البريطانية والفرنسية ما يقارب المليون خطأ واعترف بهذا (هيس، كسير، ديوت، ويز، نرش).

المرجع: الكتاب المقدس تحت المجهر ص 68.

المصادر

أولاً: المصادر العربية:

- 1 - القرآن الكريم.
- 2 - الكتاب المقدس إصدار دار الكتاب المقدس.
- 3 - ابن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل ج/ 1 القاهرة.
- 4 - الدكتور أحمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ ط/ 5 بغداد 1981.
- 5 - الدكتور أحمد شلبي، مقارنة الأديان (1) اليهودية، القاهرة ط/ 4، 1973.
- 6 - الدكتور أحمد شلبي، مقارنة الأديان (2) المسيحية، القاهرة ط/ 4، 1974.
- 7 - الدكتور أحمد عبد الوهاب، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، القاهرة، 1978.
- 8 - الأب أي بي برناتيس (ترجمة زهدي الفاتح)، فضح التلمود تعاليم الحاخامين السرية، بيروت 1985.
- 9 - الدكتور أسد رستم، حرب في الكنائس، بيروت 1967.
- 10 - الدكتور بطرس ضو، تاريخ الموازنة الديني والسياسي والحضاري، بيروت 1977.
- 11 - الأب الدكتور جورج شحاتة قنواي، المسيحية والحضارة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1984.
- 12 - جواهر لال نهرو، لمحات من تاريخ العام ط/ 2 بيروت 1957.

- 13- دائرة المعارف البريطانية، طبعة 1965 ج 11 .
- 14- الدكتور رشدي عليان وسعدون الساموك، الأديان، دراسة تاريخية مقارنة، بغداد، 1978 .
- 15- الدكتور سامي سعيد الأحمد، الأسس التاريخية للعقائد اليهودية، من منشورات الجمعية العراقية للتاريخ والآثار رقم (1) مطبعة الإرشاد بغداد 1969 .
- 16- الدكتور سامي سعيد الأحمد، اللغات الجزرية، بغداد 1982 (من منشورات اتحاد المؤرخين العرب).
- 17- الدكتور سعدون محمود الساموك، موجز تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، محاضرات أُلقيت على طلبة الصف الرابع بكلية الشريعة 1985 .
- 18- الدكتور سعدون محمود الساموك، مختصر تاريخ الكنيسة، مجلة كلية الآداب، القسم الثاني العدد / 21 لسنة 1976 .
- 19- الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا في العصور الوسطى ج/ 1 التاريخ السياسي، القاهرة 1972 .
- 20- سليمان مظهر قصة الديانات، القاهرة، 1984 .
- 21- صبري جرجس، تاريخ الصهيونية، ج/ 1 بيروت 1977 .
- 22- ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، ط/ 2 بيروت 1972 .
- 23- القاضي، عبد الجبار، المغني في أبواب التوجيه والعدل ج/ 5 القاهرة .
- 24- عبد الرزاق محمد أسود، الموسوعة الفلسطينية، الدار العربية للموسوعات 1978 بيروت .

25- عبد الفتاح حسن أبو عليّة والدكتور إسماعيل ياغي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، الرياض 1979.

26- عبد الوهاب المسيري، اليهودية والصهيونية وإسرائيل (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1975).

27- عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء ط/ 3 مكتبة وهبة مصر.

28- الدكتور علي عبد الرزاق وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام القاهرة 1971.

29- فاروق الدملوجي، تاريخ الآلهة، الكتاب الثالث، في الديانة اليهودية بغداد 1954.

30- الشيخ محمد أبو زهرة محاضرات في النصرانية.

31- الدكتور فؤاد حسنين علي التوراة الهيروغليفية القاهرة (بدون تاريخ).

32- الدكتور محمد محمد صالح، تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية (1500 - 1789) بغداد 1982.

33- محمد علي حسين، بين التوراة والقرآن خلاف، بغداد 1983.

34- نجيب العقيلي، المستشرقون.

35- نعمان عبد الرزاق السامرائي، دراسات في التوراة، مستلة من العدد الرابع، مجلة الشريعة 1967 - 1968.

36- اليهودية تأليف د. محمد عبد المجيد القاهرة.

37- اليهودية واليهود، تأليف د. علي عبد الواحد وافي القاهرة.

38- الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود تأليف الكاتب إسرائيل شاحاك، القاهرة.

39- اليهود في عصر المسيح تأليف السيد أحمد عاشور، القاهرة.

40- عبد الحليم محمود، بيت المقدس في الإسلام القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية 1969.

41- عبد الوهاب النجار، مقال بجريدة السياسة، 2 فبراير 1934.

42- الندوة الدولية "يوم القدس" بحث لعبد العزيز الخياط، عمان، 1992.

43- مقارنة الأديان الدكتور أحمد الخطيب. عمان.

44- الأسفار المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرافهم محمود بن عبد الرحمن قدح القاهرة.

45- عقائد أهل الكتاب دراسة في نصوص العهدين الأستاذ أحمد مختار رمزي القاهرة.

46- اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، الدكتور عرفان عبد المجيد، بيروت.

47- المدخل إلى العهد القديم (الكتب المقدسة) للقس صموئيل يوسف خليل، القاهرة.

48- التفسير الحديث للكتاب المقدس العهد القديم أسفار ناحوم وحبقوق و صفنيا بقلم دافيدو باكر ترجمة القس فايز عبد الملك، بيروت.

49- التوراة عرض وتحليل للدكتور فؤاد حسنين علي القاهرة.

50- سفر أيوب، فرانسيس اندرسن نقله إلى العربية إدوارد عبد المسيح القاهرة.

- 51 - المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم للدكتور محمد علي البار القاهرة.
- 52 - التوراة المير وغليفية للأستاذ الدكتور فؤاد حسنين علي القاهرة.
- 53 - الكتب التاريخية في العهد القديم للدكتور مراد كامل. القاهرة.
- 54 - الكتاب المقدس كتاب الحياة الترجمة السبعينية كتب العهد القديم، والعهد الجديد.
- 55 - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية . القاهرة.
- 56 - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم الجوزية القاهرة.
- 57 - تعريف عام بدين الإسلام لفضيلة الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله . القاهرة.
- 58 - كتاب مفتريات المبشرين على الإسلام لفضيلة الدكتور: عبد الجليل سلمي، القاهرة.
- 59 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، دار سحنون للنشر، القاهرة.
- 60 - التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، القاهرة.
- 61 - في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة.
- 62 - تفسير الكشاف، أبي القاسم الزمخشري، دار المعرفة، القاهرة.
- 63 - تفسير البغوي، الحسين بن مسعود الفراء دار الكتب العلمية القاهرة.
- 64 - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار النفائس، القاهرة.
- 65 - الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي المكتبة التوفيقية القاهرة.

- 66- تفسير الفخر الرازي، محمد الرازي دار الفكر، بيروت.
- 67- روح المعاني، شهاب الدين الألوسي، دار الفكر، بيروت.
- 68- لسان العرب، ابن منظور، دار الفكر، بيروت.
- 69- الأديان في القرآن، د. محمود بن الشريف، دار المعارف بمصر، القاهرة.
- 70- النصرانية في التوحيد إلى التثليث ، د. محمد الحاج، بيروت.
- 71- المسيا المنتظر د. أحمد حجازي السقا، ط 1، مطبعة دار القضاء؟؟ 1397 هـ / 1977 م.
- 72- معركة آخر الزمان ، نبوءة المسيح، ياسر حسين، ط 1، دار الأمين، 1413 هـ / 1993 م.
- 73- مذكرة أصول الفقيه، للعلامة محمد الأمين الشنقيطي، دار اليقين ، ط 1.
- 74- إتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر " للدكتور عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد، ط 4.
- 75- معظم علوم القرآن لإبراهيم محمد الجرمي، دار القلم.
- 76- التحفة السخونية في شرح المنظومة البيقونية، مختار بن العربي الشنقيطي دار ابن حزم، ط 1.
- 77- كشاف اصطلاحات الفنون، لمحمد علي لتهانوي، بواسطة.
- 78- العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار إحياء التراث العربي.
- 79- نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب، للدكتور أجمد الطرابلسي.

- 80- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس 395هـ، دار الجيل.
- 81- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، 425هـ، دار القلم ط 3.
- 82- لسان العرب، لابن منظور الإفريقي 711هـ، دار عالم الكتب مصورة عن نسخة المطبعة الميرية؟
- 83- التعريفات، للجرجاني 816هـ، دار النفائس، ط 2.
- 84- الحقيقة الشرعية في تفسير القرآن العظيم والسنة النبوية، للشيخ: محمد بن عمر بازمول، دار الهجرة، ودار ابن عفان/ ط 1.
- 85- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
- 86- أصول التشريع الإسلامي، لعلي حسب الله، دار المعارف بمصر، ط 5.
- 87- المعجم الفلسفي، د. مصطفى حسية، دار أسامة ط 1.
- 88- قاموس الإنثروبولوجيا، للدكتور: شاكراً مصطفى سليم، جامعة الكويت، ط 1.
- 89- موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة أ. د سعدون محمود الساموك، الجزء 1، العقائد، دار المناهج، ط 1.
- 90- الإمام إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث.
- 91- الدكتور سعدون الساموك، مقارنة الأديان دار وائل للنشر.
- 92- د. أحمد شلبي، اليهودية ط 5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1978م.
- 93- د. سعد الدين السيد الصالح، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، مكتبة الصحابة، جدة.

94- الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، دار إحياء التراث العربي.

95- د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ط 1، مكتبة الرشد، الرياض، 1422 هـ).

96- محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، ط 1، المكتبة العصرية، بيروت، 1426 هـ.

97- د. يوسف عيد، الديانة اليهودية ط 1، دار الفكر اللبناني، لبنان 1995.

98- تاريخ الديانة اليهودية، د. محمد خليفة حسن أحمد ط 1، 1998، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة).

99- الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، عبد المجيد حمو، مراجعة وتدقيق إسماعيل الكردي، الطبعة الأولى، 2003 م الناشر: الأوائل للنشر- والتوزيع والخدمات الطباعة، سورية - دمشق.

100- الفكر الديني اليهودي، د. حسن ظاظا، ط 2، 1407 هـ، 1987 م، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.

101- الكتاب المقدس.

102- ول ديورانت، قصة الحضارة، الجزء الأول من المجلد الأول.

103- محمد متولي الشعراوي، الإسراء والمعراج، القاهرة، رجب 1420 هـ.

104- سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ المقدسات الإسلامية في فلسطين على مر العصور، بحث مقدم إلى مؤتمر حماية المقدسات والتراث الثقافي في فلسطين.

105 - عبد العزيز عوض، مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث 1831 - 1914.

106 - كارين أرمسترونج، القدس، مدينة واحدة عقائد ثلاث، ترجمة د. محمد عناني، د. فاطمة نصر، القاهرة، كتاب سطور، 1998.

ثانيا: المصادر الأجنبية

- 107- Archibald G. Baker A Short History of Christianity Chicago 1944.
- 108- Bouquet A C Comparative Religion Baltimore Maryland 1969.
- 109- Compenhousen. Uanderen Die Religion in Gegchichte and Gegenwart, dritte Auflage 111 Tubingen 1959.
- 110- Hitti, History of Syria .
- 111- Jewish Encyclopedia Handbooks, 1.
- 112- Kuiper B, K the Church in History Michigan 1964.
- 113- Ottley, R. L B . K .A Short History of the Hebrews to the Roman Period New York 1905.
- 114- Rattey, B.K.A short History of the Hebrews London. 1964.
- 115- Schops. H.J Religionen Guersioh 1960.
- 116- Walker A History of the Christian Church – Revised edition – New York 1959.

بسم الله الرحمن الرحيم

تم تحميل الملف من

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

The Guided Islamic Library for Comparative Religion

<http://kotob.has.it>

<http://www.al-maktabeh.com>



مكتبة إسلامية مختصة بكتب الاستشراق والتنصير
ومقارنة الأديان.

PDF books about Islam, Christianity, Judaism,
Orientalism & Comparative Religion.

لا تنسونا من صالح الدعاء

Make Du'a for us.